

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لأبي إسحاق

المجلد الأول

سيرة النبوية
محمدين إسماعيل
١٥١ ضحري



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAA + AHMAD ALI



دار أخبار اليوم
قطاع الصحافة

جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقديم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التي كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهى أصدق وأصح الطبقات وأكثرها شمولاً .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبتون الكتب الأمهات .
ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعاً ..
والله ولى التوفيق .

jabir.abbas@yahoo.com

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لقطاع الثقافة في دار أخبار اليوم

المجلد الأول

السيرة النبوية

لأبن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهرسها

بدوى طه بدوى

محقق فى التراث الإسلامى

طه عبد الرؤوف سعد

من علماء الأزهر الشريف

jabir.abbas@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يا رسول الله ، يا من بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة وتركتنا على المحجة البيضاء .

سيدى يا رسول الله ، كلما ادلهمت ظلمات الأنفس ، واضطربت سكينه الأفتدة ، وضائق فجاج الأرض بما رحبت ، تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وترقرق فى العيون دموع الرجاء ، وتختلج فى الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلما اهتدت البشرية من قبل عند ما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق فى سمائها ، فتهادت أضواؤه تهادى الرجاء فى القلوب الحائرة ، وشع لألاؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال ، وسُطر فى أفق الحياة اسم محمد بن عبد الله ، وأقبل الروح الأمين بهدية السماء إلى العالمين: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتصم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ .

سيدى يا رسول الله . . . إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى النظر فى سيرتك ، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة فى روعة شخصيتك والافتداء بما تركته بين أيدينا حتى لا تجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى .

فهل تأذن لنا يا سيدى يا رسول الله يا خير مرسل ويا أفضل الخلق أن نقف ببابك ونجول بنظرنا وفكرنا فى جنبات سيرتك ومغازيك ، نبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، ونُهدى هذه الطبعة من (سيرة ابن إسحاق) إليك سيدى أبا القاسم ، يا علم الهدى ونبي الرحمة لعلها تكون يوم الحساب نوراً لنا على الصراط المستقيم .

بدوى طه بدوى

طه عبد الرءوف سعد

محقق فى التراث الإسلامى

من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة فى علم السيرة »

الحمد لله المنعم الأعظم ، والصلاة والسلام على النبى الأكرم ، رسول الهدى
ونبى الرحمة ، وخير خلق الله أجمعين وشفيع أمته يوم الدين .
هذا رسول الله هذا المصطفى هذا لكل العالمين رسول
أما بعد :

فمما لا شك فيه أن دراسة سيرة النبى ﷺ ومعرفة جوانب شخصيته أمر
ضرورى لكل مسلم ؛ فيها نتمكن من فهم أحكام ديننا ومعرفة سنة نبينا ﷺ
وأفعاله فى حياته ، وما يتعلق بالدين والدنيا ؛ ولكى نتخذ من سيرته العطرة القدوة
الحسنة والعبرة والعظة ؛ لأن صاحبها هو المثل الأعلى فى كل شىء وصدق حين
قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

وعلى هذا فإن أعظم الكتب التى عنيت بسيرة أعظم العظماء ﷺ هو كتاب
« سيرة ابن إسحاق » الذى بين أيدينا نُحققه ونقدّم له - وهو من أقدم كتب السير
الجامعة وأهمها .

ويعتبر الكتاب بحق إنجازا رائعا حققه ابن إسحاق فى مجال إنشاء الكتابة
التاريخية ، كما أن مادته غنية جدا وحتوت كل ما تجمع لدى العرب المسلمين من
أخبار .

فالكتاب إذن من أوائل أمهات المراجع وأهمها فى السيرة النبوية العطرة ، ومن
هنا كانت أهمية تحقيقه وشرحه .

ونحمد الله عز وجل أن وفقنا لهذه المهمة العظيمة ، وأن نزيد على روايات
الكتاب الأصلية روايات لابن إسحاق من سيرة ابن هشام الذى استشهد بها أيضا من
أكثر من مخطوطة وما تناثر فى بطون بعض الكتب كالأحكام السلطانية للماوردي
وكتاب ريحان المروج وغيرها وذلك لتجمع روايات ابن إسحاق كلها فى كتاب واحد -
الذى بأيدينا الآن - كما وفقنا الله لوضع عناوين فرعية داخل الموضوعات ؛ وذلك
حتى تعم الفائدة ويعم النفع .

ونسأل الله العظيم أن نكون قد وفينا هذا الكتاب حقه ، وأن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وفي ميزان حسناتنا وحسنات من قرأه فعمل به واتخذ من الرسول الأسوة الحسنة ، وأن يجعلنا من المقبولين إنه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين .

* مفهوم السيرة

يراد بسيرة رسول الله ﷺ التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاصات التي مهدت لرسالته ، وما سبق مولده من سمات تلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ، ومولده ونشأته حتى مبعثه وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، وما لقي في سبيل نشر الإسلام من معارضة ، وما جرى بينه ﷺ وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيوف ، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان .

* التأريخ عند العرب والمسلمين

إن مفهوم التأريخ عند العرب يتضح فيما جاء في روايات الأنساب من ذكر لبعض أحداث وقعت وورد ذكرها في ثنايا حديث النسّابين ، ولعل هذه الفترة قد سبقت مطلع فجر الإسلام ، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح في مبدأ الدعوة وإن كان قد بدا لنا أن أحداً من الصحابة لم يعن بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد ، والفتوح ، والذي التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون في جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومن صاحب الأحداث التي وقعت للمسلمين في عهد صاحب الرسالة ﷺ .

لكن الشكل التقليدي للتأريخ في أبسط صورته ظهر على تلك الصورة في العصر الأموي ، غير أن مؤرخي بني أمية لم يعنهم من التأريخ إلا ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم . وإن كان الدافع إلى ذلك في أغلب الأحيان هو الرغبة في العطاء ، وما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التأريخ شيء مجموع إلا ما تنأثر في بطون بعض كتب الأدب نقلاً عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن في عصر بني أمية ، ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالة آثار

دى

أمر
الله ﷺلدوة
حينناب
سيرتابة
من

من

بات

من

دى

ل -

لك

الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس .
 على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى
 حيث ظهرت بوادى التآليف فى التواريخ العامة والخاصة . والحق أن أول كتاب على
 الإطلاق ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » . كتاب رب العالمين ، وقد
 تجلّى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .
 وعندما أخذ علماء الإسلام فى جمع القرآن الكريم وتفسيره ، وجمع الأحاديث
 وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التى
 جرت وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث ، فكان لابد من الرجوع إلى السيرة النبوية
 أولاً ؛ لأنها المنبت الخصب لذلك كله ، والمرجع الصادق فى هذا الشأن .

* منهج السيرة

ابتدأت السيرة عند المسلمين عموماً بسرّ نسب النّبي ﷺ وقد تطلب هذا
 إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم فى الجاهلية وعاداتهم
 وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التى وقعت بينهم كإعادة حفر بئر زمزم
 على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول ﷺ ونشأته ومبعثه ومن استجاب
 لدعوته وآمن برسالته ، وما لقيه النّبي ﷺ فى سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت
 وما قاساه من نصب وإرهاق ، وما عاناه المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم
 الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً بدينهم ، وعرض رسول الله نفسه على قبيلة ثقيف
 وغيرها من القبائل ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذى أنزل معه ، حتى كان حُسن طالع
 أهل يثرب أن شرح الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين
 آمنوا معه ، وكذلك ذكر ما وقع فى المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات
 ومحادثات ومعاهدات نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب
 وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء
 الإيمان ، ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح
 ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وبعد ذلك توالى أخبار أزواج النّبي ثم مرض الرسول وتمريضه فى بيت عائشة

رضى الله عنها . وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأمر ثقيفة بنى ساعدة ، واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصديق خليفة لرسول الله وما كان من أمر تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه ورثاء حسان له .

* الرواد الأوائل من كتاب السير

لقد عني بكتابة السيرة كثير من الرواة والمؤرخين والعلماء ، ومن بين الأسماء الكثيرة التي عنت بكتابة وجمع السيرة ما يلي :

- عروة بن الزبير بن العوام ، المتوفى سنة ٩٣ هـ .
- أبان بن عثمان بن عفان ، المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- شرحبيل بن سعد ، المتوفى سنة ١٢٣ هـ .
- ابن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٤ هـ في كتابه « المغازي »
- عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، المتوفى سنة ١٣٥ هـ .
- موسى بن عقبة ، المتوفى سنة ١٤١ هـ في كتابه « المغازي » أيضاً .
- وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية .، ومنها قطعة منتخبة طبعت في أوربا سنة ١٩٠٤ م .
- معمر بن راشد ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ .
- محمد بن إسحاق بن يسار ، المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وكتابته الذي بين أيدينا الآن وهو المسمى بـ « السير والمغازي » .
- زياد بن عبد الله البكائي ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ .
- الواقدي صاحب كتاب « المغازي » المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
- أبو محمد عبد الملك بن هشام ، الشهير بـ « ابن هشام » صاحب كتاب « السيرة النبوية » المتوفى سنة ٢١٣ هـ .
- محمد بن سعد صاحب كتاب « الطبقات » المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

* شراح السيرة

ولقد تناول السيرة بعد ابن هشام - فريق ممن شرح الله صدورهم للإيمان والعلم

بما فى سيرة المرسلين عليه الصلاة والسلام ، من نور يهدى به الله عباده الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب ، ونخص بالذكر من هؤلاء :

• السهيلي (٥٠٨ / ٥٨١ هـ) .

أما السهيلي ، فهو الذى قام بشرح سيرة ابن هشام فى كتابه : « الروض الأنف » ومنهجه كما جاء فى مقدمة كتابه ما يلى : « إيضاح ما قع فى سيرة ابن إسحاق التى لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته » ، ولا يسعنا هنا فى هذه العجالة أن نؤرخ لهذه الشخصية الفذة ، ومن أراد ذلك فعليه الرجوع إلى كتاب « الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد » .

• ثم أبا ذر الحُشنى (٥٣٥ / ٦٠٤ هـ) وهو مُصعب بن محمد بن مسعود ابن عبد الله بن مسعود الجياني الحُشنى ، كان عالماً بالعربية والحديث وعارفاً بالأدب واللغات ، وأحد من قرض الشعر وكان له ناقدًا ، وكان طويل الباع فى معرفة أخبار العرب وأحداثها وأشعارها وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة وأهمها كتابه فى شرح الغريب من سيرة ابن إسحاق .

* نسخ وطبعات السيرة رواية ابن هشام .

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة ، ويوجد أغلبها فى معظم مكاتب أوربا ، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان « كرابسيك Karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالأرشيديوق « رينر Rainer » والمحفوظة فى مكتبة مدرسة كوبريلى باستانبول (دفر ١١٤٠) ولكن ظهر أنها نسخة من سيرة ابن هشام ، ونحن نؤكد أن كتاب المغازى والسير لابن إسحاق « سيرة ابن إسحاق » باقياً حتى اليوم فى بطون الكتب مثل ما جاء فى كتاب الماوردى « الأحكام السلطانية » وفى الفقرات التى أوردها الطبرى فى تاريخه أيضاً فى بعض المخطوطات الناقصة .

١ - طبعة جوتنجن - وهى أصحها - بألمانيا سنة ١٨٦٠ م بعناية المستشرق وستفيلد فى مجلدين ، مضبوطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صدره ترجمة ابن إسحاق نقلا عن ابن قتيبة

وابن خلكان وابن النجار ، ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل فى ابن إسحاق ومناقبه وما قيل فى الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

٢ - طبعة بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ .

٣ - المطبعة الخيرية فى مصر فى ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ .

٤ - طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .

٥ - طُبعت على هامش كتاب « الروض الأنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ .

٦ - طُبعت على هامش كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » سنة ١٣٣٣ هـ .

٧ - طُبعت فى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعين : الأولى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، والثانية سنة ١٢٧٥ هـ - ١٩٥٥ .

٨ - طُبعت فى مطبعة حجارى للمكتبة التجارية سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

وما نحن لنجمع سيرة ابن إسحاق من المخطوطات التى وقعت لنا ولكنها ناقصة فأكملناها من بطون بعض الكتب التى ذكرناها وما لم نجد له أخذناه من سيرة ابن هشام والتى رواها عن ابن إسحاق حتى جاء كتابنا هذا أشمل مجموع للسيرة والمغازى (سيرة ابن إسحاق) والله الموفق إلى سواء السبيل .

* * *

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة

٨٥ - ١٥١ هـ

١ - نسبه ونشأته

- كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو بكر ، محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : ابن يسار بن كونان ، وفي « عيون الأثر » يقول ابن سيد الناس : هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال : ابن يسار بن كوثان المدني .
- كان جده يسار أول سبي دخل المدينة من العراق ، حيث سباه خالد بن الوليد وأسرّه عام ١٢ هـ - ٦٣٣ م في كنيسة بعين التمر (وهي بلد قرب الأنبار بالعراق) وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، ومن ثم فيقال : يسار المطلبى بالولاء ، المدنى بالمقام .
- وفي المدينة شب محمد بن إسحاق وكُرس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبي ﷺ . وكان له أخوان من رواة الحديث هما : عمر ، وأبو بكر .

٢ - أساتذته

- رأى ابن إسحاق أنس بن مالك - مفتى المدينة وإمام دار الهجرة وصاحب الموطأ في الفقه - وسعيد بن المسيب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعاً مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم وتعلم منهم جميعاً .

٣ - تلامذته

- كما كان لابن إسحاق أساتذة عظماء كان له تلاميذ عظماء وأئمة علماء حدثوا عنه منهم : يحيى بن سعيد الأنصارى وسفيان الثوري ، وابن جريج وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعي ، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم من الحفاظ والعلماء .

كما كان لابن إسحاق تلامذة حفظوا روايته « رواية سيرته » وتناقلوها وهم الرواة الثقات : يونس بن بكير المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، وزيد بن عبد الله البكائي ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، ومحمد بن سلمة الحراني المتوفى سنة ١٩١ هـ .

٤ - مكانة ابن إسحاق وثناء العلماء عليه

محمد بن إسحاق ثبت في الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تُجهل إمامته في المغازي والسير ، فهو رئيس أهل المغازي والسير .

- قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق .
- ذكره البخاري في تاريخه مثنيًا عليه .
- قال الشافعي رحمه الله مثنيًا على ابن إسحاق : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق .

- قال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث .
- ذكر الساجي أن أصحاب الزهري كانوا يلجأون إلى ابن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقة منهم بحفظه .
- حكى عن يحيى بن معين والإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .
- قال عنه المزيبي : محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها .

٥ - مؤلفاته

- يبدو أن ابن إسحاق كان قد دون سيرة النبي ﷺ في كتابين :
- ١ - « كتاب المبتدأ » أو « مبتدأ الخلق » أو « كتاب المبدأ وقصص الأنبياء » وهو تاريخ النبي حتى الهجرة ، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ، ومحمد بن عبد الله بن غير النفيلي المتوفى في سنة ٢٣٤ هـ .
- ٢ - « كتاب المغازي » وهو الذي بين أيدينا الآن - وهو أهم مؤلفاته ولعل هذا الكتاب هو الذي اعتمد عليه الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » والحق أن الفائدة ستكون كبيرة في هذا الكتاب - الذي بين يديك الآن - عزيزي القارئ ؛ الذي جمع النسخة الأصلية بالإضافة إلى كل ما رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام وزائدًا ومكملًا للنسخة الأصلية لسيرة ابن إسحاق ، وبذلك تكون السيرة النبوية لابن إسحاق كاملة في كتاب واحد تضم سيرة الرسول ﷺ كاملة وتنشر لأول مرة بحمد الله .

ولابن إسحاق مؤلف آخر هو :

« كتاب الخلفاء » وقد رواه عنه الأموى ، وقد كان لظهور كتاب « المغارى » أثره على شهرة هذا الكتاب ، فيبدو أنه قلل من شأنه وأطفأ من بريقه .

٦ - رحلات ابن إسحاق طلباً للعلم

حدث أن اصطدم ابن إسحاق بعالم المدينة وأستاذه إمام دار الهجرة الإمام مالك ابن أنس ، فترك ابن إسحاق وطنه « المدينة » ورحل إلى مصر واستقر بها فترة ثم رحل إلى العراق « الكوفة » ولما كان مع العباس بن محمد بالجيزة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه « المغارى » فسمع منه أهل الكوفة ، وذهب إلى « الرى » (وهى مدينة بخراسان) فسمع منه أهلها كذلك ، فرواه من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة ، ثم رحل بعد ذلك إلى بغداد فأقام بها إلى أن لقي ربه .

٧ - تقسيم سيرة ابن إسحاق

يبدو أن ابن إسحاق كان قد صنّف جزءاً كبيراً من السيرة قبل أن يغادر المدينة المنورة ، وصنّف جزءاً آخر فى الكوفة عندما نزل بها وحدث عنه كوفيون كثيرون ، وصنّف جزءاً ثالثاً فى بغداد عندما انتقل إليها وحدث عنه بها كثير أيضاً .

ولتصبح سيرة ابن إسحاق أقسام ثلاثة :

الاولى : من العهد المدنى .

الثانية : من العهد الكوفى .

الثالثة : من العهد البغدادى .

٨ - لماذا كتب ابن إسحاق السيرة ؟

يرجع الفضل فى كتابة جزء من سيرة ابن إسحاق إلى الخليفة العباسى المنصور وذلك أن المنصور كلّف ابن إسحاق بملازمة ابنه المهدى ، فلارمه ابن إسحاق وصحبه طويلاً ، وكان يسافر معه ، وسافر معه إلى خراسان حيث حدث ابن إسحاق هناك بمدينة (الرى) وأملى على من يكتبون وحدث عنه كثير من أهلها .

وبأمر من الخليفة المنصور كلّف ابن إسحاق أن يصنّف السيرة النبوية ، فكتبها

ابن إسحاق ، وسمّاها « كتاب السّير والمغازي » ولما اطلّع عليها الخليفة المنصور طلب منه بعض التعديلات وهو التركيز على دور العباس بن عبد المطلب .

٩ - انتقادات لابن إسحاق والرد عليها .

• قال الشاذكاني : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبى معشر .

ورد على ذلك ابن سيد الناس في « عيون الأثر » بقوله : أما ما رمى به ابن إسحاق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن .

• ولقد طعن الإمام مالك فيه - مرة واحدة - وذلك أن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكا من موالى ذى أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم ، فوقع بينهما مفاوضة ، فلما صنّف مالك « الموطأ » قال ابن إسحاق : ائتوني به فأنا يبطاره (أى طبيب بعلة) فبلغ ذلك مالك فقال : دجال من الدجاجة يروى عن اليهود ، وحدث بينهما خلاف فعزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق ؛ ولم يكن مالك يقدح فيه من أجل الحديث ولكنه كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وغير ذلك من الغرائب عن أسلافهم ، والحق أن ابن إسحاق ما كان فى تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم . وقد صالح الإمام مالك ابن إسحاق قبيل خروجه للعراق وأعطاه عند وداعه خمسين دينارا ونصف ثمرته تلك السنة وقال فى حقه خيرا لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق .

• ومن الانتقادات التى وُجّهت لابن إسحاق أيضا روايته عن فاطمة بنت المنذر ابن الزبير وهى زوج هشام بن عروة بن الزبير .

يروى أن هشامًا ذكره فقال : العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؟! من أين رآها ؟! والحق أن هذا ليس بمستنكر ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يروون عن أزواجه فما منع ذلك أحد . وقد يكون ابن إسحاق استأذن عليها فأذنت له فروى عنها من وراء ستار ، أو كان معهما محرم وهى محجبة ، أو لعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلا ، وهذا الكلام مفترى على ابن إسحاق وهشام .

١٠ - وفاته وكم كان عمره

• توفى ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١ هـ وقيل : سنة ١٥٠ هـ أو ١٥٢ هـ ،
أو ١٥٣ هـ ، والأول أصحها .

• وكان عمره - رحمه الله - ٦٦ عامًا .

دُفن - رضوان الله عليه - فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب
الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد ؛ لأنها مدفونة بها .

* * *

• وأخيرًا فإن كان هذا المؤرخ العظيم قد مات ، فإنه لا يزال حيًا بعلمه
ورواياته وكتابه « المغارى » لأن الميت من مات ذكره ، وسيزال حيًا ما دامت سيرته
باقية تحكى سيرة خير الخلق .

وصدق الشاعر إذ يقول :

موتُ المحبِّ حياة لا انقطاعَ لها قد مات قومٌ وهم فى الناس أحياء

والحمد لله رب العالمين على إتمام هذا العمل الذى أخذ من الجهد أعواما
والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا ، ونسأل الله
أن يتقبل هذا العمل الكريم ويجعله سببًا لشفاعته النبى الأمين لنا يوم الدين ورحمة لنا
ولوالدنيا وأساتذتنا العلماء المستيرين . اللهم آمين .

* * *

المحققان

طه عبد الرؤوف سعد

بدوى طه بدوى

غرة رجب ١٤١٨ أول نوفمبر ١٩٩٧

مراجع المقدمة والترجمة

- ١ - الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلى
- ٢ - بُغية الملتبس الضبى
- ٣ - بُغية الرعاة للسيوطى
- ٤ - تاريخ آداب اللغة العربية جورجى زيدان
- ٥ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان
- ٦ - تاريخ بغداد (مدينة السلام) للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب
البغدادى ٤٦٣ هـ .
- ٧ - تراث الإنسانية (سلسلة) المجلد الأول العدد العاشر
- ٨ - دوائر المعارف الإسلامية
- ٩ - الروض الأنف للسهيلى
- ١٠ - ضحى الإسلام أحمد أمين
- ١١ - عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس
- ١٢ - الفهرست لابن النديم
- ١٣ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية
- ١٤ - معجم الأدباء ياقوت الحموى
- ١٥ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
- ١٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ذِكْرُ سَرَدِ النَّسَبِ الزَّكِيِّ (١)

من محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب - شَيْبَةَ - بن هاشم واسم هاشم - عمرو - بن عبد مَنَاف - واسم عبد مَنَاف المَغِيرَةُ - بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة - واسم مدركة عامر - بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أَدُّ ويقال أَدَد - بن مَقُوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح - وهو آزر - بن ناحور بن ساروغ بن راعو ابن فالخ بن عَيْر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَتُوشَلَخ بن أَخْنُوخ ، وهو إدريس النبي - فيما يزعمون والله أعلم - وكان أول نبي أُعطي النبوة وخطَّ بالقلم - بن يَرْد بن مَهْلِيل بن قَيْن بن يَأْنَش بن شِيث بن آدم - عليه السلام -

قال ابن إسحاق : هذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله ﷺ إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره .

* * *

(١) كل ما رجعنا إليه من مخطوطات « سيرة ابن إسحاق » وجدناه بدأ بحفر زمزم ، فأوردنا الناقص من سيرة ابن هشام مما ذكره ابن إسحاق ورواه ابن هشام في سيرته ، وذلك من أول ذكر سرد النسب الزكي إلى حفر زمزم لتتم الفائدة ، وتكون سيرة ابن إسحاق كاملة تامة .

سِيَاقَةُ النَّسَبِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

* أولاد إسماعيل - عليه السلام ، ونسب أمهم :

قال ابن إسحاق :

ولّد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام ، اثني عشر رجلاً : نابتاً ، وكان أكبرهم وقَيْذَرُ ، وأَذْبُلُ ، ومبشار ، ومسمَعًا ، وماشَى ، ودَمَا ، وأذر ، وطَيْمًا ، وَيَطُور . ونَبَش ، وقَيْذَمًا ، وأمهم رَعْلَةُ بنت مَضَاض بن عمرو الجَرَهْمِي (١) .

* عُمَرُ إسماعيل - عليه السلام - ووفاته :

قال ابن إسحاق :

وكان عُمَرُ إسماعيل - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة . ثم مات - رحمة الله وبركاته عليه - ودفن في الحَجِرِ (٢) مع أمّه هَاجِر (٣) رحمهم الله تعالى .

* حديث الوصاة بأهل مصر وسببها :

قال ابن إسحاق :

حدّثنِي محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهْرِي : أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السُّلَمِي حدّثه أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ ، فاستوصوا بأهلها خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » فقلت لمحمد بن مسلم الزُّهْرِي : ما الرَّحِمُ الَّتِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

فقال : كانت هَاجِرُ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ .

قال ابن إسحاق : عَادُ بن عَوْصِ بن إرم بن سَامِ بن نوح ، وثمود وجَدِيس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسَمٌ وعملاق وأمِيم بنو لاوذ بن سام بن نوح عَرَبٌ كُلُّهُمْ ، فَوَلَدَ نَابِتُ بن إسماعيل : يَشْجُبُ بن نابت ، فولد يَشْجَبُ : يَعْرَبُ بن

(١) ذكر ابن هشام أن مضاض وجرهم من قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) هو حجر الكعبة .

(٣) السيدة هاجر من أهل مصر .

— ١٨ — ابن إسحاق —

يشجب فولد يعرب : تيرج بن يعرب : فولد تيرج ، ناحور بن تيرج فولد ناحور :
مقوم بن ناحور ، فولد مقوم أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد .

* أولاد عدنان :

قال ابن إسحاق :

فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -
فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان (١) .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن
يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها . انظر سيرة ابن هشام
تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط دار الجيل بيروت .

ذِكْرُ نَسَبِ الْأَنْصَارِ

قال حسن بن ثابت الأنصاري ، والأنصار بنو الأوس والحزرج ، ابني حارثة ، ابن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرئ القيس ، بن ثعلبة ، بن مارن ، بن الأسد بن الغوث :

إِمَّا سَأَلْتُ فَإِنَّا مَعَشَرَ نُجُبٍ الْأَسَدُ نَسَبَتْنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ
وهذا البيت في أبيات له .

فقلت اليمن ، وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . ويقال : عدنان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . قال ابن إسحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقُضَاعَة بن معد ، وكان قضاعة بكر معد الذي به يُكْنَى - فيما يزعمون - وقنص بن معد ، وإياد ابن معد .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ - وكان اسم سبأ : عبد شمس - وإنما سمي سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر :

قال ابن إسحاق : وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم - فيما يزعم نُسَاب معد - وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيْق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أتى بسيف (٢)

(١) قال ابن هشام : ويقال : قنص

(٢) وإنما أتى بهذا السيف حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذهائره فأخذت نفائسه من جملتها خمسة أسياف : أحدها : سيف كسرى أبرويز . والثاني سيف كسرى أنوشروان . والثالث : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حين خطب عليه وقتله . ورابعاً : سيف خاقان ملك الترك ، وخامساً : سيف هرقل وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم .

— ٢٠ — ابن إسحاق —

النعمان بن المنذر ، دعا جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِيَّ بن نَوْفَل بن عبد مَنَاف بن قُصَي -
 وكان جُبَيْر من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت
 النسب من أبي بكر الصديق ﷺ ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فَسَلَّحَهُ
 إياه ، ثم قال : ممن كان يا جُبَيْر : النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص
 ابن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لَحْم ^(١) ، من
 ولد ربيعة بن نَصْر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) هو لحْم بن عدى بن الحارث بن مُرة ، وقيل غير ذلك .

أَمْرُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ وَقِصَّةُ سَدِّ مَأْرِبَ

وكان بسبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثني أبو زيد الأنصاري ، أنه رأى جرّدا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النقلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقوم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتبنوا غُضْبَةَ عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل في ولده وولد ولده ، وقالت الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهن عك ، فكانت حربهم سجالا . ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا ^(١) ، ثم ارتحلوا عنهم ، فتفرقوا في البلدان ، فنزل آل جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر : الشام ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خُزَاعَةَ : مَرًّا ، ونزلت أزد السُرَّة : السراة ، ونزلت أزد عمان : عمان . ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسِيَّاءٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنِ بَيْنِ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ^(٢) .

والعرم : السد ، واحدته : عَرْمَةٌ ، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بن قيس ، بن ثعلبة ، بن عكابة ، بن صعب ، بن علي ، بن بكر ، بن وائل ، بن هنب ، بن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد .

وفي ذاك للمؤتسى أسوة	ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير	إذا جاء موآره لم يرم
فأروى الزروع وأعابها	على سعة مائهم إذ قسم

(١) وهو قوله : وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

(٢) سورة سبأ : ١٥ ، ١٦ .

حَدِيثُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ وَرُؤْيَاهُ

رُؤْيَا رَبِيعَةَ :

قال ابن إسحاق : وكان ربِيعَةُ بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا حالته ، وفضع بها ، فلم يدع كاهنًا ، ولا ساحرًا ، ولا عائفًا ^(١) ، ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي ، وفضعت بها ، فأخبروني بها وتأويلها ، قالوا له : أقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيطِ ^(٢) وشق ^(٣) ، فإنه ليس أحد مثلهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيطٌ قبل شق ، فقال له : إني رأيت رؤيا هالتي ، وفضعت بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . قال : أفعل ، « رأيت حُمَّةً ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جُمجمة » ^(٤) .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئًا يا سَطِيط ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، لتبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سَطِيطًا : لأنه كان جسمًا ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا غضب انتفخ فجلس . ويذكر أن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسَطِيط : أتى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء . من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام ، فهو يؤدي إلى من ذلك ما يؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة . ورجل واحدة ، وعين واحدة وولد شق وسَطِيط في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة وهي بنت الخير الحميرية امرأة عمرو ابن عامر فدعت بشق وسَطِيط قبل أن تموت فتفقت في فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها في كهانتها

(٤) الجُمجمة : الفحمة المحرقة ، والظلمة : الظلام ، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان ، وأرض تهمة أي منخفضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جُمجمة » ولم يقل : كل ذي جُمجمة لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أهم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

أَبِينِ إِلَى جُرُشٍ (١) ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَبِيكَ يَا سَطِيحُ ، إِنَّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ ، فَمَتَى هُوَ كَائِنٌ ، أَفَى زَمَانِي هَذَا ، أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بِحِينٍ ، أَكْثَرَ مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ بِمَضِيِّينَ مِنَ السِّنِينَ . قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِمْ أَمْ يَنْقُطِعُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ يَنْقُطِعُ لِبُضْعٍ وَسَبْعِينَ مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ ، وَيُخْرِجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ . قَالَ : وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : يَلِيهِ إِرْمُ ذِي يَزَنَ (٢) ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرَكَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ .

قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، أَمْ يَنْقُطِعُ ؟

قَالَ : لَا ، بَلْ يَنْقُطِعُ .

قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ : نَبِيُّ رَكِي ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قَبْلِ الْعَلِيِّ ، قَالَ : وَمَنْ هَذَا النَّبِيُّ ؟

قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ ، وَالْآخَرُونَ ، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ . قَالَ : أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَالشَّفَقُ وَالْغُسْقُ ، وَالْفُلُقُ إِذَا اتَّسَقَ ، إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ شَقٌّ ، فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لِسَطِيحٍ ، وَكُتْمِهِ مَا قَالَ سَطِيحُ ، لِيَنْظُرَ أَيْتَفَقَانِ أَمْ يَخْتَلِفَانِ . فَقَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُ حُمَةً ، خَرَجَتْ مِنْ ظُلْمَةٍ ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةِ أَكْمَةٍ ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَسْمَةٍ .

قَالَ : فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، عَرَفَ أَنَّهُمَا قَدْ اتَّفَقَا ، وَأَنْ قَوْلُهُمَا وَاحِدٌ .

إِلَّا أَنْ سَطِيحًا قَالَ : « وَقَعَتْ بِأَرْضِ تَهَمَةٍ ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جَمِجَمَةٍ » .

(١) بَنُو حَبْشَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ وَبِهِ سَمِيَتْ الْحَبْشَةُ ، وَأَبِينُ هَكَذَا رَوَيْتُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ذَكَرَهَا سَبِيوِيهِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ عَلَى مِثْلِ إِصْبَعٍ . وَقَالَ ابْنُ مَكُولَا هُوَ أَبِينُ بْنُ زَهِيرِ بْنِ أَيْمَنِ بْنِ الْهَمِيسَعِ مِنْ حَمِيرٍ ، أَوْ مِنْ حَمِيرٍ سَمِيَتْ بِهِ الْبَلَدَةُ . وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ : أَنَّ أَبِينَ وَعَدَنَ ابْنَا عَدْنَانَ سَمِيَتْ بِهِمَا الْبَلَدَتَانِ ، وَجُرُشٌ : مَدِينَةُ بِالْيَمَنِ .

(٢) الْمَعْرُوفُ أَنَّ اسْمَهُ : سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ إِرْمًا ، لِأَنَّ الْإِرْمَ هُوَ الْعِلْمُ لِمَدْحِهِ بِذَلِكَ ، وَإِمَّا شَبَّهَ بِعَادِ إِرْمَ لِي عَظَمِ الْخَلْقَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .
 فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟ .
 قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن
 على كل طَفْلة البنان (١) ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .
 فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو كائن ؟
 أفى زمانى . أم بعده ؟ .
 قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويُذيقهم أشد
 الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس بدنى ، ولا مدن (٢) ،
 يخرج عليهم من بيت ذى يزن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .
 قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق
 والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ، قال :
 وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ،
 يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى
 الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع
 وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمض (٣) .

* * *

(١) الطفلة : المرأة الناعمة الرخصة . والبنان : الإصبع .
 (٢) المدن : الذى جمع الضعف مع الدناءة .
 (٣) أى ما فيه باطل .

استيلاء أبي كَرَبِ تَبَّانَ أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان ابن تَبَّانِ أسعد ^(١) أبي كَرَبِ - وتَبَّانِ أسعد هو : تَبَّعُ الآخر ، ابن كُلِّي كَرَبِ بن زيد ، وزيد هو تَبَّعُ الأول بن عمرو ذى الأذعار ^(٢) ابن أبرهة ذى المنار ^(٣) ابن الرِّيش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظُّلَم ، ابن زيد بن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن العرنجج ، والعرنجج حمير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يَشْجُب ، ابن قحطان .

قال ابن إسحاق: وتَبَّانِ أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة، وساق الحَبْرَيْنِ من يهود المدينة إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلْكِ ربيعة بن نصر .
تَبَّانِ يَغْضِبُ على أهل المدينة :

قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه - حين أقبل من المشرق - على المدينة ، وكان قد مر بها فى بدْأته ، فلم يَهْجِ أهلها ، وخَلَّفَ بين أظهرهم ابنًا له ، فقتل غيلة ، فقدمها ، وهو مُجْمَعٌ لإخراؤها ، واستئصال أهلها، وقطع نخلها ^(٤) ،

(١) اسمان جعلاً اسمًا واحدًا ، ويصح جعل الإعراب فى الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثانى إليه ويجوز جعل الإعراب فى الجزء الثانى من الاسم . وتَبَّانِ : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبّين وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ، لأنه أوغر فى ديار المغرب وسبأ أمة ذات شكل غريب ، فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيرانًا فى جبال ليهتدى بها فى إحدى غزواته .

(٤) يذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستضافوهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ، ثم أحد بني عمرو بن مبدول ، واسم مبدول : عامر ، بن مالك ، بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو بن الحزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

قصة مقاتلة ثبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بني عدى بن النجار يقال له : أحمر ، عدداً على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده في عذق له يجده (١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره (٢) ، فزاد ذلك تبعاً حنقاً عليهم قال : فاقتتلوا ، فتزعّم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرؤنه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينما تبع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بني قريظة ، وقريظة والنضير والنحام وعمرو - وهو هذال (٣) - بنو الحزرج بن الصريح بن التومان (٤) ، بن السبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوى ، بن خير ، ابن النحام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عزرى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، ابن قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن - صلى الله عليهم - عالمان راسخان في العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :
أَصْحَابُ أُمِّ قَدْ نَهَى ذُكْرَهُ أُمِّ قَضَى مَن لَذَّةً وَطَرَهُ (٥)

(١) العذق : النخل ، ويجده : يقطعه .

(٢) أبر النخل : لقحه وأصلحه .

(٣) هذل : بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر : هذل هذلا إذا استرخت شفته ، وذكره

الأمير بن ماكولا عن أبي عبدة النسابة فقال فيه : هذل بسكون الدال .

(٤) التومان : على وزن فعلان . كأنه من لفظ التَّوَم ، وهو الدر .

(٥) الذكر : جمع ذكر ، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالالف وقلما يجمع فعلى على

فعل وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد في هذا البيت جمع ذكرى ، وشبه ألف التأنيث =

- أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ ، وَمَا
إِنَّهٗمَا حَرْبٌ رَّبَاعِيَّةٌ
فَاسْأَلَا عِمْرَانَ ، أَوْ أَسَدًا
فَلِيقَ فِيهٖمَا أَبُو كَرْبٍ
ثُمَّ قَالُوا : مَن نُّؤْمُ بِهِمَا
بَلْ بَنَى النُّجَّارُ إِن لَّنَا
فَتَلَقَّيْتَهُم مُّسَافِرَةً
فِيهِم عَمْرُو بْنُ طَلَّةَ مَـ
سَيِّدٌ سَامَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
ذِكْرَكَ الشَّبَابِ أَوْ عَصْرَهُ (١)
مِثْلَهَا أَتَى الْفَتَى عِبْرَهُ (٢)
إِذْ أَتَتْ عَدُوًّا مَعَ الزَّهْرَةِ (٣)
سَبَّغَ أَبْدَانَهَا ذَفْرَهُ (٤)
أَبْنَى عَوْفَ ، أَمْ النُّجْرَهُ ؟ (٥)
فِيهِم قَتْلَى ، وَإِنْ تَرَهُ (٦)
مَدَّهَا كَالْغَيْبَةِ النَّشْرِ (٧)
لَّى إِلَهِ قَوْمِهِ عُمَرَهُ (٨)
رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

- = بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان فى معناه .
(١) أَوْ عَصْرَهُ ، أَرَادَ أَوْ عَصْرَهُ وَهَمَا لَفْتَانِ كَمَا قَالَ ابْنُ جَنَى لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى وَرْنِ فَعْلٍ
يَمْتَنِعُ فِيهِ فَعْلٌ . انْظُرِ الرُّوضُ الْأَنْفَ تَحْقِيقُ طَهَ عَبْدُ الرَّءُوفِ سَعْدُ ج ١ ص ٣٧ .
(٢) حَرْبٌ رَّبَاعِيَّةٌ : مِثْلُ . أَى لَيْسَتْ بِصَغِيرَةٍ وَلَا جَذْعَةٍ ، بَلْ هِىَ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَضَرْبُ
سِنِّ الرَّبَاعِيَّةِ مِثْلًا ، كَمَا يُقَالُ : حَرْبُ عَوَانَ ، لِأَنَّ الْعَوَانَ أَقْوَى مِنَ الْفَتَى وَأَدْرَبُ .
(٣) يُرِيدُ صَبَحَهُمْ بِغُلَسٍ : وَهِيَ ظِلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ قَبْلَ مَغِيبِ الزَّهْرَةِ : وَهِيَ نَجْمٌ مَعْرُوفٌ
شَدِيدُ اللَّمْعَانِ .
(٤) سَبَّغَ : كَامِلَةٌ . وَالْأَبْدَانُ : الدَّرُوعُ . وَذَفْرَةُ مِنَ الدَّفْرِ وَهِيَ سَطْوَعُ الرَّائِحَةِ طَيِّبَةٍ
كَانَتْ أَوْ كَرِيهَةٍ ، وَأَمَّا الدَّفْرُ ، فَإِنَّهُ فِيمَا كَرِهَ مِنَ الرِّوَاتِحِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلدُّنْيَا أَمْ دَفْرٌ .
(٥) النُّجْرَةُ : جَمْعُ نَاجِرٍ ، وَالنَّاجِرُ وَالنُّجَّارُ : بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ الْمُنَازِدَةُ فِي
بَنَى الْمُنْذِرَ وَالنُّجَّارَ ، وَهَمَّ : تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَاسْمُ النُّجَّارِ ، لِأَنَّهُ نَجَرَ
وَجْهَ رَجُلٍ بِقُدُومٍ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ النَّسَبِ .
(٦) فِيهِم قَتْلَى وَإِنْ تَرَهُ : أَظْهَرَ إِنْ بَعْدَ الْوَائِ . أَرَادَ : إِنْ لَهَا قَتْلَى وَتَرَهُ ، وَالتَّرَةُ الْوَتَرُ
انْظُرِ تَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ تَحْقِيقُ طَهَ عَبْدُ الرَّءُوفِ سَعْدُ ج ١ ص ٣٨ .
(٧) مُسَافِرَةٌ : أَى كَتَبِيَّةٌ مُسَافِرَةٌ ، وَالْغَيْبَةُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ ، وَالنُّشْرَةُ ، الْمُنْشَرَةُ ، وَهِيَ
الَّتِى لَا تَمْسُكُ الْمَاءَ .
(٨) مَلَى : مِنْ قَوْلِهِمْ : تَمَلَّيْتُهُ حِينًا ، أَى عَشْتُ مَعَهُ حِينًا وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَلَاوَةِ
وَالْمَلُوبِنِ . وَفِى الْقَامُوسِ . مَلَكَ اللَّهُ حَبِيبَكَ تَمَلَّى : مَتَعَكَ بِهِ ، وَتَمَلَّى عَمْرَهُ . اسْتَمْتَعَ فِيهِ ،
وَالْمَلَا : الصَّحْرَاءُ ، وَالْمَلُوانُ : اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ .

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فمنعوههم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حَنَقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبَا أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ

تَبَعَ يَذْهَبُ إِلَى مَكَّةَ وَيَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوْثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ ، وَأَمَجَ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ هَذِيلِ بْنِ مَدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مِضَرٍ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍ ، فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَلَا نَدْلِكَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ دَائِرٍ ، أَغْفَلَهُ الْمُلُوكُ قَبْلَكَ ، فِيهِ اللَّوْلُؤُ وَالزَّبَرْجَدُ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالُوا : بَيْتٌ بِمَكَّةَ يَعْبُدُهُ أَهْلُهُ ، وَيَصِلُونَ عِنْدَهُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ الْهَذِيلِيُّونَ هَلَاكَهُ بِذَلِكَ ، لَمَّا عَرَفُوا مِنْ هَلَاكِ مَنْ أَرَادَهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَبَغَى عِنْدَهُ . فَلَمَّا أَجْمَعَ لَمَّا قَالُوا ، أَرْسَلَ إِلَى الْحَبَرِيِّينَ ، فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَا لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَوْمُ إِلَّا هَلَاكَكَ وَهَلَاكَ جَنْدِكَ . مَا نَعْلَمُ بَيْتًا لِلَّهِ اتَّخَذَهُ فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ غَيْرَهُ ، وَلَئِنْ فَعَلْتَ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، لَتَهْلِكَنَّ ، وَلِيَهْلِكَنَّ مِنْ مَعَكَ جَمِيعًا ، قَالَ : فَمَاذَا تَأْمُرَانِي أَنْ أَصْنَعَ إِذَا أَنَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : تَصْنَعُ عِنْدَهُ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ : تَطُوفُ بِهِ وَتَعْظُمُهُ وَتَكْرُمُهُ ، وَتَحْلِقُ رَأْسَكَ عِنْدَهُ وَتَذُلُّ لَهُ ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْتُمَا مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَا : أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَيْتُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّهُ لَكُمْ أَخْبَرْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَهْلُهُ حَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْأَوْثَانِ الَّتِي نَصَبُوهَا حَوْلَهُ ، وَبِالدِّمَاءِ الَّتِي يَهْرَقُونَ عِنْدَهُ ، وَهُمْ نَجَسُ أَهْلِ شَرْكَ - أَوْ كَمَا قَالَا لَهُ - فَعَرَفَ نَصَحَهُمَا وَصَدَّقَ حَدِيثَهُمَا فَقَرَّبَ النَّفَرَ مِنْ هَذِيلٍ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، وَنَحَرَ عِنْدَهُ ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَيَّامٍ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - يَنْحَرُ بِهَا لِلنَّاسِ وَيَطْعَمُ أَهْلَهَا ، وَيَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ ، وَأَرَى فِي الْمَنَامِ أَنْ يَكْسُو الْبَيْتَ ، فَكَسَاهُ الْخَصْفَ^(١) ثُمَّ أَرَى أَنْ يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَسَاهُ الْمَعَاْفَرُ^(٢) ، ثُمَّ أَرَى أَنْ يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَسَاهُ الْمَلَاءُ وَالْوَصَائِلُ^(٣) ، فَكَانَ

(١) الخصف : جمع خصفة وهى شئ ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضاً : الثياب الغليظة .

(٢) المعافر : ثياب يمنية .

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة . والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن .

تُبَع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت (١) ، وأوصى به ولاته . من جرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مثلاتا - وهي المحايض (٢) - وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبَيْعة بنت الأحب (٣) ، بن رُبَيْنة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوارن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَفَة ابن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظم عليه حرمة مكة ، وتناه عن البغى فيها ، وتذكر تبعا وتذللها لها ، وما صنع بها :

أَبْنَى : لا تَظْلِمُ بِمَكَّةَ	لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بَنَى	ولا يغرنك الغرور
أَبْنَى : مَنْ يَظْلِمُ بِمَكَّةَ	يلق أطراف الشرور
أَبْنَى : يُضْرَبُ وَجْهُهُ	ويُلْحُ بخسديه السعير
أَبْنَى : قَد جَرَّبَتْهَا	فوجدت ظالمها يبور (٤)
الله آمنها ، وما	بُنيت بعرصتها قصور
الله آمن طيرها	والعصم تأمن في ثيبر (٥)
ولقد غزاها تبَع	فكسا بنيتها الحبير (٦)

= ويروى أن تبعا لما كسا البيت المسوح والانطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها .

(١) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطني : أنها قتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيرا ، فنذرت : إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ، ففعلت ذلك حين وجدته . وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير .

(٢) لم يرد النساء الحيض ، لأن حائضا لا يجمع على محائض ، وإنما هي جمع محيضة ، وهي خرقه المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مثلاء ، وجمعها : المآلى .

(٣) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب - بالجيم - وقد قالت هذا الشعر في حرب كانت بين بني السباق بن عبد الدار ، وبين بني علي بن سعد بن تيم حتى تفانوا .

(٤) يبور : يهلك .

(٥) العصم : الوعول تعتصم في الجبال ، وثبير : جبل بمكة .

(٦) بنيتها : الكعبة . والحبير : نوع موشى من ثياب اليمن .

وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِيَا
وَيَظَلُّ يُطْعِمُ أَهْلَهَا
يَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ
وَالْفِيلَ أَهْلَكَ جَيْشَهُ
وَالْمَلِكَ فِي أَقْصَى الْبَلَا
فَاسْمَعْ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَافِ
فِيهَا فَأَوْفَى بِالنَّـزْرِ
بِفَنَائِهَا أَلْفَا بَعِيْرُ
لَحْمِ الْمَهَارَى وَالْجُزُورِ (١)
مَصْفَى وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرِ (٢)
يُرْمُونَ فِيهَا بِالصَّيْخُورِ
دِ وَفَى الْأَعَاجِمِ وَالْخَزِيرِ (٣)
هُمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده
وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه ،
حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

* * *

(١) المهاري : الإبل النجبية .

(٢) الرحيض : المنقى والمصفى .

(٣) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم .

« مُحَاكِمَةٌ تَبِعَ إِلَى النَّارِ »

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أن تبعًا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكمنا إلى النار قال : نعم . قال : وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذمرهم^(١) من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصفت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محدث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فذنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه ، فأصفت^(٢) عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أي ذلك كان .

هدم البيت المسمى رثام^(٣) : قال ابن إسحاق . وكان رثام بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ويكلمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجاه منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقياه اليوم^(٤) - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه .

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم . (٢) أصفت : اجتمعت .

(٣) رثام : على وزن فعال ، مأخوذ من رامت الأثني ولدها أي عطف عليه ورحمته ، فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسونها في عبادته على زعمهم .

(٤) أي زمن المؤلف ابن إسحاق - رحمه الله - وذلك قبل عام ١٥٠ هـ .

مُلْكُ حَسَانِ بْنِ ثُبَّانٍ وَقَتْلُهُ عَلَى يَدِ أَخِيهِ عَمْرُو

فلما ملك حَسَانُ بْنُ ثُبَّانٍ أَسْعَدَ أَبِي كَرْبٍ ، سَارَ بِأَهْلِ الْيَمَنِ ، يَرِيدُ أَنْ يَطَّأَ بِهِمْ أَرْضَ الْعَرَبِ ، وَأَرْضَ الْأَعَاجِمِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ أَرْضِ الْعِرَاقِ كَرِهَتْ حَمِيرٌ وَقِبَائِلُ الْيَمَنِ الْمَسِيرَ مَعَهُ ، وَأَرَادُوا الرُّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَأَهْلِهِمْ ، فَكَلَمُوا أَخَاهُ لَهُ يَقَالُ لَهُ عَمْرُو ، وَكَانَ مَعَهُ فِي جَيْشِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : اقْتُلْ أَخَاكَ حَسَانَ ، وَتَمْلِكْكَ عَلَيْنَا ، وَتَرْجِعْ بَنَا إِلَى بِلَادِنَا ، فَأَجَابَهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا ذَا رُعَيْنَ الْحَمِيرِي فَإِنَّهُ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ . فَقَالَ ذُو رُعَيْنَ (١) :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنُومَ سَعِيدٍ مِنْ يَبِيتٍ قَرِيرٍ عَيْنٍ (٢)

فَلَمَّا حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْلِرَةُ الْإِلَهِ لَذَى رُعَيْنٍ

ثُمَّ كَتَبَهُمَا فِي رَقْعَةٍ ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا عَمْرًا ، فَقَالَ لَهُ : ضَعْ لِي هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَكَ فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَتَلَ عَمْرُو أَخَاهُ حَسَانَ ، وَرَجَعَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ :

لَا هَ عَيْنَا الَّذِي رَأَى مِثْلَ حَسَا نَ قَتِيلَا فِي سَالَفِ الْأَحْقَابِ (٣)

قَتَلْتُهُ مَقَاوِلُ خَشْيَةِ الْحَبْسِ غَدَاةَ قَالُوا : لَبَّابِ لَبَابِ (٤)

مَيْتُكُمْ خَيْرِنَا وَحْيُكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكَلْكُمُ أَرْبَابِي

(١) ذُو رُعَيْنٍ : تصغير رعين ، والرعين : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذُو رُعَيْنٍ .

(٢) معناه : أَمِنْ يَشْتَرِي ، وَحَسَنَ حَذَفَ أَلْفَ الْأَسْتِفْهَامِ لِتَقْدِيمِ هَمْزَةِ أَلَا . وَفِي الْبَيْتِ حَذَفَ تَقْدِيرُهُ : بَلْ مِنْ يَبِيتٍ قَرِيرٍ عَيْنٍ هُوَ السَّعِيدُ ، فَحَذَفَ الْخَبَرَ لِدَلَالَةِ أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ .

(٣) لَا هَ : أَرَادَ اللَّهُ وَحَذَفَ لَامَ الْجَرِّ وَاللَّامَ الْآخَرَى مَعَ أَلْفِ الْوَصْلِ ، وَهَذَا حَذَفٌ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ جَارٍ فِي هَذَا الْأَسْمِ خَاصَّةً لِكثَرَةِ دَوْرِهِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ . مِثْلُ قَوْلِ الْفَرَاءِ : لَهْنُكَ مِنْ بَرَقَ عَلَى كَرِيمٍ

أَرَادَ : وَاللَّهُ إِنَّكَ . انْظُرْ هَذَا الْمَوْضُوعَ مَفْصُلًا فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ تَحْقِيقَ طَرَفِ عَبْدِ الرَّءُوفِ سَعْدٍ ج ١ ص ٤٣ .

(٤) الْمَقَاوِلُ : يَرِيدُ الْأَقْيَالُ ، وَهُمْ الَّذِينَ دُونَ التَّبَاعَةِ وَاحِدُهُمْ قَبِيلٌ وَأَصْلُهُ قَبِيلٌ مِثْلُ سَيْدٍ وَاسْتَعْمَلَ بِالْبَاءِ فِي إِفْرَادِهِ وَجَمْعِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ الْوَاوُ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : الَّذِي يَقُولُ وَيَسْمَعُ قَوْلَهُ .

وقوله : لَبَّابِ لَبَّابِ : لا بأس لا بأس بلغة حمير .

• هلاك عمرو وتفرق حمير :

قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تَبان اليمَن مُنِعَ منه النوم ، وسلَّط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء ، والحُزَاةَ من الكُهَّان ، والعرَّافين عمَّا به ، فقال له قائل منهم إنه والله ما قتل رجل قطُّ أخاهُ أو ذا رَحِمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه ، إلَّا ذهب نومه ، وسلَّط عليه السهر ، فلما قِيلَ له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حَسَّان من أشراف اليمَن ، حتى خلص إلى ذى رعين فقال له : يا ذو رعين : إن لى عندك براءة ، فقال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دَفَعْتُ إليك ، فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، وهلك عمرو فمرج (١) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

خبر لَخْنِيعة وذى نُوَاس : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له لَخْنِيعة ينوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان لَخْنِيعة امرأ فاسقًا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك . فيقع عليه فى مَشْرِبةٍ له قد صنعها لذلك ، لئلا يُمَلِّكَ بعد ذلك ، ثم يطلع من مَشْرِبته تلك إلى حَرَسِه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا ، فجعله فى فيه ، أى : ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى رُزعة ذى نُوَاس بن تَبان أسعدَ أخى حَسَّان ، وكان صبيا صغيرا حين قُتل حَسَّان ، ثم شَبَّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ، عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديدا لطيفا ، فخبَّاه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فوائبه ذو نُوَاس ، فوجَّاه (٢) حتى قتله ، ثم حَزَّ رأسه ، فوضعه فى الكُوَّة التى كان يشرف منها ، ووضع مسواكه فى فمه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نُوَاس أَرَطِبُ أو يَبَّاس فقال : « سَلْ تَحْمَاس ، استرطبان ذو نواس استرطبان لابس » (٣) .

(١) أى اختلط والتبس ، وأصبحوا فى فوضى .

(٢) وجَّاه : ضربه .

(٣) قال ابن هشام : هذا كلام حمير .

وتحماس (١) . الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا في أثر ذى نُوَاس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك ؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث .
* ملك ذى نُوَاس :

فملكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود ، وتسمى : يوسف ، فأقام في ملكه زمانا .
* سبب وجود النصرانية بنجران :

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .
وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فيميون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .
* فيميون (٢) وصالح ونشر النصرانية :

قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى ليبيد مولى الأحنس ، عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القرى ، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها . وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بناءً يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسي ، قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد أتبعه صالح . وفيميون لا يدرى ، فجلس

(١) حماس : قيل هو رجل متهم ثم تاب .

(٢) فيميون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحيى ، وكان أبوه ملكا فتوفى . وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه . ففر من الملك ولزم السباحة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

صالح منه منظر العين مستخفيا منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى .
 فينما هو يصلى إذا أقبل نحوه التَّين - الحية ذات الرؤوس السبعة (١) - فلما رآها
 فَيَمِيُون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فَعِيل عَوْلُهُ :
 فصرخ يا فيميون ، التَّين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ
 منها وأمسى وانصرف وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال
 له : يا فَيَمِيُون . تعلم والله أني ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك ،
 والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك
 تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفتنون لشأنه ، وكان إذا
 فاجأه العبد به الضر دعا له فَشَفَى ، وإذا دعى إلى أحد به ضر لم يأت به وكان لرجل
 من أهل القرية ابن ضير ، فسأل عن شأن فَيَمِيُون ، فقليل له إنه لا يأتى أحدا دعاه ،
 ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه في
 حجرته ، وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون ، إني قد أردت أن أعمل في
 بيتي عملا ، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل
 حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط
 الرجل الثوب عن الصبي (٢) ، ثم قال له : يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما
 ترى ، فادع الله له ، فدعا له فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس ، وعرف فيميون أنه
 قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبه صالح ، فينما هو يمشى في بعض الشام إذ مر
 بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت
 أنظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح
 حتى تقوم علىّ فإنى مَيِّت الآن . قال فمات ، وقام عليه حتى وراه ، ثم انصرف
 وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب . فَعَدُوا عليهما فاختطفتهما سياراة من
 بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بَنَجْرَان ، وأهل نَجْرَان يومئذ على دين
 العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد في كل سنة . إذا كان ذلك
 العيد علقوا كل ثوب حسن وجدوه ، وحلّى النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها
 يوما .

(١) الرؤوس السبعة أى : القرون السبعة .

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة .

فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخرٌ ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجّد في بيت له أسكنه إياه سيّده - يصلى - استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيّده ، فأعجبه ما يرى منه . فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبدته ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه قال : فقام فيميون ، فتطهّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجَعَفَتْهَا (١) من أصلها فالقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فجعلهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران :

* * *

خبر عبد الله بن الثامر وقصة أصحاب الأخدود

* فيميون وعبد الله بن الثامر والاسم الأعظم :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران : القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يُعلّم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه وهب بن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابنتى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر . ويعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذ مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبدته ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه -

(١) جعفتها : أسقطتها .

فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخى ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه .
والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ،
فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتَخَوَّفَ ضعفه فيه ، عمد إلى
قداح (١) فجمعها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدح ، لكل اسم قدح ،
حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها ، قدحاً قدحاً ، حتى إذا مر
بالاسم الأعظم قذف بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً ، فأخذه
ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو
كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخى ! قد أصبته
فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل
نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحدُ الله ، وتدخل فى
دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله
ويُسَلِّم ، ويدعو له فيُشْفى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على
أمره ، ودعا له فعوفى ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت
على أهل قريتي ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر على
ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى
الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء
إلا هلك ، فيلقى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله
ابن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحدُ الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك
إن فعلت ذلك ، سلَّطت على فقتلتنى ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد
شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده ، فشجَّه شجرة غير كبيرة ، فقتله
ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان
على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل
دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .
قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى ، وبعض أهل نجران
عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

(١) القداح : السهام .

ذُو نُوَاسٍ يَدْعُو أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ : فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ ،
فَدَعَاهُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ، وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ وَالْقَتْلِ ، فَاخْتَارُوا الْقَتْلَ ، فَخَدَّ لَهُمُ
الْأَخْدُودَ (١) ، فَحَرَّقَ مِنْ حَرِّ النَّارِ وَقَتْلٍ مِنْ قَتْلِ السَّيْفِ ، وَمِثْلَ بِهِمْ ، حَتَّى قَتَلَ
مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا ، فَفِي ذِي نُوَاسٍ وَجَدَهُ تِلْكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارِ ذَاتَ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ . (سورة البروج ٤ - ٨) .

نَهَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَيَقَالُ : كَانَ فَيَمَنْ قَتَلَ ذُو
نُوَاسٍ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ رَأْسَهُمْ وَإِمَامَهُمْ .
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ
حَدَّثَ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ كَانَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَفَرَ خَرِبَةً
مِنْ خَرِبِ نَجْرَانَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَوَجَدُوا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الثَّامِرِ تَحْتَ دَفْنٍ مِنْهَا قَاعِدًا ،
وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى ضَرْبَةٍ فِي رَأْسِهِ ، مُمْسِكًا عَلَيْهَا بِيَدِهِ ، فَإِنْ أُخْرِتَ يَدُهُ عَنْهَا تَنَبَّعَتْ
دَمًا ، وَإِذَا أُرْسِلَتْ يَدُهُ رَدَّهَا عَلَيْهَا ، فَأُمْسَكَتْ دَمَهَا ، وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ :
« رَبِّي اللَّهُ » فَكُتِبَ فِيهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يُخْبِرُ بِأَمْرِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : أَنَّ أَقْرَوَهُ عَلَى حَالِهِ وَرَدُّوا عَلَيْهِ الدَّفْنَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا (٢) .

فَرَارَ دَوْسٌ ذِي ثُعْلَبَانَ مِنْ ذِي نُوَاسٍ وَاسْتَنْجَادَهُ بِقِيصَرٍ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَأٍ ، يَقَالُ لَهُ دَوْسٌ ذُو ثُعْلَبَانَ عَلَى

(١) رَوَى ابْنُ سَنَجَرٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ : الَّذِينَ خَدَّدُوا الْأَخْدُودَ ثَلَاثَةً : تَبَعَ صَاحِبُ
الْيَمَنِ ، وَقِسْطَنْطِينَ ابْنَ هِلَانِي - وَهِيَ أُمَةٌ - حِينَ صَرَفَ النَّصَارَى عَنِ التَّوْحِيدِ وَدِينِ الْمَسِيحِ إِلَى
عِبَادَةِ الصَّلِيبِ ، وَبَخْتَنَصَّرَ مِنْ أَهْلِ بَابِلَ حِينَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ ، فَامْتَنَعَ دَانِيَالُ
وَأَصْحَابُهُ ، فَأَلْقَاهُمْ فِي النَّارِ ، فَكَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِمْ .

(٢) يَصْدُقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ ﴾ . وَمَا وَجَدَ مِنْ شُهَدَاءٍ أَحَدٍ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لَمْ يَتَغَيَّرُوا بَعْدَ الدَّهْرِ
الطَّوِيلَةِ ، كَحِمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَإِنَّهُ وَجَدَ حِينَ حَفَرَ مَعَاوِيَةَ الْعَيْنَ صَحِيحًا لَمْ يَتَغَيَّرْ
وَأَصَابَتْ الْفَأْسُ أَصْبَعَهُ قَدَمَيْتٍ . وَكَذَلِكَ أَبُو جَابِرٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ
. وَطَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، اسْتَخْرِجَتْهُ بَنَتُهُ عَائِشَةُ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ أَمَرَهَا فِي الْمَنَامِ بِنَقْلِهِ فَاسْتَخْرِجَتْهُ
مِنْ مَوْضِعِهِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ . وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَشْكُ فِي قَوْلِهِ أَنَّهُ رَأَى حِينَ إِصْلَاحِ
بَعْضِ الطَّرِيقِ كَثِيرًا مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي حَرْبِ فَلَسْطِينَ لَمْ يَتَغَيَّرُوا بَعْدَ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ .

فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشي ينصر دوسا : فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له : أرياط - ومعه فى جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان .

نهاية ذى نواس : وسار إليه ذو نواس فى حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجّه فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضحْضَاح (١) البحر ، حتى أفضى به إلى غمره (٢) ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها (٣) .

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة : « لا كدوسٍ ولا كأعلاق رحله » (٤)

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذى جدن الحميرى فى هذه القصة : وقال ذو جدن الحميرى :

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره .

(٢) الغمر : الماء الكثير .

(٣) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة : صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يدا واحدة عليهم فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزانته وأمواله على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشي بذلك فقبل ، ثم كتب ذو نواس إلى كل موضع ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فوجه النجاشي جيشاً إلي أبرهة وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ويسبى ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .

(٤) الأعلاق : النفائس .

هَوْنَكَ (١) لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعَ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكِي أَسَفًا فِي إِثْرٍ مِنْ مَاتَا
أَبْعَدَ يَبْنُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَبَعْدَ سِلَاحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَيْبَاتَا ؟
يَبْنُونَ وَسِلَاحِينَ وَغُمْدَانِ : مِنْ حَصُونِ الْيَمَنِ الَّتِي هَدَمَهَا أَرْيَاطُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
النَّاسِ مِثْلَهَا .

وَقَالَ ذُو جَدْنٍ أَيْضًا :

دَعَيْنِي - لَا أَبَالِكَ - لَنْ تُطِيقِي (٢) لَحَاكَ اللَّهُ ! قَدْ أَنْزَفْتَ رِيقِي (٣)
لَدَى عَزَفِ الْقِيَانِ إِذْ أَنْتَشِينَا وَإِذْ نُسْقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ (٤)
وَشُرْبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارًا إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرَبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ (٥)
وَلَا مُتْرَهَّبٌ فِي أُسْطُوانٍ يُنَاطِحُ جُدْرَهُ بَيِّضُ الْأَثُوقِ (٦)
وَعُمْدَانُ (٧) الَّذِي حَدَّثْتُ عَنْهُ بَنُوهُ مُسَمِّكَ فِي رَأْسِ نَيْقِ (٨)
بِمَنْهَمَةٍ ، وَأَسْفَلُهُ جُرُونٍ وَحُرُّ الْمَوْحَلِ اللَّثْقِ الزَّلْيِيقِ (٩)

- (١) هونك : ترفقى ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ، هونكما لن
يرد . وهو من باب قول العرب للواحد : افعل .
(٢) أى لن تطيقي صرفى بالعذل عن شأنى .
(٣) أى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق من الحصر ، وكثرته من قوة النفس وثبات
الجأش .
(٤) الرحيق : الخالص .
(٥) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتداوى
به ، ما نهى ذلك الموت عنه .
(٦) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه ،
ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب ، ويجوز أن يكون مرفوعاً على الفاعلية . أى : ولا ينجو
منه مترهب .
والأسطوان : على وزن أفعوال والنون فيها أصلية ، جمعه ، أساطين ، وليس فى
الكلام فاعين . والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ، ويقصد هنا المكان الذى يختلئ فيه
الراهب . والأثوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض .
(٧) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة .
(٨) مسمكا : مرفعاً . من قوله سمك السماء ، والنيق : أعلى الجبل .
(٩) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهاى ويقال للنجار أيضاً : نهامى =

مَصَابِيحُ السَّلَاطِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يَمْسِي كَتَوَاضِعُ الْبُرُوقِ (١)
 وَنَخْلَتُهُ الَّتِي غُرَسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْصِرُ بِالْعُذُوقِ (٢)
 فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا وَغَيْرَ حَسَنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
 وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَكِينًا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي في هذه القصة : وقال عمرو بن
 معدى كرب الزبيدي (٣) في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرآدى (٤) ، فبلغه
 أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من ملكها عنها :

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بِأَفْضَلِ عَيْشَةٍ - أَوْ ذُو نُوَاسٍ
 وَكَأَنَّكَ كَانَ قَبْلَكَ مَن نَعِيمِ وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَأْسِي
 قَدِيمٍ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبْرُوتِ قَاسِي
 فَأَمْسَى بِأَهْلِهِ بَادُوا ، وَأَمْسَى يُحَوِّلُ مِنْ أَنْاسٍ فِي أَنْاسِ

* * *

= فتكون منبهة أيضاً على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقيز ، من جرن
 الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد القشيري جروب بالباء وكذلك ذكره الطبري أيضاً ، وفي
 حاشية كتاب القشيري أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شيء . والموحد : من
 الموحد ، وفي كتاب أبي بحر عن القشيري : وحر الموحد وفسرها بأنها حجارة ملس لينة ،
 واللثق من اللثق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق والزليق الذي يزلق فيه ، انظر
 الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١ ص ٥٨ .
 (١) السليط : الدهن .

(٢) يهصر : يميل . العزوق : جمع عزق بفتح العين وهي النخلة .

(٣) عمرو بن معدى كرب رضي الله عنه صحابي ، يكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته
 وبسالته ، ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٤) ليس من مراد ، وإنما هو حليف لها ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن
 مذحج ونسبه في بجيلة ثم في بني أحمر ، وأبوه مكشوح اسمه هبيرة بن هلال . ويقال :
 عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحسن بن الغوث بن
 أنمار ، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا ، لأنه ضرب بسيف على كشحه
 (ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسي
 الكذاب هو وذويه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعاً قتل مع علي رضي الله عنه - يوم صفين وله في
 ذلك اليوم وفي حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئاً ، فابرز إلى ، وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفت ، فخرج إليه أبرهة - وكان رجلاً قصيراً لحيماً ، وكان ذا دين في النصرانية - وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً ، وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له ، يقال له : عتودة (١) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشربت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى (٢) أبرهة أرياط .

غضب النجاشي على أبرهة :

فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه . وملاً جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه : « أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فى » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه . أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« القليس » أو كنيسة أبرهة : ثم إن أبرهة بنى القليس (٣) بصنعاء . فبنى

(١) العتودة : الشدة في الحرب .

(٢) وداه : تحمل ديته .

(٣) القليس : وهى الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا =

كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُنْ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتساب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء ، أحد بنى فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

النساء : والنساء : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية ، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرِّمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخروا ذلك الشهر ، ففيهم أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُواطئُوا عدة ما حرم الله ﴾ . (سورة التوبة : ٣٧) .

أول من ابتدع النسِيء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحل منها ما أحل ، وحرم منها ما حرم . القَلَمَس (١) ، وهو حذيفة ابن عبد بن فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عبَّاد : قَلْعُ بن عبَّاد ، ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثُمَامَة ، جُنَادَة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام (٢) ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرَّم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم ، فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرَّم

= الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس . وقلس طعاماً : أى ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استدل أبرهة أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعاً من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ ، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة في الروض الأتف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١ ص ٦٣ .

(١) وسمى القلمس لجوده : إذ إنه من أسماء البحر .

(٢) وجد السهيلي خبراً عن إسلام أبي ثُمَامَة فقد حضر الحج في زمن عمر ، فرأى الناس يزدهمون على الحج فنأى : أيها الناس : إني قد أجرتهم منكم ، فخففه عمر بالدرّة ، وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

مكانه صفر فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم ، فإذا أرادوا الصدر (١) قام فيهم فقال : « اللهم إني قد أحللت لك أحد الصفرين ، الصفر الأول : ونسأت الآخر للعام المقبل (٢) » . فقال في ذلك عمير بن قيس ، جَذَل الطَّعَان (٣) ، أحد بنى فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ أَنْ قَوْمِي كِرَامُ النَّاسِ أَنْ لَهُمْ كِرَامًا (٤)
فَأَيُّ النَّاسِ فَاتُونَا بـوتِرِ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ نُعَلِّكَ لِحَامًا (٥)
السُّنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدُّ شُهُورِ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا ؟

الكناني يحدث في القليس : قال ابن إسحاق : فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد (٦) فيها - يعني أحدث فيها - قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ ف قيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل .
خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسؤهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثاني : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلاً ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة - والله أعلم - إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه ﷺ .

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جَذَل الطَّعَان لثباته في الحرب كأنه جَذَل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجَذَل « عود ينصب للبهيم الجرباء لتحتك به » .

(٤) أي : آباء كراماً وأخلاقاً كراماً .

(٥) أي : لم ندعهم ونكفهم ، كما يقدح الفرس باللجام . تقول : أعلكت الفرس لجامه إذا رددته عن تنزعه ، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه ، فهو مقدوع .

(٦) قعد : أي أحدث فيها - وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للمذاهب « للمتوضئين » .

حتى
بذلا
يريد
وملا
أبره
من
أسية
بقائه
أبره
حتى
شهر
نفيل
دليلا
واله
ابن
ابن
عند
هو
نسب
ثمو

حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه ، وفضعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً .

خثعم تجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم ^(١) عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي فى قبيلتى خثعم : شهران وناهس ^(٢) ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلني فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك ابن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف .

نسب ثقيف ^(٣) : واسم ثقيف : قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن أفصى بن دُعَمي بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى ^(٤) :

(١) خثعم : اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أقتل بن أنمار ، لأنهم نزلوا عنده . وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا .

(٢) يقال إن خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم ، وانتسبوا إليهم .

(٣) اختلف النسابون فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى زياد ، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضاً . وفى حديث رواه معمر بن راشد فى جامعه : إن أبا رغال من ثمود .

(٤) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب .

إليه
وهو
بقتالسل
لحره
بدم
قرية
أبره
اللهبيته
فانطحتى
محب
غناءنزل
عليه
عند
إنفى
استهعليه
رءو

وأج

قَوْمِي إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمَ
قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا
وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَيْضًا :

فَإِمَّا تَسَالَى عَنِّي - لُبْنَى
فَإِنَّا لِلنَّبِيِّ أَبِي قَسِيٍّ
وَعَنْ نَسْبِي - أُخْبِرَكَ الْيَقِينَا
لَمَنْصُورِ بْنِ يَقْدُمِ الْأَقْدَمِينَا

ثَقِيفُ تَهَادَنُ أَبْرَهَةَ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّمَا نَحْنُ
عَبِيدُكَ سَامِعُونَ لَكَ مَطِيعُونَ ، لَيْسَ عِنْدَنَا لَكَ خِلَافٌ ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي
تُرِيدُ - يَعْنُونَ اللَّاتِ - إِنَّمَا تُرِيدُ الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ ، وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ مِنْ يَدِكَ
عَلَيْهِ ، فَتَجَاوِزُ عَنْهُمْ .

اللَّاتُ : وَاللَّاتُ : بَيْتٌ لَهُمْ بِالطَّائِفِ كَانُوا يَعِظُمُونَهُ نَحْوَ تَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ .

أَبُو رِغَالٍ وَرَجَمَ قَبْرَهُ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبِعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ يَدْلُهُ عَلَى
الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ فَخَرَجَ أَبْرَهَةُ وَمَعَهُ أَبُو رِغَالٍ حَتَّى أَنْزَلَهُ الْمُغَمَّسُ (٣) ، فَلَمَّا أَنْزَلَهُ بِهِ
مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَاكَ ، فَرَجِمَتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ ، فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي يَرْجِمُ النَّاسُ بِالْمُغَمَّسِ .

الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ يَهَاجِمُ مَكَّةَ : فَلَمَّا نَزَلَ أَبْرَهَةُ الْمُغَمَّسَ ، بَعَثَ رَجُلًا مِنْ
الْحَبِشَةِ يَقَالُ لَهُ : الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ (٤) عَلَى خَيْلٍ لَهُ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ ، فَسَاقَ

(١) الْأُمَمُ : الْقَرِيبُ . أَوْ لَوْ أَقَامُوا : أَيْ بِالْحِجَازِ لِأَنَّهُمْ انْتَقَلَوْا عَنْهَا حِينَ ضَاقَتْ عَنْ
مَسَارِحِهِمْ فَصَارُوا إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ .

(٢) الْقَطُّ مَا قَطَّ مِنَ الْكَاغِدِ وَالرَّقِّ وَذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ كَانَتْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي سَارُوا
إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ لِقُرَيْشٍ : مَنْ تَعَلَّمْتَ الْقَطُّ ؟ فَقَالُوا : تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، وَتَعَلَّمَهُ أَهْلُ
الْحَيْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ .

(٣) الْمُغَمَّسُ : بِفَتْحِ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ عَلَى زَنَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ فَكَأَنَّهُ مِنْ غَمَسْتَ الشَّيْءَ إِذَا غَطَيْتَهُ
وَذَلِكَ أَنَّهُ مَكَانٌ مُسْتَوٍ إِمَّا بِهَضَابٍ وَإِمَّا بِعُضَاهٍ (شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ) فَقَدْ رَوَى عَلَى بْنِ السُّكَنِ
« أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ ، كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ خَرَجَ إِلَى الْمُغَمَّسِ » وَهُوَ عَلَى
ثَلَاثِ فَرَسَخٍ مِنْ مَكَّةَ .

أَمَّا عَلَى رِوَايَةِ كَسْرِ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ بِزَنَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْغَمِيسِ وَهُوَ الْغَمِيرُ
« نَبَاتٌ أَخْضَرُ يَنْبِتُ فِي الْخَرِيفِ » .

(٤) وَهُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَنبِهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ
ابْنِ عَمْرِ بْنِ عَلَّةَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : عَلَّمٌ - عَلَى وَزْنِ عَمْرٍ - ابْنُ خَالِدِ بْنِ مَذْحِجٍ بَعَثَهُ النَّجَاشِيُّ مَعَ
الْفِيلَةِ وَالْجَيْشِ ، وَكَانَتِ الْفِيلَةُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ فِيلًا هَلَكَتْ كُلُّهَا إِلَّا (مُحَمَّدٌ) فِيلُ النَّجَاشِيِّ
لَا مَتْنَاعَهُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ .

إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حنَاطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ، فلما دخل حنَاطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمة ، وإن يُخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حنَاطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتیه بك .

أنيس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نفر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ؟! ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى . فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب غير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن عليه . وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذن له عليك فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل لى والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره

نحن
لدى
ذلكعلى
ه بهمن
ساق

عن

ماروا
أهلنطيته
كن
على

غمير

كعب
مع
اشى

أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فتزل أبرهة عن سريريه ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه ، قل له : قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه ؟! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذاك .

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حنّاطة ، يعمر بن نفّاثة بن عدى بن الدئل ابن بكر بن مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بني بكر - وخويلد بن وائلة الهذلي - وهو يومئذ سيد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز^(١) في شَعَف الجبال^(٢) والشُعاب^(٣) تخوفاً عليهم من مَعَرَة^(٤) الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمَ — نَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالِكَ^(٥)
لَا يَغْلِبُنَّ صَالِيَهُمْ — وَمِحَالُهُمْ غَدَاً مُحَالِكَ^(٦)

(١) التحرز : التمتع .

(٢) شعف الجبال : رءوسها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٤) مَعَرَة الجيش : شدته .

(٥) لاهم : أصلها : اللهم . والعرب تحذف منها الألف واللام . وكذلك تقول في : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . بل قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال : « إجنك » أي « من أجل إنك » . والحلال في هذا البيت : الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء ، والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيّره ههنا .

(٦) غدوا : غداً والمحال : القوة والشدة .

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ — لَتَنَا قَامَرٌ مَا بَدَا لَكَ (١)

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن

عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي :

لَاهُمَّ أَخْزِرِ الْأَسْوَدَ بْنَ مَقْصُودٍ الْأَخْذِ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدُ (٢)

بَيْنَ حِرَاءَ وَثُبَيْرٍ فَالْبَيْدِ يَجْبِسُهَا وَهِيَ أُولَاتُ التَّطْرِيدِ (٣)

فَضَمَّهَا إِلَى طَمَاظِمِ سُودٍ أَخْفَرَهُ يَا رَبِّ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ (٤)

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن

معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهياً فيله ،

وعبى (٥) جيشه - وكان اسم الفيل محمودا - وأبرهة مُجمع لهدم البيت ، ثم

الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب (٦) حتى قام

إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك (٧) محمود أو ارجع راشدا من حيث

(١) روى السهيلي يبعد هذا البيت بيتاً آخر هو :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

(٢) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل ، والمائة منها : هنيذة ،

والمائتان : هند ، قال بعضهم : والثلاثمائة أمانة . وأنشدوا :

تَبَيَّنَ رَوِيدَا مَا أَمَامَةَ مِنْ هِنْدَا

وكان اشتقاق الهجمة من الهجمة ، وهو : الثخين من اللسب ؛ لأنه لما كثر لبنها

لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صرفاً ثخيناً ، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيراً : هجم . والتقليد : أى أن القلائد فى أعناقها .

(٣) حراء وثبير : جبلان بالحجاز . (٤) أخفزه : أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٥) يقال : عبى الجيش بغير همزة وعباً المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز

وهو قليل .

(٦) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن

أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أقتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبة البرقى . ونفيل

من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض .

(٧) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر

الله . أو يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول السهيلي فى الروض

الأنف إنه سمع من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل .

جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا فى رأسه بالطبرزين (١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن (٢) لهم فى مَراقة (٣) فبزغوه (٤) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (٥) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجله ، أمثال الحمص والعَدَس (٦) ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

أَلَا حَيَّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَانَاكَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا (٧)
رُدَيْنَا لَوْ رَأَيْتِ - وَلَا تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمَدْتِ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا

(١) الطبرزين : آلة من الحديد .

(٢) المحاجن : جمع محجن ؛ عصا معوجة .

(٣) المراق : أسفل البطن .

(٤) بزغوه : أدموه .

(٥) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور .

(٦) فى الشكل فقط وليس فى المقدار إذ ذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة

كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .

(٧) ردينا : اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير ردة وهى القطعة من الرदन (الحرير)

ونعمناكم : أى : نعمنا بكم .

حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخَفْتُ حَجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَانَ عَلَى الْحَبِشَةِ إِنْ دِينَا
فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَيَهْلِكُونَ بِكُلِّ مَهْلَكٍ عَلَى كُلِّ مِنْهَلٍ ،
وَأَصِيبُ أِبْرَهَةَ فِي جَسَدِهِ ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أُنْمَلَةٌ أُنْمَلَةٌ ^(١) : كُلَّمَا سَقَطَتْ
أُنْمَلَةٌ ، أَتْبَعَتْهَا مِنْهُ مَدَّةٌ تَمُتُ ^(٢) قِيحًا وَدَمًا ، حَتَّى قَدَمُوا بِهِ صَنْعَاءَ ، وَهُوَ مِثْلُ فَرَخِ
الطَائِرِ ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ .

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول ما رؤيت الحصبة
والجُدْرَى بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا رَأَى بِهَا مَرَاتِرَ الشَّجَرِ ، وَالْحَرْمَلِ
وَالْحَنْظَلِ وَالْعُشْرِ ذَلِكَ الْعَامَ .

اللَّهُ - جَلْ جَلَالُهُ - يَذْكُرُ حَادِثَةَ الْفِيلِ وَيَمْتَنُّ عَلَى قُرَيْشٍ :

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ - كَانَ مِمَّا يَعُدُّ اللَّهُ عَلَى
قُرَيْشٍ مِنْ نِعَمَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَفَضْلِهِ مَا رَدَّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْحَبِشَةِ لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمَدَّتِهِمْ ،
فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ *
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (سورة الفيل : ١ - ٥) . وَقَالَ : ﴿ لِإِيلَافِ
قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (سورة قريش : ١ - ٤) . أَيْ لَثَلَا يَغْيِرُ شَيْئًا مِنْ
حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ لَوْ قَبِلُوهُ .

مَصِيرُ قَائِدِ الْفِيلِ وَسَائِسِهِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ،
عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَرَّارَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :
« لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمِينَ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ » ^(٣) .

* * *

(١) الأُنْمَلَةُ : طَرَفُ الْأَصْبَعِ ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْبُرُ بِهَا عَنْ طَرَفٍ غَيْرِ الْأَصْبَعِ ، أَيْ : يَنْتَشِرُ
جَسْمُهُ قِطْعَةً قِطْعَةً .

(٢) تَمُتُ : تَرُشِحُ .

(٣) أَيْ يَطْلُبَانِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَطْعِمَاهُمَا .

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق . فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا في ذلك . أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

شعر عبد الله بن الزُّبَيْرِ : فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن عدى بن قيس بن عدى بن سعيّد (١) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر :

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ ، إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ	إِذَا لَا عَزِيزٍ مِنَ الْأَنْثَامِ يَرُومُهَا
سَائِلِ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	وَلَسَوْفَ يُنْبِئُ الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سِتُونَ أَلْفًا لَمْ يُؤْبُوا أَرْضَهُمْ	وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرُّهُمْ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

قال ابن إسحاق : يعنى ابن الزُّبَيْرِ بقوله :

... بعد الإياب سقيمها

أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأَسَلْتِ : وقال أبو قيس بن الأَسَلْتِ الأنصاري ثم الحطمي ، واسمه : صيفي .

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فَيْلِ الْحُبُوشِ إِذْ كُلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمَ (٢)
مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمَ (٣)
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَاطِئَهُ مَغُولًا إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كَلِمَ (٤)

(١) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزُّبَيْرِ إلى عدى بن سعيّد بن سهم . والصواب .

سعد بن سهم ، وإنما سعيّد : أخو سعد .

(٢) رزم : ثبت في مكانه ولزمه لا يبرحه .

(٣) المحاجن : جمع محجن . عصا معوجة ، والأقرب : جمع قرب . الخصر ،

شرموا أنفه : شقوه .

(٤) المغول : سكين كبير . وكلم : جرح .

فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجًا — وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِ الْقَزْمِ (١)
تَحَضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ ثَاجُوا كَثُؤَاجَ الْغَنَمِ (٢)
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ :

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ ، وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٣)
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ غَدَاةُ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجْلُهُ عَلَى الْقَافِزَاتِ فِي رِءُوسِ الْمَنَاقِبِ (٤)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّاهُمْ جُنُودَ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (٥)
فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَوُوبَ إِلَى أَهْلِهِ مَلْحَبَشٍ غَيْرِ عَصَائِبِ (٦)
شَعْرُ طَالِبِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ طَالِبُ (٧) بْنُ أَبِي طَالِبٍ
ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا (٨)
فَلَوْلَا دَفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا (٩)
شَعْرُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو الصَّلْتِ (١٠) بْنُ
أَبِي رُبَيْعَةَ الثَّقَفِيِّ فِي شَأْنِ الْفِيلِ ، وَيَذْكُرُ الْحَنْفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

- (١) القزم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال . (٢) ثاج : صاح .
- (٣) صلوا : ادعوا . والأخاشب : جبال مكة .
- (٤) القاذفات : أعالي الجبال ، والمناقب : الطرق في رؤوس الجبال .
- (٥) الساف : الذي غطاه التراب . والحاصب : الذي أصيب بالحجارة .
- (٦) ملحش : أي من الحبش . والعصائب : الجماعات .
- (٧) أكبر أولاد أبي طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من علي عليه السلام - بعشرة أعوام ، ولم يذكر أنه أسلم أي طالب .
- (٨) داحس : الفرس الشهيرة التي كانت حرب داحس والغبراء بسببها ، والشعب : الطريق في الجبل .
- (٩) السرب بفتح السين : المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضًا .
- (١٠) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج .

إِنَّ آيَاتِ رَبَّنَا ثَاقِبَاتٌ
 خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ
 ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٌ
 حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْمَسِ ، وَحَتَّى
 لَازِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُـ
 حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا
 خَلَقُوهُ ثُمَّ ابْذَعُوا جَمِيعًا
 كُلُّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ
 لَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
 مُسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
 بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ (١)
 ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
 طَّرَ مِنْ صَخَرٍ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ (٢)
 لُ مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
 كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ (٣)
 اللَّهُ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ (٤)

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن
 أبرهة ، وبه كان يُكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه
 مسروق بن أبرهة .

* * *

- (١) المهابة : اسم من أسماء الشمس ، سميت بذلك لصفاتها . والمها من الأجسام :
 الصافى الذى يرى باطنه من ظاهره ، والمهابة : البلورة . والمهابة : الظبية .
- (٢) الجران : العنق . وقطر : رمى على قطره وهو الجانب . وكبك : اسم جبل .
 والمحدور الذى : حدر من جبل أى وقع .
- (٣) ابذعوا : أى تفرقوا .
- (٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف - ﷺ ،
 وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أى : عدل عنهما فسمى حنيفاً . أو حنف عما كان
 يعبد آباؤه وقومه .

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر: فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري^(١) وكان يكنى بأبي مرة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأل أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يشكّه (لم يستجب لشكواه).

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى: فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر^(٢)، وهو عامل كسرى^(٣) على الحيرة، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى، وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القنقل العظيم^(٤) - فيما يزعمون - يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا برك هيبة له، فلما دخل عليه سيف ابن ذي يزن برك.

بن
عوه

(١) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشيم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج وهو: حمير بن سبأ.

(٢) النعمان: اسم منقول من النعمان الذي هو الدم.

(٣) وكسرى هذا هو: أنوشروان بن قباذ، ومعناه مجدد الملك، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات.

(٤) القنقل الذي شبه به التاج هو مكيال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة:

ما لك لا تجرفها بالقنقل لا خير في الكمأة إن لم تفعل

وفي الغريبيين للهروي: القنقل: مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا، والمن وزن رطلين وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين استلب من يزدجرد بن شهريار، تصير إليه من قبل جده أنوشروان المذكور، فلما أتى به عمر رضي الله عنه، دعا سراق بن مالك المدلجي، فحلاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له: قل: الحمد لله الذي نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضع في رأس أعرابي من بني مدليج، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا، وإنما خص عمر سراق بهذا، لأن رسول الله ﷺ كان قال له: «يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك، وإسواره في يديك» أو كما قال ﷺ.

نان

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغرّة ، فقال له كسرى : أى الأغرّة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجتتكت لتنصرنى ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازته بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورق (الفضة) للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى حياء الملك تنثره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة - يرغبه فيها - فجمع كسرى مَرَاثِبَهُ (١) ، فقال لهم : ماذا ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونته ، وكانوا ثمانمائة رجل .

انتصار سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرَز ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسبا وبيتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن (٢) فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له : رجلى مع رجلك حتى تموت جميعا ، أو نظفر جميعا . قال له وهرز : أنصفت . وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ، ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز ، فزاده ذلك حنقا عليهم ، فلما توافق الناس على مصافهم ، قال وهرز : أرونى ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، قال اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنت الحمار ؟! ذلّ وذل ملكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أودنكم ، فإنى قد أخطأت الرجل ، وإن

(١) مراثيه : وراثه .

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من

العرب .

رأيتكم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وترَّ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلَّت النُّشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا ، فقتلوا وهربوا في كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء (١) ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتي منكسة أبداً ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته .

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة : فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكِ —	أَنَّهَا قَدْ التَّامَا (٢)
وَمَنْ يَسْمَعُ بِلَأْمِهَا	فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقُمَا (٣)
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا	وَرَوَيْنَا الْكُثِيبَ دَمَا (٤)
وَإِنَّ الْقَيْلَ قَيْلَ النَّاسِ	سِ وَهَرَزَ مُقْسِمٌ قَسَمًا
يَذُوقُ مُشْعَشَعًا حَتَّى	يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا (٥)

- (١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرهما .
قال ابن الكلبي : وسميت صنعاء لقول وهرز حين دخلها : صُنْعَة صنعاء ، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها ، قال ابن مقيل يذكر أوال :
عمد الحداة بها لعارض قرية وكأنها سفن بسيف أوال
وقال جرير :
وشبهت الحدوج غداة قَوْ سفين الهند رَوْح من أوال
وقال الأخطل :
خوص كأن شكيمهن معلق بقنا ردينة أو جذوع أوال
وقد قيل : إن صنعاء اسم الذي بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عيبر بن عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .
(٢) التأمًا : اصطلاحاً .
(٣) فقم : ازداد واشتد .
(٤) القيل : الملك .
(٥) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

لِيَطْلُبَ الْوَتَرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنَ رِيمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاً (١)
يَمُمُ قَيْصَرَ لَمَّا حَانَتْ رَحْلَتُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالَا
ثُمَّ انْتَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ مِنْ السَّنِينَ يُهِنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا
حَتَّى أَتَى بَيْنِي الْأَحْرَارَ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ عَمَرَى لَقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْقَالَا (٢)
لِلَّهِ دَرَاهِمٌ مِنْ عَصْبَةِ خَرَجُوا مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
بِيضًا مَرَازِبَةً ، غُلْبًا أَسَاوِرَةً أُسْدًا تُرَبِّبُ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالَا (٣)
يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ بَزْمَخِرٍ يُعَجِّلُ الْمَرْمَى إِعْجَالَا (٤)
أَرْسَلْتُ أُسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالَا
فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَقًا فِي رَأْسِ غُمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا (٥)

(١) رِيمٌ فِي الْبَحْرِ : أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافي ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتاب (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، ورِيمٌ ليس من رَامَ ، وإنما هو من الرِيم ، وهو الدرج ، أو من الرِيم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان الرِيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب ، خيم مكان ريم ، فهذا معناه ، أقام . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١ ص ٨٤ . (٢) عمرى : أراد : لعمرى ، وقد قال الطائي :

عمرى لقد نصح الزمان ، وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق
وأسـرعت قلقالا بفتح القاف وكسرهما ، وكقول الآخر ، « وقلقل يبغي العز كل مقلقل » . وهى شدة الحركة .

(٣) غُلْبًا : شدادا ، والأساور : الرماة ، والغيضات : جمع غيضة الشجر الكثير الملتف .

(٤) « يرمون عن شُدُفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ » الشُدُف : الشخص ، ويجمع على شُدُف ، ولم يرد ههنا إلا القسى ، وليس شُدُف جمعا لشُدُف ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو النشيط المرح يقال : شُدُف ، فهو شُدُف ، ثم نقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شُدُف أى : يدفعون عنها بالرمى . ويكون الزمخر : القسى ، أو النبل ، والغبط : الهودج ، والزمخر : القصب الفارسي .

(٥) غُمْدَانِ أُسْسه : يعرب بن قحطان ، وأكملة بعده ، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكا متوجا كأيبه وجده .

أحد

ومز
مشيقيل
سأه
العبي
واله
أعدابن
زيدبفتح
وتع

واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم فى بُرديك إسبالاً^(١)
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعدد أبوالا

شعر عدى بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدى بن زيد الحميرى ، وكان
أحد بنى تميم من العباد^(٢) :

مَا بَعْدَ صَنَعَاءَ كَانَ يَعْمُرُهَا وَلَاةُ مُلْكٍ جَزَلَ مَوَاهِبُهَا
رَفَعَهَا مِنْ بَنَى لَدَى قَرْعِ الْـ مَزْنٍ وَتَنَدَى مَسْكَ مَحَارِبُهَا^(٣)
مَحْفُوفَةٌ بِالْجِبَالِ دُونَ عَرَى الْـ كَائِدٌ مَا تَرْتَقَى غَوَارِبُهَا^(٤)
يَأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النُّهَامِ إِذَا جَاوَبَهَا بِالْعَشِيِّ قَاصِبُهَا^(٥)
سَاقَتْ إِلَيْهِ الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنَى الْـ أَحْرَارٍ فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَا
وَفَوَّزَتْ بِالْبَغَالِ تَوْسُقُ بِالـ حَتَفٍ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا^(٦)

(١) شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامه : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ،
ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامه قدمه . تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إِذَا
مشيت حافياً ، قال الشاعر :

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم إلا إنما البأساء للمتنعم

(٢) العباد ، وهم من عبد القيس بن أفضى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ،
قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك
سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فسموا له ، فقال : أنتم
العباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا ، وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم
والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبد القيس ، والله
أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف
ابن عامر بن عَصِيَّة بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرئ القيس بن
زيد مناة فى العباد ، فلذلك ينسب عدى إليهم .

(٣) قَرْعُ الْمَزْنِ : السحاب المتفرق .

(٤) دُونَ عَرَى الْكَائِدِ : يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة أخرى : عَرَى
بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى - سبحانه
وتعالى - كيده متين .

(٥) صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب .

(٦) فَوَّزَتْ بِالْبَغَالِ : أى ركبت المفاوز ، تَوْسُقُ بِالْحَتَفِ ، أى : أَوْسُقُ الْبَغَالِ =

فى
من
ى
جع
لذا
ف

كل

نير

لم

ح

ح

ها

ب

بن

- حَتَّى رَأَاهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرْفِ الْمِ — نَقَلَ مُخْضَرَةً كَتَابُهَا (١)
يَوْمَ يُنَادُونَ آلَ بَرَبَرٍ وَالْيَكْ — سُومَ لَا يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا (٢)
وَكَانَ يَوْمَ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَا — لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتَ مَرَاتِبُهَا (٣)
وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ وَالْأَيَا — مُ جُونُ جَمٍّ عَجَائِبُهَا (٤)
بَعْدَ بَنَى تَبَعٍ نَخْ — قَدْ اطمأنتَ بِهَا مَرَاذِبُهَا (٥)

* * *

= الختوف ، وتوالبها : جمع تولب ، وهو ولد الحمار ، والتاء في تولب بدل من واو ، كما هي في توءم وتولج وفي توراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهي ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

(١) من طرف المنقل أي : من أعالي حصونها ، والمنقل : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكان المنقل من هذا ، والله أعلم . مخضرة كتابها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء .

(٢) ينادون آل بربر ، لأن البربر والحبشة من ولد حام ، وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق .

وقد قيل في جالوت إنه من الخزر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة ، وهي اختلاط الأصوات ، فقال : ما كان أكثر بربرتهم ! فسوموا بذلك ، وقيل غير هذا .

(٣) الإمة : النعمة .

(٤) الفيج : المتفرد في مشيته ، والزرافة : الجماعة من الناس .

(٥) النخارة : الكرام ، والمراذبة : الوزراء .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وهَرَزَ والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك . الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة ، وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرباط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

أمراء الفرس باليمن : ثم مات وهَرَزَ ، فأمر كسرى ^(١) ابنه المرزبان بن وهَرَزَ على اليمن ، ثم مات المرزبان ، فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمر كسرى ابن التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي ﷺ .

محمد ﷺ يتنبأ بموت كسرى : قال ابن إسحاق فبلغني عن الزهري أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : إنه بلغني أن رجلاً من قریش خرج بمكة ، يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلى رأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه رسول الله ﷺ : « إن الله قد وعدني إن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا » ^(٢) فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر ،

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفر ، وهو الذي غلب الروم حين أنزل الله : ﴿ هَلْ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ ﴾ وهو الذي عرض على الله في المنام ، فقال له : سلم ما في يدك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور - النبي ﷺ ، بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سلب ملكه ، وهدم سلطانه على يد عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو في أول خلافة عثمان ، وجد مستخفياً في رحي فقتل وطرح في قناة الرحي ، وذلك بمرور من أرض فارس .

(٢) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن منبه بن سيج بن ذكبار ، وطاوس وذادويه وقيروز اللذان قتل الأسود العنسي الكذاب ، وقد قيل : في طاوس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان ، وهو مولى بجير بن ريسان ، وقد قيل : مولى الجعد ، وكان يقال له : طاوس القراء الجمال .

وقال : إن كان نبياً ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ (١) .

وقال خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ تقسمه بنوه بكسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له يوم أتى ، وكلل حاملة تمام (٢)

إسلام باذان : قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذن بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله ﷺ ، إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

كتاب الحجر الذي في اليمن : قال ابن إسحاق : وكان في حجر باليمن - فيما يزعمون - كتاب بالزبور كتب بالزمان الأول : لمن ملك دمار (٣) ؟ لحمير الأخيار (٤) ، لمن ملك دمار ؟ للحبشة الأشرار (٥) . لمن ملك دمار ؟ لفارس الأحرار (٦) . لمن ملك دمار ؟ لقريش التجار .

(١) قال ابن هشام : قتل على يد ابنه شيرويه انظر سيرة ابن هشام ١ / ٦٣ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) تمخضت : حملت ، والمنون : المنية ، وهو أيضاً من أسماء الدهر ، وهو من مننت الحبل إذا قطعت ، وأنى : أى حان ، وهذه الرواية لابن هشام .

(٣) حكى ابن هشام عن يونس دمار بفتح الذال ، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر ، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ، لأنه اسم لمدينة ، والغالب عليه التأنيث ، ويجوز صرفه أيضاً ، لأنه اسم بلد ، وإذا فتحت الذال ، فهو مبنى مثل : رقاش وحزام .

(٤) وقوله : لحمير الأخيار ، لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم في حديث فيميون وابن التامر .

(٥) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد ، وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن ، وذهب من الصدور الإيمان يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السوفتين من الحبشة » وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

(٦) ولقوله : لفارس الأحرار ، فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان من سواهم ، فكانوا أحراراً لذلك .

وذمار : اليمن أو صنعاء .

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى - أعشى ابن قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه .

مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ (١) كَنَظَرَاتِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذُّبِّي إِذْ سَجَعَا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذبى : لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب .

* قصة ملك الحضر (٢)

سابور يستولى على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون (٣) ملك الحضر فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون (٤) يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست إليه : أتزوجنى إن فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم . فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه (٥) ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هى نائمة على

(١) يريد زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل هذا البيت :

قالت : أرى : رجلا فى كفه كتف أو يخصف النعل لهفى أية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبحهم ————— ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

(٢) الحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئ الفرات .

(٣) الساطرون بالسرانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضيزان بن معاوية : قال الطبرى : هو جرمقانى ، وقال ابن الكلبي : هو قضاعى من العرب الذين تنخوا بالسواد ، فسموا : تنوخ ، أى : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى ، ونسبه ابن الكلبي ، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد ، ووجدته بخط أبي بحر ، عبيد بضم العين بن أجرم من بنى سليح بن حلوان ابن الحاف بن قضاة ، وأمه : جيهلة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضا قضاة من بنى يزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

(٤) وتسمى النضيرة .

(٥) وقال المسعودي : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه .

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لا يفتح =

فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسهرَكَ؟! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك؟! قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقيني الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إلى بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فربطت قُرُونُ رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها (١) : ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قول أعشى قيس فى قصة الحضر :

ألم ترَ للحضرِ ——— إذْ أهله بُنُعمى ، وهل خالدٌ منْ نَعِمٍ؟!
أقامَ به شاهبُورُ الجُنُـو ——— دَ حَولِينَ تَضَرَّبَ فيه القَدُمُ (٢)
فلَمَّا دَعَا رَبَّهُ دَعَا ——— أَنَابَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَتَّقِمْ
وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قَوْلُ عَدِي بن زَيْد فى هذه القصة : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحضرُ صَابَتْ عَلَيْهِ دَاهِيَةٌ من فَوْقِهِ أَيْدٍ مَنَاقِبُهَا (٣)
رَبِيَّةٌ لَمْ تُوقِ والدَهَا لَحِينَهَا إذْ أَضَاعَ رَاقِبُهَا (٤)

= حتى تؤخذ حمامة زرقاء ، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة ، فتنزل على سور الحضر ، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر .
(١) قال ابن إسحاق : المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أردشير بن بابك ، وقد تقدم أن أردشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيمن ، كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

(٢) شاهبُور : معناه ابن الملك .

(٣) أيد : شديدة .

(٤) رَبِيَّةٌ لَمْ تُوقِ والدَهَا : يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة

بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت فى =

إِذْ غَبَقَتْهُ صَهْبَاءٌ صَافِيَةٌ والخمرُ وهل يهيم شاربُها (١)
 فَاسْلَمْتُ أَهْلَهَا بَلِيلَتَهَا تَظُنُّ أَنَّ الرَّئِيسَ خَاطِبُهَا
 فَكَانَ حَظُّ الْعَرُوسِ إِذَا جَاشِرُ الصَّبْحُ دِمَاءٌ تَجْرَى سَبَائِبُهَا (٢)
 وَخُرْبَ الْحَضَرُ ، وَاسْتَبِيحَ ، وَقَدْ أُحْرِقَ فِي خَدْرِهَا مَشَاجِبُهَا (٣)

* ذكر ولد نزار بن معد :

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر ، مضر (٤) بن نزار ، وربيعة بن نزار وأثمار بن نزار .

أولاد أثمار : قال ابن إسحاق : فأثمار (٥) : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبد الله البجلي وكان سيد بجيلة ، وهو الذي يقول له القائل :

=نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيثة بالهمزة ، وسهل الهمزة فصارت هاء ، وجعلها ربيثة ، لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيثة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

رباء شماء لا يأوى لقلتها - البيت

وقوله : أضاع راقبها ، أى أضاع المربأة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظها .

(١) والخمر وهل : يقال : وهل الرجل وهلاً ، وهلاً إذا أراد شيئاً ، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضاً بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه غلط وأوهم بالآلف معناه : أسقط .

(٢) جشر : ظهر ووضح . سبائبها : السبائب جمع : سبيثة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السب وهو : الخمار .

(٣) مشاجبها : المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب .

(٤) فأما مضر فإنه أول من سن حداء الإبل ، وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتاً ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب ، وذلك أنها تنشط بحداثتها الإبل ، فتسرع .

(٥) وأما أثمار فسمى : بالأثمار جمع نمر ، كما سموا بسباع ، وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أقتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر =

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهُ نِعَمَ الْفَتَى ، وَبِئْسَتِ الْقَبِيلَةُ !! (١)

وهو ينافر (٢) الفَرَّافِصَةَ (٣) الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ (٤)

قال :

أَبْنَى نِزَارٍ انْصَرَا أَخَاكُمَا إِنَّ أَبِي وَجَدْتُهُ أَبَاكُمَا

لَنْ يَغْلِبَ الْيَوْمَ أَخُ وَالْأَكُمَا

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن .

ولدا مُضَرَّ : قال ابن إسحاق : فولد مُضَرُّ بن نزار رجلين : إلياس بن مُضَرَّ ،

وعَيْلان (٥) بن مُضَرَّ .

= في خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهية والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أئمار ، ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أئمار الذين سَمِينَا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم . فلم ينسب إليها .

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدِّح رجل هُجِيَ قومه : وجريز هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّلَيْل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن جذيمة .
(٢) ينافر : أى يحاكم ، قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفَر ، وكانوا إذا تنازع الرجال ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلامة فمن فضّل منهما قيل : نفره عليه أى فضّل نفره على نفر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة .
وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

(٣) الفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فرافصة في العرب بالضم إلا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

(٤) الأشهر في الرواية : إن يُصْرَعُ أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ، لأنه في نية التقديم عند سيويه ، وهو على إضمار الفاء عند المبرد .

(٥) وأما عَيْلان أخو إلياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كبة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فُرِّقَ بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له .

أولاد إلياس : قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكَة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقَمْعَة بن إلياس ، وأمهم : خَنْدِف (١) ، امرأة من اليمن .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكَة عامراً ، واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكَة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة (٢) .

وأما قَمْعَة فيزعم نُسَّاب مُضَر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَي بن قَمْعَة بن إلياس .

* * *

= وذكر ابن إسحاق أم إلياس ، وقال فيها : امرأة من جرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هي الرُّبَاب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبري .
(١) وخندف التي عُرِف بها بنو إلياس . وهي التي ضربت الأمثال بحزنها على إلياس ، وذلك أنها تركت بنيتها ، وساحت في الأرض تبكيه ، حتى ماتت كمدًا ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكّت من أول النهار إلى آخره .
قال الزبير : وإنما نسب بنو إلياس لأُمهم ، لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببني خندف .

(٢) وفي الخبر زيادة : وهو أن إلياس قال لأُمهم - واسمها ليلي - وأمها ، ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التي ينسب إليها : حمى ضرية ، وقد أقبلت تُخْندِف في مشيتها : - مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندفة : سرعة في مشى ، وقال لمدركة :
وأنت قد أدركت ما طلبتَا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمْعَة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعتا

حديث عمرو بن لُحَيٍّ وذكر أصنام العرب

عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ لُحَيٍّ يَجْرُ قُصْبَهُ (١) فِي

النَّارِ فَسَأَلْتُهُ عَمَّنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : هَلَكُوا » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ أَنَّ أَبَا صَالِحٍ

السَّمَّانَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ . يَقُولُ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخَزَاعِيِّ : « يَا أَكْثَمَ ، رَأَيْتَ

عَمْرُو بْنَ لُحَيٍّ ابْنَ قَمْعَةَ ابْنَ خَنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ

مِنْكَ بِهِ ، وَلَا بِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : عَسَى أَنْ يَضُرَّنِي شَبْهُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ لَا ،

إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ ، وَبَحَرَ

الْبَحِيرَةَ (٢) وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَحَمَى الْحَامَى » .

سَبَبُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَيَزْعَمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ

الْحِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَظْعَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنْهُمْ ، حِينَ ضَاقَتْ

عَلَيْهِمْ ، وَاتَّمَسُوا الْفُسْحَ فِي الْبِلَادِ ، إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجْرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا

لِلْحَرَمِ ، فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ

إِلَى أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَعْجَبَهُمْ ، حَتَّى خَلَفَ الْخُلُوفُ ،

وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتَبَدَلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ غَيْرِهِ ، فَعَبَدُوا

(١) قُصْبُهُ : أَمْعَاءُهُ

(٢) وَقَدْ رَوَى أَيْضًا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَحَرَ الْبَحِيرَةَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَتَانِ

فَجَدَعَ آذَانَهُمَا ، وَحَرَّمَ أَلْبَانَهُمَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَرَأَيْتُهُ فِي النَّارِ يَخْطِطَانَهُ بِأَخْفَافِهِمَا ،

وَيَعْضَانَهُ بِأَفْوَاهِهِمَا ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « قَدْ عَرَفْتُ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَنَصَبَ النَّصْبَ

عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ رَأَيْتُهُ يُوْذِي أَهْلَ النَّارِ بِرِيحِ قُصْبِهِ » رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

مُرْسَلًا .

الأوثان (١)، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البدن ، والإلهال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » ، فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (يوسف : ١٠٦) أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى (٢) .

أصنام قوم نوح : وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قصَّ الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿ وقالوا لا تذرُنَّ آلِهَتكم ولا تذرُنَّ وُدًّا ولا سِوَاها ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ * وقد أضلوا كثيرا (٣) .

(نوح : ٢٣ ، ٢٤)

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد

(١) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : إنه اللات الذى : يلت السوق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ، ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يميت ، ولكن دخل فى الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى : اللات : ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ، فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

(٢) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لا شريك لك لبيك . حتى كان عمرو ابن لحي ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبي معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(٣) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قينان فيما ذكروا ، وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى =

إسماعيل وغيرهم وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سواعا ، فكان لهم برهّاط (١) ، وكلب بن وبرة من قضاعة ، اتخذوا وداً بدومة الجندل (٢) .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

وَنَسَى اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَوَدًّا وَنَسَلُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا (٣)

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنعم من طيء ، وأهل جرّش من مذحج اتخذوا يغوث بجرّش .

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخيوان بطن من همدان ، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

عباد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نسرًا بأرض حمير .

عباد عُمَيَّانَس : وكان لَحُولَان صنم يقال له : عُمَيَّانَس بأرض خولان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل في حق

= كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتُنُوسَخ العلم عُبِدَت ، وذكر الطبري هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع وكذلك يعوق ونسر ، كلما هلك الأول صُورَت صورته ، وعُظِمَت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آبائنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند فسمّوا بها أصنامهم التي زعموا أنها صور الداراي السبعة ، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه - بضم الدال - ذكروا أنها سميت بدُومي بن إسماعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ودومة - بفتح الدال - أخرى مذكورة في أخبار الرّدة ، كذا وجدته للبكري مقيداً في أسماء هذه المواضع . راجع الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) الشنُوفَا : مفردة شنف - القرط .

عميانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ . (الأنعام : ١٣٦) .

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبني ملكان ^(١) - بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر - صنم ، يقال له : سعد : صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة . ليقفها عليه ، التماس بركته فيما يزعم - فلما رآته الإبل وكانت مرعية لا تركب ، وكان يهراق عليه الدماء ، نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها الملكاني ، فأخذ حجراً فرماه به ، ثم قال لا بارك الله فيك ، نفرت على إبل ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ، ليجمع شملنا فشتنا سعد ، فلا نحن من سعد ^(٢)

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغى ولا رشد ^(٣)

دوس وصنمهم : وكان في دوس صنم لعمر بن حمة الدوسي .

ودوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن

(١) ملكان بن كنانة بكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء في العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير ملكان في قضاة ، وملكان في السكون ، فإنهما بفتح الميم واللام ، فملكان قضاة هو : ابن جرم بن زبآن بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وملكان السكون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن أشرس من كندة .

(٢) ويتمتع في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل أن تقول لا أريد في الدار ولا عمرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نولك أن تفعل ، وقال : إنما جار هذا ، لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغي لك أن تفعل ، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت الملكاني ، أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبري منه ، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حسن دخول لا على الابتداء .

(٣) بتنوفة : بأرض جرداء .

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دوس بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

عباد هبل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له : هبل (١) .

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافاً ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلاً وامراً من جرهم - هو إساف بن بغي ، ونائلة بنت ديك - فوقع إساف على نائلة في الكعبة : فمسخهما الله حجرين (٢) .

حديث عائشة رضي الله عنها عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها - تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامراً من جرهم ، أحدثا (٣) في الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ بِمُفْضَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ (٤) .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ

(١) وأما هبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة .

(٢) وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلها الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قبلها ، فمسخا حجرين ، فأخرجها إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحي نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عبدا من دون الله .

(٣) أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال عليه السلام : « من أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله » وقال عمر - حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم وهذا يؤكد أن من أسباب وقوع الزلازل ارتكاب المعاصي والفحشاء .

(٤) هو ترخيم في غير النداء لضرورة الوزن في البيت .

به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ - بالتوحيد ، قالت قريش : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (١) .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجّاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العزى وسدنتها وحجّابها : فكانت لقريش وبني كنانة : العزى بنخلة ، وكان سدنتها وحجّابها بنو شيبان من سلّيم ، حلفاء بني هاشم .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لَقَدْ أَنْكَحَتْ أَسْمَاءُ رَأْسَ بُقَيْرَةٍ مِنْ الْأُذْمِ أَهْدَاهَا امْرُؤٌ مِنْ بَنِي غَنَمٍ
رَأَى قَدْعَاً فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا إِلَى غَبْغَبِ الْعُزَّى فَوْسَعٌ فِي الْقَسَمِ (٢)

وكذلك كانوا يصنعون إذا نَحَرُوا هَدْيًا قَسَمُوهُ فِي مَنْ حَضَرَهُمْ ، وَالْغَبْغَبُ : الْمُنْحَرُ وَمُهْرَاقُ الدَّمَاءِ .

من هم السدنة : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة بن العجاج .

فَلَا وَرَبِّ الْأَمْنَاتِ الْقُطْنِ يَعْمُرُنَّ أَمْنَاً بِالْحَرَامِ الْمَأْمَنِ
بِمَحْبِسِ الْهَدْيِ وَبَيْتِ الْمَسْدَنِ

(١) وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى سورة (ص) الآية : ٥ .

(٢) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله : فى الغبغب : وهو المنحر ومهراق الدم ، كأنه سُمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بثر بُغْبَغٍ وبُغْبَغٍ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمَاءِ . قال الراجز :

بُغْبَغٍ قَصِيرَةِ الرِّشَاءِ

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

وهذان البتان في أرجوزة له : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .
اللات وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان
 سدنتها وحجائبها بنو معتب من ثقيف .

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان
 بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (١) .
ذو الخلصة وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الخلصة لدوس
 وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .

فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه (٢) .
فلس وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فلس (٣) لطيء ومن يليلها
 بجبلى طيء ، يعنى سلمى وأجأ .

ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها على بن أبى طالب
 فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرسوب ، وللآخر : المخذم فأتى
 بهما رسول الله ﷺ ، فوهبهما له ، فهما سيفا على ﷺ .

رثام : قال ابن إسحاق : وكان لحميم وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له :
 رثام .

(١) قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ، ويقال
 على بن أبى طالب ، انظر سيرة ابن هشام ١ / ٧٩ ط . الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد
 الرؤف سعد .

(٢) وذلك قبل وفاة النبي ﷺ بشهرين أو نحوهما ، قال جرير بعثنى رسول الله
 ﷺ ، فى مائة وخمسين راكباً من أحمر إلى ذى الخلصة ، فقلت : يا رسول الله إني لا
 أثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » .

(٣) هكذا وجدته مضبوطاً فى القاموس ، وضبطه ابن الكلبي بفتح فسكون ، وضبطه
 ياقوت بضم الفاء واللام ، وتروى فى بعض المراجع : قاسا ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن
 أجأ اسم رجل بعينه ، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتهم
 بذلك ، فصلباً فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء ،
 حاضنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينهما وبين أجأ فصلبت فى الجبل الثالث ، فسمى
 بها .

رُضَاءُ وَعِبَادُهُ وَهَدْمُهُ : قال ابن إسحاق : وكانت رُضَاءُ بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوغر (١) بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :

ولقد شددتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً فتركْتُها قَفْرًا بِقَاعِ أَسْحَمَا

عُمَرُ الْمُسْتَوْغِر : ويقال : إن المستوغر عُمَرُ ثلاثمائة وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها عمراً ، وهو الذي يقول :

ولقد سَمِيتُ من الحياةِ وطُولِها وَعَمَرْتُ من عَدَدِ السنينِ مِثْلَها
مِائَةً حَدَّثْتُهَا بعدها مِثْلَانِ لى وازْدَدْتُ من عَدَدِ الشهورِ سِنِها
هَلْ ما بَقِيَ إِلَّا كَمَا قد فاتنَا يَوْمَ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي (٢) .

ذُو الْكَعْبَاتِ وَعِبَادُهُ : قال ابن إسحاق : وكان ذُو الْكَعْبَاتِ لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد ، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة :

بَيْنَ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّديرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٣)

(١) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمى مستوغراً بقوله :

ينش الماء في الربلات منها نشيش الرصف في اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وَغَرَةِ الحر وهي شدته ، وذكر القتيبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هرم ، والجد يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ ، فقد طالما رفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابني فقال : ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ، فقال : أنا المستوغر .

(٢) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن غُدرة أو غُدرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وزهير هذا من المعمرين ، وهو الذي يقول :

أُبْنِي إِنْ أَهْلَكَ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّ
وَتَرَكْتُكُمْ أَوْلَادَ سَادَا تِ وَزَنَادَهُمْ وَرِيَّ
مَنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا التَّحِيَّ

(٣) الخورنق قصر بناء النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناءه بنيانا عجيباً لم تر العرب مثله ، واسم الذي بناه له : سنمار ، وهو الذي رُدِّي من أعلاه =

الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامِي

رَأَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِيهَا : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَمَّا الْبَحِيرَةُ فَهِيَ : بِنْتُ السَّائِبَةِ ، وَالسَّائِبَةُ النَّاقَةُ إِذَا تَابَعَتْ بَيْنَ عَشْرِ إناثٍ لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ ، سَيِّبَتْ ، فَلَمْ يُرْكَبْ ظَهْرُهَا ، وَلَمْ يَجْزْ وَبَرُّهَا ، وَلَمْ يَشْرَبْ لَبْنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ ، فَمَا نَتَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْثَى شُقَّتْ أُذُنُهَا ، ثُمَّ خَلَى سَبِيلُهَا مَعَ أُمِّهَا ، فَلَمْ يَرْكَبْ ظَهْرُهَا ، وَلَمْ يَجْزْ وَبَرُّهَا ، وَلَمْ يَشْرَبْ لَبْنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ ، كَمَا فَعَلَ بِأُمِّهَا ، فَهِيَ الْبَحِيرَةُ بِنْتُ السَّائِبَةِ . وَالْوَصِيلَةُ : الشَّاةُ إِذَا أَتَمَّتْ ^(١) عَشْرَ إناثٍ مُتَتَابِعَاتٍ فِي خَمْسَةِ أَبْطُنٍ ، لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ ، جَعَلَتْ وَصِيلَةً . قَالُوا : قَدْ وَصَلَتْ ، فَكَانَ مَا وَلَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلذَّكَورِ مِنْهُمْ دُونَ إناثِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَمُوتَ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَيَشْتَرِكُوا فِي أَكْلِهِ ذَكَورُهُمْ وَإناثُهُمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَالْحَامِي : الْفَحْلُ إِذَا نَتَجَ لَهُ عَشْرَ إناثٍ مُتَتَابِعَاتٍ لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ ، حَمَى ظَهْرَهُ فَلَمْ يُرْكَبْ ، وَلَمْ يَجْزْ وَبَرُّهُ ، وَخُلِّيَ فِي إِبْلِهِ يَضْرِبُ فِيهَا ، لَا يَنْتَفِعُ مِنْهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ^(٢) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ :

= حَتَّى قَالَتِ الْعَرَبُ : جَزَانِي جِزَاءَ سَنَمَارٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَمَّ الْخَوْرَنُقُ ، وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِ ، قَالَ سَنَمَارٌ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ حِينَ بَنَيْتُهُ جَعَلْتُهُ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ حَيْثُ دَارَتْ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّكَ لَتَحْسُنُ أَنْ تَبْنِيَ أَجْمَلَ مِنْ هَذَا ؟ وَغَارَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَتَنَبَّأَ لغيرِهِ مِثْلَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ فَطَرَحَ مِنْ أَعْلَاهُ ، وَكَانَ بَنَاهُ فِي عَشْرِينَ سَنَةً .

وَمَعْنَى السَّدِيرِ بِالْفَارَسِيَّةِ : بَيْتُ الْمَلِكِ . يَقُولُونَ لَهُ : « سَهْدَلِي » أَيْ : لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : سَمِيَ السَّدِيرُ ، لِأَنَّ الْأَعْرَابَ كَانُوا يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ ، فَتَسْدِرُ مِنْ عُلُوِّهِ يُقَالُ : سَدِرَ بَصَرُهُ إِذَا تَحِيرَ ، وَالْكَعْبَاتُ : الْمُرَبَّعَةُ ، وَكُلُّ بِنَاءٍ مَرْبَعٍ فَهُوَ كَعْبَةٌ . ^(١) أَتَمَّتْ : جَاءَتْ بِاِثْنَيْنِ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

^(٢) ابْنُ هِشَامٍ يَخَالِفُ ابْنَ إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ : قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهَذَا عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِ هَذَا إِلَّا الْحَامِي ، فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ . فَالْبَحِيرَةُ عِنْدَهُمْ : النَّاقَةُ تَشُقُّ أُذُنَهَا فَلَا يَرْكَبُ ظَهْرُهَا ، وَلَا يَجْزُ وَبَرُّهَا ، وَلَا يَشْرَبُ لَبْنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ ، أَوْ يَتَصَدَّقُ بِهِ ، وَتَهْمَلُ لِأَلْهَتِهِمْ . وَالسَّائِبَةُ : الَّتِي يَنْذِرُ الرَّجُلُ أَنْ يَسِيْبَهَا إِنْ بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ أَوْ إِنْ أَصَابَ أَمْرًا يَطْلُبُهُ ، فَإِذَا كَانَ أَصَابَ نَاقَةً مِنْ إِبْلِهِ ، أَوْ جَمَلًا لِبَعْضِ أَلْهَتِهِمْ ، فَسَابَتْ فَرَعَتْ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا . وَالْوَصِيلَةُ : الَّتِي تَلِدُ أُمُّهَا اِثْنَيْنِ فِي كُلِّ بَطْنٍ ، فَيَجْعَلُ صَاحِبُهُمَا لِأَلْهَتِهِ الْإناثَ مِنْهَا ، وَلِنَفْسِهِ الذَّكَورَ أَمَّا الْوَصِيلَةُ فَهِيَ الَّتِي وَلَدَتْهَا أُمُّهَا وَمَعَهَا ذَكَرٌ فِي بَطْنٍ ، فَيَقُولُونَ : وَصَلَتْ أَخَاهَا ، فَيَسِيْبُ أَخَوَهَا مَعَهَا ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ وَغَيْرُهُ . رَوَى بَعْضُ مَا لَمْ يَرَوْهُ

بَعْضُ

﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (المائدة : ١٠٣) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا — وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ (الأنعام : ١٣٩) .

وأنزل عليه : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (يونس : ٥٩) .

وأنزل عليه : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكّرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين * ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكّرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ١٤٣ ، ١٤٤) .

* عود إلى النسب :

ونسب خُزاعة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

وسميت خُزاعة ، لأنهم تَخَزَعُوا ^(١) من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بطنَ مَسْرٍ ^(٢) تَخَزَعْتُ خُزَاعَةً مِنَّا فى خِيُولِ كَرَاكِرٍ ^(٣)

حَمَتُ كل وادٍ من تِهَامَةٍ واحْتَمْتُ بِصُومِ الْقَنَا والمَرْهَقَاتِ البَوَاتِرِ

وهذان البيتان فى قصيدة له .

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مر الظهران ، وسمى : مرّا لأنه فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة وبعدها (را) خلقت كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مرّا لمرارتها .

(٣) الخيول الكراكر : المجتمعة .

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري ، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت خزاعة دار الآكل المتحامل
فحللت أكاريساً ، وشنت قنابلاً على كل حي بين نجد وساحل
نقوا جرهماً عن بطن مكة ، واحتبوا بعز خزاعي شديد الكواهل

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مدركة بن إلياس رجلين : خزيمة بن مدركة ، وهذيل بن مدركة ، وأمهما : امرأة من قضاة ، فولد خزيمة ابن مدركة أربعة نفر ، كنانة بن خزيمة ، وأسد بن خزيمة ، وأسدة بن خزيمة ، والهون بن خزيمة ، فأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .

أولاد كنانة وأمهاهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، وملكان بن كنانة ^(١) ، فأم النضر : برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وسائر بنيها لامرأة أخرى .

• سبب تسمية قريش :

قال ابن إسحاق : ويقال . إنما سُميت قريش قريشاً : لتجمعها من بعد تفرقها .

ويقال للتجمع : التقرش ^(٢) .

أولاد النضر وأمهاهم : فولد النضر بن كنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويخلد بن النضر ، فأم مالك : عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ولا أدري أمي أم يخلد أو لا .

أولاد مالك وفهر وأمهاهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فهر ابن مالك ، وأمه : جندكة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي

(١) وزاد الطبري في ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغنماً وسعداً وعوقاً وجرولاً والحدال وغزوان . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١ ص ١١٥ .

(٢) انظر ما قبل في قريش مفصلاً في الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ج ١

قال ابن إسحاق : فولد فُهر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فُهر ، ومُحارب بن فُهر والحارث بن فُهر ، وأسد بن فُهر ، وأمهم : ليلى بنت سعد بن هُذيل بن مُدركة .

أولاد غالب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فُهر رجلين : لُؤى ابن غالب ، وتيم بن غالب ، وأمهما : سلمى بنت عمرو الخزاعى : وتيم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدرم ^(١) .

أولاد لُؤى وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد لُؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لُؤى وعامر بن لُؤى ، وسامة بن لُؤى ، وعوف بن لُؤى ، فأُم كعب وعامر وسامة : ماوية ^(٢) بنت كعب بن القين بن جسر ، من قُضاعة .

وسعد بن لُؤى ، وهم بُنانة : فى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على ابن بكر بن وائل ، من ربيعة .

وبُنانة : حاضنة لهم من القين بن جسر بن شيع الله ، ويقال : سيع ، ابن الأسد بن وبرة بن ثعلبة بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، ويقال : بنت النمر بن قاسط من ربيعة ، ويقال : بنت جرم بن ربان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة .

(١) الأدرم : المدفون الكعبي من اللحم ، يقال : امرأة درماء وكعب أدرم ، قال الراجز :

قامت تربه خشية أن تُصرما ساقًا بخنداء وكعبًا أدرما
وكفلاً مثل النقا أو أعظمًا

والأدرم أيضاً : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير ، وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو محارب من فُهر ، وبنو معيص بن عامر .

(٢) سميت بالماوية ، وهى : المرأة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وقلبت همزة الماء واوا .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن ^(١) ، وهى أم بنى عبدة بن خزيمة بن لؤى .

وأم بنى لؤى كلهم - إلا عامر بن لؤى : ماوية بنت كعب بن القين بن جسر ، وأم عامر بن لؤى : مخشية بنت شيان بن محارب بن فهر ، ويقال : ليلى بنت شيان بن محارب بن فهر .
* أَمْرُ سَامَةَ بْنِ لُؤَى :

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان ، وكان بها . ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان ، فيزعمون أن سامة ابن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشفها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :
شعر سامة ابن لؤى :

عَيْنُ فَاكِى لِسَامَةَ بْنِ لُؤَى	عَلَقْتُ مَا بَسَامَةَ الْعَلَّاقَةَ
لَا أَرَى مِثْلَ سَامَةَ بْنِ لُؤَى	يَوْمَ حَلُّوا بِهِ قَتِيلًا لِنَاقَةٍ
بَلِّغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا	أَنْ نَفْسَى إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَةً ^(٢)
إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارَى ، فَإِنِّى	غَالِبِى ، خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ
رُبَّ كَاسٍ هَرَقْتَ يَا ابْنَ لُؤَى	حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَةٍ
رُمْتَ دَفَعَ الْحُتُوفِ يَا ابْنَ لُؤَى	مَا لَمْ رَامَ ذَاكَ بِالْحَتَفِ طَاقَةٍ

(١) وقال غيره : هي بنت الخمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة وعائذة من بنى خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلهم المسودة (العباسيون) فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية .
(٢) بلِّغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا : يجوز أن يكون «رسولا» مفعولا : بلِّغَا إِذَا جَعَلْتَ الرَسُولَ بِمَعْنَى : الرِسَالَةَ ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بَحَثَ عَنْدهُمْ بَلِيلَى ، وَلَا أُرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ
أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إِذَا كَانَتْ كِتَابًا ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْكِتَابِ
من شعر منظوم ونحوه .

وَحَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا بَعْدَ جِدٍّ وَجِدَّةٍ وَرَشَاقَةٍ (١)

* أَمْرُ عَوْفِ بْنِ لُؤَى وَنَقْلَتُهُ :

سبب انتمائه إِلَى غَطَفَانَ : قال ابن إسحاق : وأما عَوْفُ بْنُ لُؤَى فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قريش ، حتى إذا كان بأَرْضِ غَطَفَانَ بنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ عِيْلَانَ أَبْطَىءَ بِهِ فَانْطَلَقَ مِنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَتَاهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْدٍ ، وَهُوَ أَخُوهُ فِي نَسَبِ بَنِي ذُبْيَانَ - ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ . وَعَوْفُ ابْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ - فَحَبَسَهُ وَزَوَّجَهُ وَالتَّاطَهُ (٢) وَأَخَاهُ ، فَشَاعَ نَسَبُهُ فِي بَنِي ذُبْيَانَ ، وَثَعْلَبَةُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - الَّذِي يَقُولُ لِعَوْفٍ حِينَ أَبْطَىءَ بِهِ ، فَتَرَكَهُ قَوْمُهُ :

أَحْبَسَ عَلَى ابْنِ لُؤَى جَمْلَكَ تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلَا مَتَرَكَ لَكَ

مَكَانَةً مَرَّةً : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَوْ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ : لَوْ كُنْتُ مَدْعِيًا حَيًّا مِنْ الْعَرَبِ ، أَوْ مَلْحَقَهُمْ بَنَا ، لَادَّعَيْتُ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ ، إِنَّا لَنَعْرِفُ فِيهِمُ الْأَشْبَاهَ مَعَ مَا نَعْرِفُ مِنْ مَوْقِعِ ذَلِكَ الرَّجُلِ حَيْثُ وَقَعَ ، يَعْنِي : عَوْفُ بْنُ لُؤَى .

نَسَبُ مُرَّةً : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَهُوَ فِي نَسَبِ غَطَفَانَ : مُرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ ابْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا ذَكَرُوا لَهُمْ هَذَا النِّسْبَ مَا نَنْكُرُهُ ، وَمَا نُنْجِدهُ ، وَإِنَّهُ لِأَحَبُّ النِّسْبِ إِلَيْنَا .

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ يَرْبُوعَ حِينَ هَرَبَ مِنَ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، فَلَحَقَ بِقَرِيشٍ :

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرَّقَابَا
وَقَوْمِي - إِنْ سَأَلْتَ - بَنُو لُؤَى بِمَكَّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضُّرَابَا

(١) قَوْلُهُ : وَحَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا يَرِيدُ : نَاقَةٌ صَمُوتًا صَبُورًا عَلَى السُّرَى لَا تَضْجُرُ مِنْهُ ، فَسَرَاهَا كَالْأَخْرَسِ ، وَالرَّذَى الَّتِي سَقَطَتْ مِنَ الْأَعْيَاءِ .
(٢) التَّاطَهُ : أَلْصَقَهُ بِهِ وَأَلْحَقَهُ بِنَسَبِهِ .

(٦ - ابن إسحاق ج ١)

سَفَهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِي بَغِيضٍ وَتَرَكِ الْأَقْرَبِينَ لَنَا انْتِسَابًا
 سَفَاهَةً مُخْلَفٌ لَمَّا تَرَوَى هَرَاقَ الْمَاءِ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا (١)
 فَلَوْ طُوعَتْ - عَمْرُكَ - كُنْتُ فِيهِمْ وَمَا أَلْفَيْتُ أَنْتَجِعُ السَّحَابَا (٢)
 وَخَشَّ رَوَاحَةَ الْقُرْشِيِّ رَحْلِي بِنَاجِيَةٍ وَلَمْ يَطْلُبْ ثَوَابَا (٣)
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمَرِيُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي سَهْمٍ بِنُورَةَ يَرِدُ
 عَلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ ، وَيَنْتَمِي إِلَى غُطْفَانَ :

أَلَا لَسْتُمْ مِنَّا ، وَلَسْنَا إِلَيْكُمْ بَرِثْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
 أَقَمْنَا عَلَى عِزِّ الْحِجَارِ ، وَأَنْتُمْ بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٤)

يَعْنِي : قُرَيْشًا ، ثُمَّ نَدِمَ الْحُصَيْنُ عَلَى مَا قَالَ ، وَعَرَفَ مَا قَالَ الْحَارِثُ بْنُ
 ظَالِمٍ ، فَانْتَمَى إِلَى قُرَيْشٍ ، وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ :

نَدِمْتُ عَلَى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُهُ تَبَيَّنْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَوْلُ كَاذِبٍ
 فَلَيْتَ لِسَانِي كَانَ نَصْفَيْنِ مِنْهُمَا بَكِيمٌ ، وَنَصْفٌ عِنْدَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ
 أَبُونَا كُنَانِي بِمَكَّةَ قَبْرُهُ بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
 لَنَا الرَّبْعُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وَرَاثَةٌ وَرَبْعُ الْبَطْحَاءِ عِنْدَ دَارِ ابْنِ حَاطِبٍ (٥)
 أَيْ إِنْ بَنَى لُؤْيٌ كَانُوا أَرْبَعَةً : كَعْبًا ، وَعَامِرًا ، وَسَامَةَ ، وَعَوْفًا .

(١) المخلف : المستقى للماء .

(٢) وما ألفت انتجع السحابا . أى : كانوا يغنونني بسيبهم ومعروفهم عن انتجاع
 السحاب ، وارتياح المراعى فى البلاد .

(٣) وخش رَوَاحَةَ الْقُرْشِيِّ رَحْلِي بِنَاجِيَةٍ . أى : بناقة سريعة يقال : خش السهم
 بالريش ، إذا رآه به ، فأراد : راشني وأصلح رحلي بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك ،
 ورواحه هذا : هو روَاحَةُ بْنُ مَنْقُذِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرٍ كَانَ قَدْ رُبِعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَيْ : رَأْسُ ،
 وَأَخَذَ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ .

(٤) بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول ، والاعتلاج عمل بقوة ، والأخاشب :
 جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل : أخشب .

(٥) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : إن بنى لؤي كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم
 وهو عوف ، وبنو لؤي هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا في غطفان ، هم ساداتهم وقادتهم ، منهم هرم بن سنان بن أبي حارثة ، وخارجة ^(١) بن سنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف ، والحصين بن الحمام ، وهاشم بن حرملة الذي يقول له القائل :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ ^(٢)

يَوْمَ الْهَبَاءَاتِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ

تَرَى الْمَلُوكَ عِنْدَهُ مُغْرَبَلَةً ^(٣)

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

وَرَمَحُوهُ لِلْوَالِدَاتِ مُثْكَلَةً

قال ابن إسحاق : قَوْمٌ لَهُمْ صِيْتُ وَذَكَرٌ فِي غُطْفَانَ وَقَيْسٍ كُلِّهَا ، فَأَقَامُوا عَلَى نَسَبِهِمْ ، وَفِيهِمْ كَانَ الْبَسْلُ ^(٤) .

* * *

(١) خارجة بن سنان الذي تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدهته ونجاجة نسله .

(٢) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن ربآن بن يسار الذي كانت بنته زوجة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهظم بنت هاشم ، كانت قهظم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولده بأضراسه ، فسمى منظورا لطول انتظارهم إياه .

(٣) قيل معناه : منتفخة ، وذكر أنه يقال : غربل القليل إذا انتفخ ، وهذا غير معروف ، وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنف ، وأيضاً : فإن الرواية بفتح الباء مغربة وقال بعضهم : معناه يتخير الملوك فيقتلهم ، والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربة استقصاءهم وتبعضهم .

(٤) البسل وهو الحرام ، والبسل أيضاً : الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلَةُ الراقي ، أي ما يحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسل في الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب من نفحك من رجاك بسلا ، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أي : استجابة .

أَمْرُ الْبَسَلِ

تعريف بالبسل : والبسل ، فيما يزعمون ، نسيئهم ثمانية أشهر حرم ، لهم من كل سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونها ، ولا يدفعونه ، يسировن به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، ولا يخافون منهم شيئاً ، قال زهير بن أبى سلمى ، يعنى بنى مرة .

تأمل ، فإن تقو المرولة منهم وداراتها لا تقوم منهم إذا تحل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تقويا منهم فإنهم بسل

أى حرام : ساروا فى حرمهم

أولاد كعب وأمههم : قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر ، مرة ابن كعب ، وعدى بن كعب ، وهصيص بن كعب ، وأمهم : وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر .

أولاد مرة وأمهاهم : فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر ، كلاب بن مرة ، وتيم ابن مرة ويقظة بن مرة (١) .

فأم كلاب : هند بنت سريير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمه وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من اليمن ، ويقال : هى أم تيم ، ويقال : تيم هند بنت سريير أم كلاب .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قصي ابن كلاب ، وزهرة بن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بنى الجدره ، ومن جعثة الأزدي ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (٢) .

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سيل يقول الشاعر :
مَا نَرَى فِي النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا مَنَ عِلْمَنَاهُ كَسَعْدِ بْنِ سَيْلٍ
فَارِسًا أَضْبَطَ ، فِيهِ عُسْرَةٌ وَإِذَا مَا وَقَفَ الْقَرْنُ نَزَلَ (٣)

(١) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

وَأَنْتَ لِمَخْزُومِ بْنِ يَقْظَةَ جُنْتَهُ كَلَّا اسْمِيكَ فِيهَا مَاجِدُ وَابْنِ مَاجِدِ

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤى .

(٢) قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب وهى أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن

هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل .

(٣) الأضبط الذى يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة ، والقرن : الشديد فى الحرب .

فَارِسًا يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كَمَا اسْدَ تَدْرِجَ الْحُرُّ الْقَطَامِيَّ الْحَجَل (١)

أولاد قُصَيٍّ وأُمهم : قال ابن إسحاق : فولد قُصَيٌّ بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قُصَيٍّ ، وعبد الدار بن قُصَيٍّ ، وعبد العُزَّى بن قُصَيٍّ ، وعبد قُصَيٍّ بن قُصَيٍّ ، وتَخَمُرُ بنت قُصَيٍّ ، وبرّة بنت قُصَيٍّ ، وأُمهم : حُبَيِّ بنت حُلَيْل بن حَبْشَةَ بن سَكُول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

أولاد عبد مناف وأُمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف - واسمه : المغيرة بن قُصَيٍّ - أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس (٢) بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وأُمهم : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بَهْثَةَ بن سُلَيْم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه ، واقدة بنت عمرو المازنية ، مازن : بن منصور بن عكرمة .

أولاد هاشم وأُمهاتهم : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسَد بن هاشم ، وأبَا صَيْفَى بن هاشم ، ونَضْلَةَ بن هاشم ، والشَّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورقية ، وحية ، فأم عبد المطلب ، ورقية : سَكَمَى (٣) بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، واسم النجار : تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر .

وأُمها : عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار ، وأم عميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجارية . وأم أسد : قَيْلَةُ بنت عامر بن مالك الخزاعي . وأم أبي صيفى وحية : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، وأم نَضْلَةَ والشَّفاء ، امرأة من قُضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدى المازنية .

* * *

(١) الحر القطامي : الصقر .

(٢) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فولد هاشم ، ورجله في جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس .

(٣) وأُمها : عميرة بنت صخر المازنية ، وابنها : عمرو بن أحيحة بن الجلاح وأخوه : معبد ، ولدتهم لأحيحة .

* أولاد عبد المطلب بن هاشم وأمهاتهم :

فَولَدَ عبد المطلب بن هاشم عشرة نفرٍ وستَ نسوة : العباس ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب - واسمه : عبد مناف (١) ، والزبير (٢) ، والحارث ، وجحلا (٣) ، والمقوم (٤) ، وضراراً ، وأبا لهب (٥) ، واسمه : عبد العزى ، وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى وبرّة . فأُم العباس وضرار : ثُثَيْلَة بنت جَنَاب ابن كُليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاء بن عامر - وهو الضَّحَّيَّان - بن سعد بن الخُزرج بن تيم اللَّات بن النَّمر بن قاسط بن هُنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ويقال : أفصى بن دُعْمَى بن جديلة .

وَأُم حمزة والمقوم وجحل - وكان يلقب بالغِدَاق لكثرة خَيْرِهِ ، وسعة ماله - وصفية : هَالَة بنتُ وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى بمؤتم بعـــــــــــــــــد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبى ﷺ وهو الذى كان يُرَقِّص النبى ﷺ ، وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم
فى دولة ومغنم دام سجين الأزل

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة ﷺ - وكان الزبير ﷺ ، يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أطرف فتیان قریش ، وبه سَمِى رسول الله ، ابنه الطاهر ، وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففى هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) جحلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب ، وقال الدارقطنى هو : حجل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم : لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العزى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم ، من بنى ضاطرة بضاد منقوطة .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ، بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر .

وأما : صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جندب بن جحير بن رثاب بن حبيب ابن سؤاة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .
وأم أبى لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو الخزاعي .

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها : فولد عبد الله بن عبد المطلب : رسول الله ﷺ وشرف وعظم ، سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف بن زهرة ^(١) بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأما : برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : برة ^(٢) بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن

(١) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم - كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون أى لون كان من بياض أو غيره .

(٢) ذكر فى آخر أمهاته ﷺ - برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى وهن كلهن قرشيات ، ولذلك وقف فى برة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها =

لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

فرسولُ الله ، ﷺ ، أشرفُ ولد آدم حسباً . وأفضلهم نسباً من قبل أبيه ،
وأُمّه ﷺ وكرمٌ وشرفٌ وعظمٌ .

أمر جرهم ودفن زمزم

ولادة البيت من ولد إسماعيل : قال محمد بن إسحاق المطلبي : لما توفي

إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل - ما شاء الله أن يليه -
ثم ولى البيت بعده : مضاض بن عمرو الجرهمي .

* * *

= وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قلابة بنت
الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ،
وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبة بنت
الحارث بن لحيان ، بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت
الحارث ، وزعم أن أباه الحارث كان يكنى : أبا قلابة وأنه أقدم شعراء هذيل .

القسم الأول

من سيرة رسول الله ﷺ

رواية يونس بن بكير
عن محمد بن إسحاق

في

بنت
ل
بنت
بنت

— ا

ابن إسحاق —

— ٩٠ —

من
لم يـ

ابن ،

أمر
قد اـ

فارجـ

لك

احفر

الدهـ

لمنعـ

والد

—

جرهـ

عبد

عابر

العار

jabir.abbas@yahoo.com

حفر زمزم (١)

حدثنا أحمد بن عبد الجبار (٢) ، قال : نا يونس (٣) بن بكير قال : كل شيء من حديث ابن إسحاق مسند ، فهو أملاه عليّ ، أو قرأه عليّ ، أو حدثني به ، وما لم يكن مسنداً ، فهو قراءة ؛ قرئ عليّ ابن إسحاق .

حدثنا أحمد قال : نا يونس ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بينا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف نائماً في الحجر ، عند الكعبة ، أتى (٤) ، فأمر بحفر زمزم .

ويقال إنها لم تزل دفيناً (٥) بعد ولاية بنى إسماعيل الأكبر وجرهم (٦) ، حتى أمر بها عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد أمرت أن أحفر زمزم ، فقالوا له : أبين لك أين هي ؟ فقال : لا ، قالوا : فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت ، فإن كان حقاً من الله عز وجل بين لك ، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك ، فرجع فنام في مضجعه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تسندم ، هي تراث من أبيك الأقدم ، لا تنزف الدهر ، ولا تؤذم ، تسقى الحجيج الأعظم مثل نعام حافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، فهي ميراث وعقد محكم ، ليست كبعض ما قد يعلم ، وهي بين الفرث والدم .

* عبد المطلب يحفر زمزم

فقال حين قيل له ذلك : أين هي ؟ فقيل له : عند قرية النمل ، حيث ينقر

(١) اسمها : زمزم ، زمزم ، زمزمة الماء (أى صوته) . (٢) هكذا في المخطوطة .

(٣) رمز بمعنى حدثنا ، انظر الباعث الحثيث وكتب مصطلح الحديث .

(٤) أى جاءه هاتف في المنام .

(٥) أى دفن بين صنمى قريش : إساف ونائلة ، عند منحرقريش ، وكانت قبيلة

جرهم دفنتها حين ظعن من مكة . انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد « بتصرف » ط . دار الجليل بيروت ١ / ٢٣٩ .

(٦) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن

عابر ، وقيل إنه كان مع نوح - عليه السلام ، في السفينة وأنه من ولد ولده وهم العرب العاربة ومنهم تعلم إسماعيل العربية .

فكة
قد
حقاً

الغراب غداً ، فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه ، ليس له ولد غيره (١) ، فوجد قرية النمل (٢) ، ووجد الغراب ينقر عندها ، بين الوثنين : إساف ونائلة (٣) ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما (٤) .

بينك
وبينه
وكا

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله ابن أبي بكر بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة رجل وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة ، فمسخا حجرتين .

يزيد
قال
نائه

حدثنا أحمد ، نا يونس عن ابن إسحاق قال : فجاء عبد المطلب بالمعول (٥) ، فقام ليحفر ، فقالت له قريش حين رأوا جده : والله لا ندعك تحفر بين صنمينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دعني - أو : ذد عني - حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به ، فلما رأوا منه الجد ، خلوا بينه وبين الحفر ،

حتى
وما
فقيماً
لمض
ولا

(١) وقد اصطحب معه الحارث فقط لأنه لم يكن أنجب غيره وقتئذ وهو أكبر أعمام النبي ﷺ انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣٦ .

(٢) المقصود بقرية النمل أن زمزم هي عين مكة التي يردّها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهي لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه وتعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿ ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفي مكة قال الله سبحانه : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ .

أمر
لنا

(٣) يروى أنهما كانا رجلاً وامرأة من جرهم فعلا الفاحشة في الكعبة فمسخهما الله حجرتين فأقامهما أهل مكة للعبرة والاعتاظ وبمرور الزمان أصبحا وثنين مقدسين في مكة .

وعر
فحة
على

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال في هذا الموضع : فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال ، وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً ، والله أعلم أى ذلك كان . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٣٥ .

(٥) الفأس العظيمة التي يُنقر بها الصخر والجمع المعاول انظر مختار الصحاح تحقيق د . عبد الفتاح البركاوى ص ٢١٨ .

فكفوا عنه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى بدا له الطوى ، فكبر (١) . فعرفت قريش أنه قد صدق وأدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : إنها لبئر آبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها .

قال : ما أنا بفاعل ، وإن هذا لأمر قد خُصصتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ، قالوا : فأنصفنا ، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه ، فقالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم ، قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زُرير الغافقى قال : سمعت على بن أبي طالب ، وهو يحدث حديث زمزم فقال : بينا عبد المطلب نائم فى الحجر ، أتى ، فقيل له : احفر برةً ، فقال : وما برةٌ ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك ، فأتى ، فقيل له : احفر المذنونة ، فقال : وما المذنونة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد عاد فنام فى مضجعه ، فأتى ، فقيل له : احفر طيبة ، فقال : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، فقال : وما زمزم ؟ فقال : لا تتزف ولا تدف ، ثم نعت له موضعها (٣) .

* * *

* قريش تُنازع عبد المطلب زمزم :

فقام فحفر حيث نُعت له ، فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب ؟ فقال : أمرتُ بحفر زمزم ، فلما كشف عنه ، وأبصروا الطوى ، قالوا : يا عبد المطلب إن لنا لحقاً فيها ، إنها لبئر آبينا إسماعيل ، فقال : ما هى لكم ، لقد خُصصت بها

(١) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فلما بُين له شأنها ودُل على موضعها وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها ، فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر انتهى كلام ابن إسحاق . وتكبير عبد المطلب دليل على فطرته السليمة الخالصة .

(٢) أى على حدود ومشارف الشام .

(٣) أى وصف له مكانها .

دونكم ، قالوا : فحاكمنا ، فقال : نعم ، فقالوا : بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هذيم ، وكانت بأشراف الشام .

* التحاكم فى بئر زمزم :

أبى حين فركب عبد المطلب فى نفر من بنى أبيعة ، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر ، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيما بين الشام ، والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا الهلكة ، فاستسقوا القوم ، قالوا ما نستطيع أن نسقيكم ، وإنّا لنخاف مثل الذى أصابكم ، فقال عبد المطلب لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلاّ تبع لرأيك ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة بما بقى من قوته ، فكلما مات رجل منكم ، دفعه أصحابه فى حفرة ، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه ، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم ، ففعلوا .

ثم قال : والله إن لقاءنا بأيدينا للموت ، لا نصرب فى الأرض ونبغى ، عجز . فقال لأصحابه : ارتحلوا ، فارتحلوا ، وارتحل ، فلما جلس على ناقته ، وانبعثت به ، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب ، فأناخ وأناخ أصحابه ، فشرّبوا ، واستقوا وسقوا ، ثم دعوا أصحابهم : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله عز وجل ، فجاءوا فاستقوا وسقوا ، ثم قالوا : يا عبد المطلب ، قد والله قضى لك ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، لهو الذى سقاك زمزم ، انطلق ، فهى لك ، فما نحن بمخاصميك (١) .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، قال : فانصرفوا ومضى عبد المطلب فحفر ، فلما تمادى به الحفر ، وجد غزالين من ذهب ،

وقاتا فقاتل (١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع ، فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر يسقى حجيج الله فى كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عمّر

البئار
ولفض
مساف

وهما الغزالان اللذان كانت جُرهم دفنت فيها حين أخرجت من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم ، التى سقاه الله عز وجل حين ظمى ، وهو صغير (١) .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى نجيع ، عن مُجاهد ، قال : مازلنا نسمع أن زمزم همزة جبريل بعقبه لإسماعيل حين ظمى (٢) .

حدثنا أحمد : نا يونس ، عن سعيد بن ميسرة البكرى ، قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة ، ووضعها إبراهيم بمكة ، عطشت هاجر ، فنزل عليها جبريل ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : هذا ولد إبراهيم ، فقال : أعطشانة أنت ؟ قالت : نعم ، فبحث بجناحه الأرض ، فخرج الماء ، فأكبت عليه هاجر تشربه ، فلولا ذلك لكانت أنهاراً جارية .

أنا (٣) أحمد : حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، قال : فلما حفر عبد المطلب زمزم ، ودله الله عز وجل عليها ، وخصه بها ، زاده الله عز وجل شرفاً وخطرأ فى قومه ، وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت ، فأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها ، لمكانها من البيت ، وأنها سقى الله عز وجل إسماعيل .

* فضل زمزم على سائر المياه :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يونس عن طلحة بن يحيى ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم (٤) .

(١) ذكر البرقى عن ابن عباس أنها سميت زمزم لأنها رمت بالتراب لثلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شئ ، وقيل الزمزمة عند العرب . الكثرة والاجتماع .

(٢) وذلك أن جرهم كانت تتولى أمر الزعامة فى مكة وولاية البيت فجاءت قبيلة خزاعة وقاتلت قبيلة جرهم حتى أخرجتها من مكة وصارت الزعامة لها حتى جاء قصى بنى كلاب فقاتل خزاعة قتالا شديداً وأخرجهم من مكة وولى أمر مكة والبيت وصارت الزعامة لقريش .

(٣) من رموز الحديث بمعنى أخبرنا .

(٤) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فعفت (أى غطت على غيرها) زمزم على البئر التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . قال الشاعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف :

=

* ما وجده عبد المطلب في بئر زمزم :

حدثنا أحمد قال : ثنا يونس ، عن ابن إسحاق قال : ووجد عبد المطلب أسياًفاً مع الغزالين (١) ، فقالت قريش : لنا معك يا عبد المطلب في هذا شرك وحق ، فقال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر نصف بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقдах (٢) ، فقالوا : فكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولكم قدحين ، ولى قدحين ، فمن خرج له شيء كان له ، فقالوا : قد أنصفت ، وقد رضينا ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها الذى يضرب بالقдах ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ رَبِّي وَأَنْتَ الْمُبْدِئُ الْمَعِيدُ
وَمُمْسِكُ الرَّاسِيَةِ الْجَلْمُودُ مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ
إِنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ مَا تُرِيدُ لِمَوْضِعِ الْحَلِيَّةِ وَالْحَدِيدِ
فَبَيْنَ الْيَوْمِ لِمَا تُرِيدُ إِنِّي نَذَرْتُ عَاهِدَ الْعُهُودِ
أَجْعَلْهُ رَبِّي فَلَا أَعُودُ

وضرب صاحب القдах ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، فضربهما عبد المطلب في باب الكعبة ، فكانا أول ذهب حليته ، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها .

وكانت قريش ومن سواهم من العرب إذا اجتهدوا في الدعاء ، سجعوا وألفوا الكلام ، وكانت فيما يزعمون قلماً (٣) تُرد إذا دعا بها داع .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن

ورثنا المجد من آبا ثنا فمشى بنا صعدا

ورمزم في أرومتنا ونفقا عين من حسدا

انظر السيرة النبوية لابن هشام .

(١) قال ابن إسحاق عن هذين الغزالين إنهما اللذان دفنت جُرم فيها حين خرجت من مكة .

انظر سيرة ابن هشام بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد . ط . دار الجيل ١ / ٢٨٢ .

(٢) القдах هو السهم قبل أن ينصل ، والجمع القَدْحُ انظر لسان العرب ٥ / ٣٥٤٢ ط .

دار المعارف . (٣) أى نادراً .

أبى نجيح ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عبد الله بن خريث - وكان قد أدرك الجاهلية - قال : لم يكن من قريش فخذ إلا ولهم ناد معلوم في المسجد الحرام ، يجلسونه ، فكان لبني بكر مجلس تجلسه ، فبينما نحن جلوس في المسجد ، إذ أقبل غلام ، فدخل من باب المسجد مسرعاً حتى تعلق بأستار الكعبة ، فجاء بعده شيخ يريده ، حتى انتهى إليه ، فلما ذهب ليتناوله ييست يده ، فقلنا ما أخلق هذا أن يكون من بني بكر ، فتحقبناه العرب مع ما تحدث به عنا ، فقمننا إليه ، فقلنا : ممن أنت ؟ فقال : من بني بكر ، فقلنا : لا مرحباً بك ، ما لك ولهذا الغلام ؟ فقال الغلام (١) : ولا والله ، إلا أن أبى مات ونحن صبيان صغار ، وأما مؤتمة لا أحد لها فعادت بهذا البيت فنقلتنا إليه وأوصت فقالت : إن ذهبت وبقيتم بعدي فظلم أحد منكم ، أو ركب بكم أمر ، فمن رأى هذا البيت فليأته فيتعوذ به فإنه سيمنعه ، وإن هذا أخذني واستخدمني سنين ، واسترعاني إبله ، فجلب من إبله قطعاً ، فجاء بي معه ، فلما رأيت البيت ذكرت وصاة أمي ، فقلنا : قد والله أرى منعك ، فانطلقنا بالرجل ، وإن يديه لمثل العصوين قد ييستا ، فأحقبناه (٢) على بعير من إبله ، وشددناه بالحبال ، ووجهنا إبله ، وقلنا : انطلق لعنك الله .

حدثنا أحمد قال : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن أبي بكر أنه قال : كنت امرأةً تاجرًا ، فسلكت ثنية في سفر لي ، فإذا رجل منها يقول : أتؤمنني أو منك ؟ فقلت : نعم ، فقال : أدنه ، فأتيته ، فإذا هو نهيش قد أنيسته حية أصابته ، فقال : يا عبد الله هل أنت مبلغي إلى أهلي ها هنا ، تحت هذه الثنية ؟ فقلت : نعم ، فاحتملته على بعيري ، فأتيت به على أهله ، فقال لي رجل من القوم : يا عبد الله ممن أنت ؟ فقلت : رجل من قريش ، فقال : والله إنني لأظنك مصنوعاً لك ، والله ما كان لص أعدى منه .

قال : وأضلتني ناقة لي قد كنت أعلفها العجين ، فلما أيست منها ، اضطجعت عند رحلي ، وتقنعت بثوبي ، فوالله ما أهبنى إلا حس مشفرها تحرك به قدمي ، فقممت إليها ، فركبتها .

(١) واضح أن جواب الشيخ البكري سقط من الأصل كما سقط أيضاً بداية جواب الغلام .

(٢) أي أردفناه ، أحقب الرجل أردفه (انظر المعجم الوجيز ص ١٦٢) .

ياقاً
'
'
'
'
حين
ثم

هما
رف

أفوا

بن

من

ط .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال : حدثني من سمع عكرمة يذكر عن ابن عباس قال : بينا (١) أنا جالس عند عمر بن الخطاب ، وهو يعرض الناس على ديوانهم ، إذ مرَّ شيخ كبير أعمى يجذب قائده جبداً شديداً ، فقال عمر : ما رأيت كالיום منظرًا أسوأ .

قال : فقال له رجل : يا أمير المؤمنين هذا ابن صَبْغَاءِ البهزي ، ثم السُّلَمي بهيك بريق ، فقال عمر : قد أعلم أن بريقاً لقب ، فما اسم الرجل ؟ قالوا : عِيَاض ، قال عمر : ادعوا لي عِيَاضاً ، فدعى ، فقال : أخبرني خبرك وخبر بني صَبْغَاءِ - وكانوا عشرة نفر .

فقال عِيَاض : شيء كان في الجاهلية قد جاء الله بالإسلام ، فقال عمر : اللهم غفرًا ، ما كان أحرانا نتحدث عن أمر الجاهلية منَّا حين هدانا الله عز وجل للإسلام ، وأنعم علينا به ! فقال : يا أمير المؤمنين كنت امرأة قد نفاني أهلي ، وكان بنو صَبْغَاءِ عشرة ، وكانت بيني وبينهم قرابة وجوار ، فتنقصوني ما بى وتذلّلوني ، فسألتهم بالله والرحم والجوار إلا ما كفوا عني ، فلم يفعلوا ، ولم يمنعني ذلك منهم ، فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام ، ثم رفعت يدي إلى الله عز وجل فقلت :

اللَّهُمَّ ادْعُوكَ دُعَاءَ جَاهِدًا اقْتُلْ بَنِي الصَّبْغَاءِ إِلَّا وَاحِدًا

ثُمَّ اضْرِبِ الرَّجُلَ قَدْرَهُ قَاعِدًا أَعْمَى إِذَا مَا قِيدَ عَنِّي الْقَائِدُ

فتتابع منهم تسعة في عام واحد ، وضرب الله عز وجل هذا ، وأعمى بصره ، فقائده يلقي منه ما رأيت ، فقال عمر : إن هذا لعجب .

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين شأن أبي تقاصف الخناعي ، ثم الهذلي ، وأخوته أعجب من هذا ، فقال عمر : وكيف كان شأن أبي تقاصف وإخوته ؟ فقال : كان لهم جار هو منهم بمنزلة عِيَاض من بني صَبْغَاءِ ، فتنقصوه وتذلّلوه فذكّرهم الله والرحم والجوار ، فلم يعطفهم ذلك عليه ، فأمهلتهم حتى إذا دخل الشهر الحرام ، رفع يديه ثم قال :

(١) بمعنى بينما .

اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ آمَنٍ وَخَائِفٍ وَسَامِعَ هَتَافٍ كُلِّ هَاتِفٍ
 إِنَّ الْخِنَاعِي أَبَا تَقَاصِفٍ لَمْ يُعْطِنِي الْحَقُّ وَلَمْ يُنَاصِفِ
 فَاجْمَعْ لَهُ الْأَحِبَّةَ الْأَلَاظِفَ بَيْنَ قِرَانِ ثَمٍّ وَالتَّوَاصِفِ

قال فنزلوا في قَلْبِ (١) لهم يحفرونه حيث وصف ، فتهور عليهم ، فإنه لقبرهم إلى يومهم هذا .

فقال رجل من القوم : شأن بني مؤمل من بني نصر أعجب من هذا ، كان بطن من بني مؤمل ، وكان لهم ابن عم قد استولى على أموال بطن منهم وراثة (٢) فألجأ نفسه وماله إلى ذلك البطن ، فتنقصوا ماله وتذلّلوه وتضعفوه ، فقال : يا بني مؤمل ، إني قد ألجأت نفسي ومالي إليكم لتمنعوني ، وتكفؤا عني ، فقطعتم رحمي ، وأكلتم مالي وتذللتُموني ، فقام رجل منهم يقال له رياح ، فقال : يا بني مؤمل صدق ، فاتقوا الله فيه وكفوا عنه ، فلم يمنعهم ذلك منه ، ولم يكفوا عنه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرجوا عُمَارًا (٣) ، رفع يديه فقال :

اللَّهُمَّ زِلْهُمْ عَنْ بَنِي مُؤْمَلٍ وَارْمِ عَلَى أَقْفَائِهِمْ بِمَنْكَلٍ
 بِصَخْرَةٍ أَوْ بَعْضِ جَيْشٍ جَحْفَلٍ إِلَّا رِيَاخًا إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ

فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا إلى جبل فأرسل الله عز وجل من رأس الجبل صخرة تجر ما مرت به من حجر أو شجر ، حتى دكتهم (٤) به دكة واحدة ، إِلَّا رِيَاخًا وأهل خبائه (٥) ، لأنه لم يفعل .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن هذا للعجب ، لم ترون هذا كان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، فقال : أما إني قد علمت ذاك ، كان الناس أهل

(١) الْقَلْبِ : البئر والجمع قلب انظر المعجم الوجيز ص ٥١٢ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ وَقَدْ تَكُونُ « وَرَثُوهَا » أَوْ أَنْ فَعَلَهُ هَذَا وَرَاثَةً عَنْ أَبِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) يَرِيدُونَ آدَاءَ الْعِمْرَةِ .

(٤) أَيْ أَهْلَكَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ وَسَوَّاهُمْ بِالْأَرْضِ .

(٥) أَيْ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ .

الجاهلية لا يعرفون ربًّا ولا بعثًا ، ولا قيامة ولا جنة ، ولا نارًا ، فكان الله عز وجل يستجيب لبعضهم على بعض ، للمظلوم على الظالم ، ليكف بذلك بعضهم عن بعض ، فلما بعث الله عز وجل هذا الرسول ، وعرفوا الله عز وجل والبعث والقيامة ، والجنة والنار ، وقال الله عز وجل : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ ^(١) فكانت المدد والإملاء ^(٢) .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) سورة القمر : الآية ٤٦ .

(٢) أى الإمهال وتأخير الحساب للأخرة ، فالله يمهل ولا يهمل .

نَذْرُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ : نَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : وَكَانَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ بْنُ هَاشِمٍ فِيمَا يَذْكُرُونَ ، قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قَرِيشٍ - عِنْدَ حَفْرِ زَمْزَمَ - مَا لَقِيَ : لَئِنْ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ نَفَرٍ ، ثُمَّ بَلَّغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْنَعُوهُ ، لِيَنْحَرْنَ أَحَدَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةٌ : الْحَارِثُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَجُحَلٌ ، وَضِرَارٌ ، وَالْمَقُومُ ، وَأَبُو لَهَبٍ ، وَالْعَبَّاسُ ، وَحَمْزَةُ ، وَأَبُو طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَمْنَعُونَهُ ، جَمَعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِذَلِكَ ، فَأَطَاعُوا لَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : يَأْخُذُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَدْحًا ، فَيَكْتُبُ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ تَأْتُونِي ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ أَتَوْهُ ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ هُبَلٌ عَظِيمٌ أَصْنَامُ قَرِيشٍ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ عَلَى بَثْرِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبَثْرُ الَّتِي يَجْمَعُ فِيهَا مَا يَهْدَى لِلْكَعْبَةِ ، وَكَانَ عِنْدَ هُبَلٍ سَبْعَةُ أَقْدَاحٍ ^(١) ، فِي كُلِّ قَدْحٍ مِنْهَا كِتَابٌ ، قَدَحٌ فِيهِ « الْعَقْلُ » ^(٢) ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْعَقْلِ مِنْ يَحْمِلُهُ ^(٣) مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقَدَاحِ السَّبْعَةَ ، فَعَلَى مَنْ خَرَجَ حَمْلُهُ ، وَفِيهَا قَدَحٌ « الْغَفْلُ » ^(٤) ، وَقَدَحٌ فِيهِ « نَعَمْ » لِلأَمْرِ إِذَا أَرَادَوْهُ ضَرْبَ بِهِ فِي الْقَدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَ قَدَحٌ « نَعَمْ » ، عَمَلُوا بِهِ ، وَقَدَحٌ فِيهِ « لَا » ، فَإِذَا أَرَادُوا أَمْرًا ضَرَبُوا بِهِ فِي الْقَدَاحِ ، فَإِذَا خَرَجَ ذَلِكَ الْقَدَحُ ، لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ ، وَقَدَحٌ فِيهِ « مِنْكُمْ » وَقَدَحٌ فِيهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » وَقَدَحٌ فِيهِ « مَلْصَقٌ » وَقَدَحٌ فِيهِ « الْمَاءُ » فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَرُوا لِلْمَاءِ ضَرَبُوا بِالْقَدَاحِ ، وَفِيهَا ذَلِكَ ، فَحَيْثُمَا خَرَجَ عَمَلُوا بِهِ ، وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتَنُوا غُلَامًا ، أَوْ يَنْكِحُوا مَنَكْحًا ، أَوْ يَدْفِنُوا مَيِّتًا ، أَوْ شَكُّوا فِي نَسَبِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ ، وَذَهَبُوا مَعَهُمْ بِجُزُورٍ وَمِائَةِ دِرْهَمٍ إِلَى صَاحِبِهِ (صَاحِبِ الْقَدَاحِ) الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا ، فَأَعْطَوْهَا إِيَّاهُ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، وَقَالُوا : اضْرِبْ ، اللَّهُمَّ أَخْرِجْ عَلَى يَدَيْهِ الْيَوْمَ الْحَقَّ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا هُبَلًا ، فَقَالُوا : يَا إِلَهِنَا ، هَذَا فَلَانُ ابْنِ فَلَانٍ كَمَا زَعَمَ أَهْلُهُ ، يَرِيدُونَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَخْرِجْ فِيهِ « الْغَفْلُ » ، أَوْ « نَعَمْ » أَوْ « مِنْكُمْ » وَأَقْبَلْ هَدِيَّتَهُ ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ هَؤُلَاءِ

(٢) أَى الدِّية .

(١) سَبَقُ تَعْرِيفِهَا .

(٤) أَى بَدُونِ كِتَابَةٍ .

(٣) أَى يَتَحَمَّلُهُ .

الثلاثة كتب فى قومه وسيطاً (١) ، وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ، وإن خرج عليه « ملصق » كانت منزلته فيهم لا نسب ولا حلف ، وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون من أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

* عبد المطلب يحتكم إلى القداح :

فقال عبد المطلب : اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره ، وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ﷺ أصغر بنى أبيه (٢) ، كان هو والزيبر وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن مخزوم ، وكان - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى (٣) ، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ لَا يَخْرُجْ عَلَيْهِ الْقَدْحُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْحُ

إِنْ كَانَ صَاحِبِي لِلذَّبْحِ إِنِّي أَرَاهُ الْيَوْمَ خَيْرَ قَدْحٍ

حَتَّى يَكُونَ صَاحِبِي لِلْمَنْحِ يُغْنِي عَنِّي الْيَوْمَ كُلَّ سَرَحٍ

* خروج القدح على عبد الله :

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة (٤) ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ، الوثنيين اللذين تنحرا عندهما قريش ذبائحها ، ليزبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ فقال : أذبحه ، وأنشأ يقول :

عَاهَدْتُ رَبِّي وَأَنَا مُوفٍ عَهْدَهُ أَيَّامَ أَحْفَرُ وَبَنَى وَخَدَهُ

(١) وسيطاً : أى خالص النسب أو شقيقاً فى قومه .

(٢) أى حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس لأن حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة .

(٣) أى أبقى انظر القاموس المحيط ٢ / ٧٨١ .

(٤) الشفرة : السكين العظيم انظر القاموس المحيط ٢ / ٦٣ .

عبد ا

وجهه

نعذر

ذلك

الله بر

فداء

ذبح =

وَاللَّهُ لَا أَحْمَدُ شَيْئًا حَمْدَهُ كَيْفَ أَعَادِيهِ وَأَنَا عَبْدُهُ
إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَخَّرْتُ وَعْدَهُ أَنْ أَضِلَّ إِنْ تَرَكْتُ عَهْدَهُ
مَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُ يَوْمًا عِنْدَهُ
أَوْجَعَ قَلْبِي عِنْدَ حَفَرِي رَدَّهُ وَاللَّهُ رَبِّي لَا أَعِيشُ بَعْدَهُ

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ذكروا أن العباس بن عبد المطلب اجتره من تحت رجل أبيه حتى خدش وجه عبد الله خدشاً ، لم يزل في وجهه حتى مات .

* عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه :

قال ابن إسحاق : فقالت قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ونحن أحياء حتى نغذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال رجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على ذلك .

قال ابن إسحاق : وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله بن عبد المطلب ابن أخت القوم - : والله لا تذبحه أبداً حتى نغذر فيه ، فإن كان فداء ، فديناه بأموالنا ، وقال فيما يزعمون في ذلك شعراً حين أجمع عبد المطلب في ذبح عبد الله بما أجمع :

وَأَعْجَبِي مَنْ قَتَلَ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ وَذَبَحَهُ خَرْقًا كَتَمْتَالِ الذَّهَبِ
يَا شَيْبَ لَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا بِالْعَجَبِ فَمَا ابْنَا بِشَرِّ الْقَوْمِ النَّجَبِ
وَلَا ابْنَكُمْ بِالْمُسْتَذَلِّ الْمُغْتَضَبِ نَفَادِيهِ بِالْمَالِ حَتَّى نُخْتَرَبِ
فَسَوْفَ أَفْدِيهِ بِمَالِي وَالسَّلْبِ وَسَوْفَ أَلْقَى دُونَهُ مِنَ الْغَضَبِ
أَشْوَسَ آبَاءَ قَبِيحَاتِ الْخَطْبِ مَا ذَبَحَ عَبْدَ اللَّهِ فِينَا بِاللَّعِبِ
ذَبَحًا كَمَا يُذَبِّحُ مَعْتُوبِي النُّصَبِ كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ مَسْتَوِرِ الْحُجَبِ
لَا يَعْجَلُ الْمَذْبُوحُ حَتَّى نَضْطَرِبَ ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ مِنْ بَعْدِ الْغَضَبِ
بِكُلِّ مَصْقُولٍ رَقِيقٍ ذِي شَطَبٍ كَالْبَرْقِ أَوْ كَالنَّارِ فِي الثَّوْبِ الْعَطَبِ

قال أبو عمرو : ويقال : القطب والعطب ، القطن .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو طالب حين أراد عبد المطلب ذبح عبد الله - وكان ابن أمه - وحين قال الغميرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ما قال :

كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَنْصَابِ وَرَبِّ مَا أَنْصَى مَنَ الرِّكَابِ
كُلُّ قَرِيبٍ السُّدَارِ أَوْ مُتَّابٍ يَزُورُ بَيْتَ اللَّهِ ذَا الْحِجَابِ
مَا قَتَلُ عَبْدُ اللَّهِ بِاللُّعَابِ مِنْ بَيْنِ رَهْطِ عَصْبَةِ شَبَابِ
ابن نِسَاءٍ سِطَّةٌ ^(١) الْأَنْصَابِ أَغْرَ بَيْنَ الْبَيْضِ مِنْ كَلَابِ
وَبَيْنَ مَخْزُومٍ ذَوَى الْأَحْسَابِ أَهْلَ الْجِيَادِ الْقَبِ وَالْقَبَابِ
لَسْتُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْأَذْنَابِ حَتَّى تَذُوقُوا حَمْسَ الضُّرَابِ
بِكُلِّ عَصَبٍ ذَائِبٍ اللَّعَابِ ذِي رَوْنَقٍ فِي الْكَفِّ كَالشُّهَابِ
تَلْقَاهُ فِي الْأَقْرَانِ ذَا أُنْدَابِ إِنْ لَمْ يَجْعَلْ أَجْلَ الْكِتَابِ
قَلْتُ وَمَا قَوْلِي بِالْمَعَابِ يَا شَيْبَ إِنْ الْجَوْرَ ذُو عِقَابِ
إِنَّ لَنَا إِنْ جَرَتْ فِي الْخَطَابِ أَخْوَالَ صِدْقٍ كَأَسْوَدِ الْغَابِ
لَنْ يُسْلِمُوهُ الدَّهْرَ لِلْعَذَابِ حَتَّى يَمَصَّ الْقَاعَ ذُو التَّرَابِ
دِمَاءَ قَوْمٍ حَرَمَ الْأَسْلَابِ

فقال عبد المطلب عند ذلك :

اللَّهُ رَبِّي وَأَنَا مُؤَفَّ نَذْرُهُ أَخَافُ رَبِّي إِنْ عَصَيْتُ أَمْرَهُ
وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ شَيْءٌ قَدْرُهُ فَهُوَ وَلِيِّي وَإِلَيْهِ عُمْرُهُ
هَذَا بَنِي قَدْ أَرَدْتُ نَحْرَهُ فَإِنْ نُوْخِرْهُ وَتَقْبَلْ عُدْرَهُ
وَتَصْرِفِ الْمَوْتَ لَهُ وَحَذْرَهُ وَتَصْرِفِ الْمَوْتَ فَلَا يَضُرُّهُ
مَنْ جَهْدَ إِنْسَانٍ وَلَا تَعْرَهُ سِوَاكَ رَبِّي وَيَكُونُ قَرُّهُ
لِكُلِّ عَيْنٍ نَاطِرٍ تُسِرُّهُ أَعْطَيْتَهُ رَبُّ فَلَ تَعْرِهُ
لِحَزَنِ يَوْجٍ عَنِ مَسْرِهِ

(١) السطة : النسب العريق

* ما أشارت به عرّافة الحجاز على عبد المطلب :

فقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق إلى الحجاز فإن به عرّافة يقال لها نباح (١) ، لها تابع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، فإن أمرتك بذبحه ، ذبحته ، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته ، فقال : نعم .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها فيما يزعمون بخير ، فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي ، فأسأله ، فخرجوا من عندها ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ لَا تُحَقِّقْ حَذْرِي وَأَصْرِفْ عَنْهُ شَرَّ هَذَا الْقَدَرِ
فَإِنِّي أَرْجُو لِمَا قَدْ أَذَرِ لِأَن يَكُونَ سَيِّدًا لِلْبَشَرِ

ثم غدوا إليها ، فقالت : نعم ، قد جاءني الخبر ، فكم الدية فيكم ؟ فقالوا : عشرة من الإبل (٢) ، وكانت كذلك ، فقالت : فارجعوا إلى بلادكم ، فقدموا صاحبكم ، وقدموا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل ، فإذا خرجت القداح على الإبل ، فقد رضى ربكم ، فانحروها عنه ، ونجى صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ويقول :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا تُرِيدُ إِنَّ شِئْتَ أَلْهَمْتَ الصَّوَابَ وَالرَّشْدَ
إِنِّي مُوَالِيكَ عَلَى رَغَمِ مَعْدٍ وَسَاقِي حَاجِيْجِكَ الْأَبْدَ
أَوْرَثَنِي سُقْيَاهُمْ أَبِي وَجَدَ فَإِنَّ وَجْدِي فَأَعْلَمَنْ وَجْدُ وَجْدُ
أَنْتَ الَّذِي تَعْلَمُ كُلَّ صَمَدٍ فَلَا تُحَقِّقْ حَذْرِي بَوْلْدَ

واجعل فِداه في الجلاه الجعد

(١) قيل اسمها : قطبة ، ذكرها عبد الغنى في كتاب الغوامض والمبهمات ، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها : سجاح .

(٢) وهذا دليل على أن الدية كانت عشرة من الإبل وأن عبد الله جعلها مائة فهو أول من ودى بمائة من الإبل .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما قربوا
عبد الله وعشرًا من الإبل ، وعبد المطلب في جوف الكعبة يدعو ويقول :
اللَّهُمَّ رَبُّ الْعَشْرِ بَعْدَ الْعَشْرِ وَرَبُّ مَنْ يَأْتِي بِكُلِّ نَذْرٍ
أَنْجِ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ النَّحْرِ وَنَجِّهِ مِنْ شَفْعِهَا وَالْوَتْرِ
ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل عشرين
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبُّ عِشْرِينَ وَرَبُّ الشَّفْعِ أَنْجِ عَبْدَ اللَّهِ رَبَّ النَّفْعِ
مِنْ ضَرْبَةِ الْقِدْحِ الَّتِي فِي الْجِدْعِ وَأَعْطِهِ الرَّفْعَ الَّذِي فِي الرَّفْعِ
وَلَا يَكُونُ ضَرْبُهُ كَاللَّذْعِ كَلَّذْعَةِ النَّارِ الَّتِي فِي السَّفْعِ
ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل
ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

رَبُّ الثَّلَاثِينَ وَكَلَى النِّعَمِ أَمِنَ أَنْ نُصَابَ بِالْدَمِ
هَذَا الْغَلَامُ جَنَّةٌ لَمْ يَعْلَمْ فَطَارَ قَلْبِي فَهُوَ— مِثْلُ الْمَغْرَمِ
لَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى يَسْلَمَ وَتَنَحَّرَ الذُّودُ الَّتِي لَمْ تُقْسَمَ
وَنَجَّهِ مِنْ ضَرْبَةٍ لَمْ تَكَلَمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل
أربعين ، فقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُمَّ رَبُّ الْأَرْبَعِينَ إِذَا بَلَغْتَ أَنْجِ بَنِيَّ مِنْ قِدَاحِ كُتْبَتِ
وَأَنْحَرِ الذُّودَ الَّتِي هَمَلْتُ وَجَلَّلْتُ فِي قَتْلِهِ وَذِيخْتُ
بَلِّغْ رِضَاكَ رَبَّنَا إِذَا جَعَلْتَ عَدَلَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَقَعْتَ

ثم ضربوا فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل خمسين
وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبُّ خَمْسِينَ سَمَانَ بُدْنٍ مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ لَهُ لَمْ تُعْطَنَ
إِلَّا لِرَبِّ مَا جِدَ مُمَكِّنَ أَنْجِ عَبْدَ اللَّهِ رَبَّ الْأَرْكَنِ
وَأَنْحَرِ الذُّودَ الَّتِي لَمْ تَسْكُنَ

ربوا

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ستين
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

رين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّيِّئِ وَرَبَّ الْمَشْعَرِ وَرَبَّ مَنْ حَاجَّ لَهُ وَكَبَّرَ
يَسْعَى لِرَبٍّ قَادِرٍ لِيُغْفَرَ أَنْجِ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ الْمُنْحَرِ
وَعَافِهِ مِنْ ضَرْبَةٍ لَا تُجْبَرُ لَتُبْلَغَ الْعَظَمُ بِهَا فَيُكْسَرَ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغ الإبل سبعين ،
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

إبل

يَا رَبُّ سَبْعِينَ لَهُ قَدْ جُمِعَتْ فَادْبَحِ الذُّودَ الَّتِي قَدْ عُطِّلَتْ
وَحُسِبَتْ فِي قَتْلِهِ وَخِيَسَتْ وَأَخْرِجِ السَّهْمَ لَهَا إِذْ بُذِلَتْ
حَتَّى تَكُونَ دِيَّةً قَدْ كَمُلَتْ عَنْ مَقْتُولٍ لَهُ إِذْ قُبِلَتْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ثمانين
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

إبل

يَا رَبُّ الثَّمَانِينَ وَرَبُّ الْإِهْلَالِ وَرَبُّ مَنْ يَأْتِيكَ لِلْإِحْلَالِ
اجْعَلْ فِدَاءً وَلِغْدَى ذُودَ أَبَالِ سَوْفَ تَرَى شُكْرِي عِنْدَ الْإِحْلَالِ
كَشُكْرِ مَنْ يَسْعَى بِغَيْرِ أَنْعَالِ أَمِنْ بِهِ عَلَى رَبِّ الْأَفْضَالِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل تسعين
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

سين

يَا رَبُّ تَسْعِينَ وَرَبُّ الْمَشْرِعِ وَرَبُّ مَنْ يَدْفَعُ عِنْدَ الْمَدْفَعِ
حَتَّى يُجِيزُوا مَعْشَرًا لِلْمَجْمَعِ أَنْجِ لِي عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ الْأَذْرَعِ
وَنَجِّهِ مِنْ ضَرْبَةٍ لَا تُرْجَعِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل مائة
وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ رَبَّ مِائَةِ تُقْسَمُ وَرَبُّ مَنْ يَهْوِي بِكُلِّ مَعْلَمِ
وَرَبُّ مَنْ أَهْدَى لِكُلِّ مَحْرَمِ قَدْ بَلَغَتْ مِائَةً لَمْ تُقْسَمِ
أَرْغِمِ أَعْدَائِي بِهَا لِيَرْغَمُوا

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، فقالت قريش ومن حضره : قد رضى
ريك ، وخلص لك ابنك .

* نجاة عبد الله من الذبح :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فذكروا أن
عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى
عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ أَنْتَ هَدَيْتَنِي لِرِزْمَزَمْ
فَلَا تُرِينِيهِ الْغَدَاةَ فِي الدَّمِ
فَاجْعَلْ فِدَاهُ مَائَةً لَمْ تُقْسَمِ
أَمْنٌ عَلَى ذَا الْجَلَالِ الْمُنْعَمِ
وَتُمْ رَبٌّ فَاجْعَلْ لَنْ مَا تَمْ
بِحَوْلِكَ اللَّهُمَّ عَيْشَ خَرَمٍ
فَبَلِّغِ الْعَيْشَ بِهِ فِيهِمْ
إِنْ بُنِيَ أَحَبُّ مَنْ أَنْ تَكَلَّمَ
فَإِنْ حُزْنِي يُدْخِلُ فِي الْأَعْظَمِ
حَتَّى تُفَادِيَهُ بِكُلِّ أَعْجَمٍ
وَأَوْقِعِ الْمَوْتَ لِدُودِ عَتَمِ
ثُمَّ اصْرِفِ الْمَوْتَ إِلَيْهَا يَسْلَمِ
وَأَنْتَ إِنْ سَلَّمْتَهُ لَمْ يَكَلَمْ
حَتَّى أَرَاهُ عِنْدَ كُلِّ مَقْدَمٍ
يَبِينُ الْخَيْرَ لِمَنْ تَوْسَمِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثانية ، وعبد المطلب مكانه
عند هبل ، فلما أرادوا أن يضربوا ، قال :

يَا رَبُّ لَا تُشْمِتْ بِي الْأَعَادِي
فَلَا تَسِيلَ دَمَهُ فِي الْوَادِي
ذُودٌ لِقَاحِ بُدْنًا أُنْدَادِي
وَلَا تُرْتِنِيهِ الْأَذْوَادِ
لَكِنْ يَمِينِ قَسَمِ الْجَوَادِ
إِنْ بُنِيَ تَمْرَانِي رَبُّ لَمْ أَضَادِي
وَأَجْعَلْ فِدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ تِلَادِي
حَتَّى تَكُونُ فِدْيَةَ الْأَوْلَادِ
إِنْ بُنِيَ رَبُّ لَمْ يُفَادِي
فَقَدْ تَرَانِي رَبُّ لَمْ أَضَادِي

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة ، وقام عبد المطلب
يدعو ويقول :

تركة

اختر

القرأ

استوا

اختر

لوج

النبو

من

الشه

انظر

يَا رَبُّ قَدْ أَعْطَيْتَنِي سُؤَالِي
فَاجْعَلْ فِدَاهُ الْيَوْمَ جُلًّا مَالِي
وَلَا تُرِيْنَهُ بَشَرٌ حَالٍ
بَانَ يَكُونُ النَّحْرُ لِلْهَلَالِ
عَنْ ابْنِي الْأَصْغَرِ ذَا الْجَلَالِ
فَأَنْعِمِ الْيَوْمَ لِذَاكَ بِأَلِي
كُلَّهُمْ يَنْكُحُ سُلَيْمَانَ
أَكْثَرْتُ بَعْدَ قَلَّةٍ عِيَالِي
مُعَلَاتٍ تَسْنَحَبُ الْأَجْلَالَ
فَإِنَّهُ يُدْخِلُنِي سُلَالِي
أَوْ تَصْرِفَ الْمَوْتَ فَلَا أَبَالِي
أَنْتَ الْوَلِيُّ الْمُنْعِمُ الْمِفْضَالِ
فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ الْمَوَالِي
كُلَّ فَتَى أَبْيَضَ كَالْهَلَالِ

وقالت آمنة أم النبي ﷺ (١) :

يَا رَبُّ بَارِكْ فِي الْغَلَامِ الْأَزْهَرِ
فِي الْهَاشِمِيِّ وَالْكَرِيمِ الْعُنْصُرِ
ثم ضربوا بالقداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصد عنها أحد (٢) .

* * *

(١) هذا ليس حقه أن يأتي هنا والمفروض أن يأتي بعد ذكر ميلاد النبي ﷺ ولكن تركناه التزاماً بالترتيب حسب أصل المخطوطة .

(٢) هنا يظهر التكلف والاختراع على هذه القصة شديد الوضوح ، وهي كما يبدو اخترعت من قبل أكثر من إنسان وعبر فترات طويلة ، ويبدو أيضاً أن فكرتها مستوحاة من القرآن حيث تم ذكر النبي إبراهيم مع قصة ذبحه ابنه ومسألة الفداء ، ولا شك أن هذه الرواية استهدفت رفع مكانة النبي محمد ﷺ والعناية الخاصة التي أحيط بها والده ، ومن الأدلة على اختراعها انعدام الأضاحى البشرية في مجتمع مكة لما قبل الإسلام ، ذلك أن القرآن لم يشر لوجود مثل هذه العادة كما لم يشر من جهة ثانية إلى حادثة من هذا القبيل وقعت لأبي النبي ، والمشكلة العويصة في هذه الرواية هي الشعر ، فهو منظوم ركيك محال ضبطه وبالتالي من العبث شرح كلماته ، وسبق لابن هشام أن واجه هذه المسألة حين أورد هذه القصة فحذف الشعر وقال : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٣ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

تزويج عبد الله بن عبد المطلب

• عبد الله يرفض المرأة التي عرضت نفسها عليه :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونس ، عن ابن إسحاق قال : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة ^(١) من بنى أسد ابن عبد العزى بن قصي ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه - فيما يذكرون - : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ؛ قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحررت عنك ، وقع على الآن ، فقال : إن معى أبى الآن ، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئاً .

* عبد الله يتزوج أمّنة بنت وهب :

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة - ووهب يومئذ سيد بنى زهرة نسباً وشرفاً - فزوجه أمّنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً ، وهى لبيرة ^(٢) .

(١) يروى أن عبد الله دعت المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة ، ورجحت أن تحمل بهذا النبى ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله لها :
أما الحرام فالحمّام دونه والحل لا حلّ فاستيئنه
فكيف بالأمر الذى تبغيه يحمى الكريم عرضه ودينه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبي قال :
إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى ، وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلي العدوية .

(٢) أى اسم أمها برة .

ليرة

عبد
ما
فج
قالمن
الآه
أسدصه
بالإ
أحيا

أمهات آمنة^(١)

برّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى .
 وأم برّة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصى ، وأم حبيب بنت أسد
 لبرّة بنت عوف بن عبيد بن كعب بن لؤى .

قال ابن إسحاق : فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه ^(٢) ، فوقع عليها
 عبد الله ، فحملت برسول الله ﷺ ، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التى قالت له
 ما قالت ، وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهى فى مجلسها
 فجلس إليها ، وقال : مالك لا تعرضين علىّ اليوم مثل الذى عرضت علىّ أمس ؟
 قالت : فارقك النور الذى كان فيك ، فليس لى بك اليوم حاجة .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت فيما ذكروا ، تسمع
 من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصّر واتبع الكتب - يقول : إنه لكائن فى هذه
 الأمة نبيٌّ من بنى إسماعيل ، فقالت فى ذلك شعراً ، واسمها أم قبال ابنة نوفل بن
 أسد ^(٣) كذا قال : « أم قبال » :

الآن وقد ضيّعت ما كنتَ قادراً
 غدوتَ علىّ حافلاً قد بذلتهُ
 هُناك لغيري فالحقنْ بشأنكا
 أصبتُ حبيباً منك يا عبدَ داركا
 به يدعُمُ الله البرية ناسكا
 فاجابها عبد الله فقال :

تقولين قولاً لستُ أعلمُ ما الذى
 يكونُ وما هو كائن قبل ذلك

(١) تكرر هذا الموضوع لفائدة زائدة .

(٢) أى : دخل بالسيدة آمنة حين أملكها .

(٣) سبق الإشارة أن كنيته : أم قتال وهنا جاء كنيته أم قبال فيجوز أن تكون الكنيتان
 صحيحتين ، ويجوز أن يكون هذا الاختلاف نتج عن أن المخطوطة كتبت بعدة خطوط ، هذا
 بالإضافة إلى ما حدث للمخطوطة من تأثر بالرطوبة فى المكتبة مما أدى إلى طمس بعضها
 أحياناً . والله أعلم .

مَنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ فِي ظِلِّ دَارِكٍ
وَمَثَلِي لَا يَسْتَامُ عِنْدَ الْفَوَارِكِ

فَإِنْ كُنْتُ ضَيَّعْتُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
فَمِثْلُكَ قَدْ أَصَبْتَ عِنْدَ كُلِّ حِلَّةٍ
فَقَالَتْ لَهُ أَيْضًا أُمُّ قَبَالٍ :

وَأَمْنَةُ التَّمِي حَمَلَتْ غُلَامًا
عَلَيْهِ نُورٌ قَدْ تَقَدَّمَ أَمَامًا
إِذَا مَا كَانَ مُرْتَدِيًا حَسَامًا
رِيَّاحُ الْجَذْبِ تَحْسِبُهُ قَتَامًا
وَأَدَّتُهُ كَرِيمَتُهُ هَمَامًا
يَسُودُ النَّاسُ مُهْتَدِيًا إِمَامًا
فَإَذْهَبَ نُورُهُ عَنَّا الظَّلَامَا
إِذَا مَا سَارَ يَوْمًا أَوْ أَقَامَا
وَيَفْرِضُ بَعْدَ ذَلِكَ الصِّيَامَا

عَلَيْكَ بَالُ زُهْرَةٍ حَيْثُ كَانُوا
يَرَى الْمَهْدَى حِينَ يَرَى
فَيَمْنَعُ كُلَّ مُحْصَنَةٍ خَرِيدٍ
وَتَخْفِرُهُ الشَّمَالُ وَيَانُ مِنْهَا
فَانْجَبَ ابْنُ هَاشِمٍ غَيْرَ شَكٍّ
فَكُلُّ الْخَلْقِ يَرْجُوهُ جَمِيعًا
بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ مُصَفَّى
وَذَلِكَ صَنَعُ رَبِّكَ إِذْ حَبَاهُ
فِيهِدِي أَهْلَ مَكَّةَ بَعْدَ كُفْرٍ
وَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ :

أَعْلَنْتُ قَوْلِي وَحَمَدْتُ الصَّبْرَا
وَفَادَهُ بِالْمَالِ شَفْعًا وَوَتَرَا
أَوْ مَائَةَ دَهْمًا وَكَمَتَا وَحُمَرَا
لِلَّهِ مِنْ مَالِي وَفَاءً وَتَذَرَا
بِالْوَاضِحِ الْوَجْهَ الْمَزِينِ عَذْرَا
أَعْطَانِي الْبَيْضَ بَنَى زُهْرَا
قَدْ كَانَ أَشْجَانِي وَهَدَّ الظُّهْرَا
وَاللَّاتِ وَالرُّكْنَ الْمَحَازِي حَجْرَا
مَا دُمْتُ حَيًّا حَتَّى أَزُورَ الْقَبْرَا

دَعَوْتُ رَبِّي مُخْفِيًا وَجَهْرَا
يَا رَبُّ لَا تَنْحَرْ بَنَى نَحْرَا
أَعْطَيْكَ مِنْ كُلِّ سَوَامٍ عَشْرَا
مَعْرُوفَةً أَعْلَامُهَا وَصَاحْرَا
عَفْوًا وَلَمْ تُشْمِتْ عِيُونًا خُزْرَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَجَلُ شُكْرَا
ثُمَّ كَفَّانِي فِي الْأُمُورِ أَمْرَا
فَلَسْتُ وَالْبَيْتُ الْمَغْطَى سِتْرَا
مِنْكَ لِأَنْعَمَ بِكَ إِلَهِي كُفْرَا

* * *

إس
وه
نفسه
عاه
أول
لى
آمنة

أن
يكو

رس
حه

فسه
واه

هش

طه

٨)

* قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال : حدثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة ابنة وهب بن عبد مناف ، فمر بامراته تلك ، وقد أصابه أثر طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين ، فدخل فغسل عنه أثر الطين ، ثم دخل عامداً إلى آمنة ، ثم دعت صاحبتها التي كان أراد إلى نفسها ، فأبى للذي صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ، ثم خرج فدعاها إلى نفسه ، فقالت : لا حاجة لي بك ، مررت بي وبين عينيك غرة ، فرجوت أن أصيبها منك ، فلما دخلت على آمنة ، ذهبت بها منك .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثت أن امرأته تلك كانت تقول : مرّ بي وإن بين عيني لنوراً مثل الغرة ، فدعوته رجاء أن يكون لي ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملت ، برسول الله ﷺ .

* رؤيا آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أتيت حين حملت محمداً ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع الأرض (١) فقولی :

أَعِيْذُهُ بِالْوَاْحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ
فِي كُلِّ بَرٍّ عَابِدٍ وَكُلِّ عَبْدٍ رَائِدٍ
نَزُولُ غَيْرِ زَائِدٍ فَإِنَّهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْمَاجِدِ
حَتَّى أَرَاهُ قَدْ أَتَى الْمَشَاهِدِ

فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمداً (٢) ، فإن اسمه في التوراة أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في الفرقان محمد فسميه بذلك .

(١) في سيرة ابن هشام « وقع إلى الأرض » وهكذا يستقيم المعنى . انظر سيرة ابن هشام ط . دار الجليل ١ / ٢٩٣ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة وذلك أن آبائهم طمعوا حين سمعوا بذكر محمد ﷺ - وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون ولدًا =

* وفاة عبد الله :

فلما وضعته ، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه عبد الله وهي حبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً ، فالله أعلم أى ذلك كان (١) - فقالت : قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه ، فلما جاءها أخبرته خبره ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه ، فأخذه عبد المطلب فأدخله فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو الله ، ويشكر الله الذى أعطاه إياه ، فقال :

السَّعْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي	هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانَ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَمَانِ	أُعِيذُهُ بِاللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بِلُغَةِ الْفَتَيَانِ	حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبَنَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَتَانِ	مِنْ حَاسِدٍ مُضْرِبِ الْعَنَانِ
ذِي هَمَةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ	حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ اللِّسَانِ
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْفُرْقَانِ	فِي كُتُبٍ ثَابِتَةِ الْمَثَانِ

أحمد مكتوباً على اللسان

= لهم . وقد ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفردق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . والآخر . محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك ، وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مفعول مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦ .

(١) أكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمرا ، وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهراً انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

وقال عبد المطلب حين فرغ من شأن عبد الله ، وفرج عنه ما كان فيه من البلاء
والهم بذبحه (١) :

دَعَوْتُ رَبِّي دَعْوَةَ الْمُنَاصِحِ دَعْوَةَ مُبْتَاعِ رِضَاهُ رَابِحِ
فَاللَّهُ عِنْدَ قِسْمِهِ الْمَنَاحِ أَعْطَى عَلَى الشُّحِّ مِنَ الْمَشَاحِ
زَمَزَمَ لَا يَمْتَا حُهَا الْمَمَاحِ إِلَّا الدَّلَاءَ الزَّبْدَ السَّوَاحِ
كَمْ مِنْ حَجِيجٍ مُغْتَدٍ وَرَائِحِ جَادَ بِهَا مِنْ بَعْدِ لَوْحِ اللَّائِحِ
سُقِيًّا عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ الْمَاشِحِ بَعْدَ كُنُوزِ الْحُلِيِّ وَالصَّفَاحِ
حُلِيٌّ لِبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْمَسَاحِ بَيْتٌ عَلَيْهِ النُّورُ كَالْمَصَابِحِ
بُنْيَانُ إِبْرَاهِيمَ ذِي الْمَسَابِحِ بَنَاهُ بِالرَّفْقِ وَحِلْمٍ رَاجِحِ
بَيْنَ الْجِبَالِ الصُّمِّ وَالصَّرَاحِ فَهُوَ مَثَابُ لِيَذُوِي الطَّلَاحِ
يَتَنَابَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ نَارِحِ مُشْتَبِهٍ الْأَعْلَامِ وَالصَّحَاحِ
وقال عبد المطلب :

الْحَمْدُ لِلْخَالِقِ لَا الْعِبَادِ لَمَّا رَأَى جَدِّي وَاجْتَهَادِي
وَإِنِّي مُوفِيهِ بِالْمِعَادِ وَالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ ذُو مَعَادِ
فَرَجَّ عَنِّي كُرْبَةَ الْفُؤَادِ وَنَالَ مِنِّي فِدْيَةَ الْمَفَادِ
فَادَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ تِلَادِي إِنَّ الْبَنِينَ فَلَذُ الْأَكْبَادِ
ثَمَارَ كَالْقَرْعِ لِلْفُؤَادِ أَدَمٌ وَحَمْرٌ كُلُّهَا تِلَادِ
قُلْتُ لِلْحَبَّاسِ لَهَا ذَوَادِ هَلْ مِنْكُمْ مَنْ صِيَتْ يُنَادِي
الْإِبِلَ نَهَبٌ بَيْنَ أَهْلِ الْوَادِي فَتَرَكُوهَا وَهِيَ فِي عَصَوَادِ
يَرْكَبُهَا بِالْأَلَةِ الْحِدَادِ كَأَنَّهَا رَهْوٌ مِّنَ الْمَزَادِ
يَرْدِي بِهَا ذُو أَحْبَلِ صِيَادِ وَرَاحَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْأَبْرَادِ

(١) من هنا وحتى نهاية الصفحة التالية كان حقه أن يكون في آخر فصل «نذر عبد المطلب» لأن مكانه وموضوعه هناك وليس هنا ، ولكن للأمانة العلمية تركناه هنا كما جاء في الأصل الذي نحققه وهذا حسب ترتيب صفحات المخطوطة .

يَغِيظُ أَعْدَائِي مِنَ الْحُسَادِ نَجَّيْتَهُ مِنْ كَرْبٍ شَدَادِ
وقال عبد المطلب أيضاً :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا أَعْطَى عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ زَمَزَمَا
تُرَاثُ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ مُهْدَمًا وَالْحَاسِدُونَ يَخْرُقُونَ الْأَدَمَا
وَلَمْ يَكُنْ حَافِرُهَا لِيَنْدَمَا أَصَابَ فِيهَا حَلِيَّةٌ فَتُسَلَمَا
لِلَّهِ مَا أَجْرَى عَلَيْهِ الْأَسْهُمَا وَاللَّهُ أَوْفَى نَذْرَهُ إِذْ أَقْسَمَا
أَعْطَى بَيْنَ عَصْبَةٍ وَخَدَمَا فَلَسْتُ وَاللَّهِ أُرِيدُ مَائِمَا
فِي النَّذْرِ أَهْرِيْقُ لِلَّهِ دَمًا مِنْهُمْ وَقَدْ أَوْفَيْتُهُمْ فَتَمَمَا
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ وَحِيدًا أَيَّمَا يَرَانِي الْأَعْدَاءُ قَرْنًا أَعْصَمَا
أَعْضَبَ أَوْ ذَا ارْتِيَابٍ أَعْصَمَا

وقال عبد المطلب :
دَعَوْتُ رَبِّي دَعْوَةَ الْمَغْلُوبِ وَنَعَمَ مُدْعَى السَّائِلِ الْمَكْرُوبِ
فَالْحَمْدُ لِلْمُسْتَمِعِ الْعَجِيبِ أَعْطَى عَلَى رَغَمِ ذَوِي الذُّنُوبِ
إِلَى وَالشَّحْنَاءِ وَالْعُيُوبِ زَمَزَمَ ذَاتَ الْمَوْضِعِ الْعَجِيبِ
بَيْنَ سَوَادِ الصَّنَمِ الْمَنْصُوبِ وَبَيْنَ بَيْتِ اللَّهِ ذِي الْحُجُوبِ
وَتَحْتَ فَرْثِ النَّعَمِ الْمَغْضُوبِ

* * *

مولد رسول الله ﷺ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، نا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ^(١) ، كنا لدين ^(٢) .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ ^(٣) ابن عشرين سنة ^(٤) .

(١) ذكر أن مولده ﷺ كان في ربيع الأول وهو المعروف ، وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم ، وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (إبريل) فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب ذنابها ، ولا ضرر في الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه ووُلد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت لمحمد ابن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها ريذة مسجداً حين حجت ، وقيل في تفسير بقى بن مخلد إن إبليس - لعنه الله ، رن أربع رنات : رنة حين لُعن ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب : قال : والرنين والنخار هو صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التي تخرج من حلق النائم الشخير انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

(٢) جاء هذا الحديث بهذا السند في سيرة ابن هشام وهو منسوب لابن إسحاق أيضاً ولكن بدلاً من « كنا لدين » عبارة « فنحن لدتان » . انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ١ / ١٦٥ . (٣) أى وقت حروب الفجار .

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، لاثنين عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل . (انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦) . وروى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه أم عثمان الثقفية ، واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت : حضرت ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع ، قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على ، ووُلد رسول الله ﷺ معذوراً مسروراً ، أى مختوناً مقطوع السرة ، يقال : عذر الصبي وأعذر إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ، لما وضعته ﷺ - وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه مشيراً بالسبابة كالمسبح بها ، انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط دار الجيل ١ / ٢٩٥ .

قال ابن إسحاق : فدفع رسول الله ﷺ إلى أمه ، والتمس له الرضعاء ، واسترضع له حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، واسم أبي رسول الله الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن فلان بن ناصرة بن قُصية بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن .

* إخوته من الرضاعة :

وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وحذافة ابنة الحارث ، وهى الشيماء ^(١) ، غلب عليها ذلك ، ولا تعرف فى قومها إلا به ، وهى حليلة أم رسول الله ، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم .

* حليلة ترضع النبي ﷺ :

حدثنا أحمد ، نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى جهم بن أبى جهم - مولى لامرأة من بنى تيم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، فكان يقال مولى الحارث ابن حاطب - قال : حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يقول : حدثت عن حليلة ابنة الحارث - أم رسول الله ﷺ ، التى أرضعته أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، نلتمس بها الرضعاء ^(٢) ، وفى سنة شهباء ^(٣) ، فقدمت على أتان ^(٤) لى قمراء كانت أذمت بالركب ، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا ^(٥) ، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد فى ثدى ما يغنيه ، ولا فى شارفنا ما يغذيه ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد

(١) ورد أن اسمها أيضاً خدامة .

(٢) هذا غير صحيح لغويًا وقال ابن هشام المراضع ، لأنها جمع مرضع ، وهذا حق لأن الرضعاء جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعًا يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعًا ، علمًا بأن الرضيع لابد له من مرضع .

(٣) أى مجذبة شديدة القحط . (٤) أى أنثى الحمار . (٥) أى ناقة كبيرة فى السن .

— ابن إسحاق — ١١٩ —

عرض عليها - رسول الله ﷺ - فإذا قيل « إنه يتيم » تركناه ، وقلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ، إنما نرجو المعروف من أبي الوليد ، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى ، فلما لم أجد غيره ، قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاخذه ، قال : لا عليك ، فذهبت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره .

* الخير الذى أصاب حليلة بسببه ﷺ :

فما هو إلا أن أخذته ، فجئت به رحلى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى رويانا ، فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى : يا حليلة ، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم ترى إالى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه ؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً ، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحبى ليقلن : ويلك ، يا بنت أبى ذؤيب ، أهذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهى ، فيقلن : والله إن لها لشأناً ، حتى قدمنا أرض بنى سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجذب منها ، فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعاً ، لبناً ، فنحلب ما شئنا ، وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث تسرح ، فيريحون أغنامهم جياعاً وما فيها قطرة لبن ، وتروح غنمى شباعاً ، لبناً ، نحلب ما شئنا ، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه ، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً ^(١) ، فقدمنا به على أمه ، ونحن أضنُّ شىء به مما رأينا فيه من البركة ، فلما رآته أمه ، قلنا لها : دعينا نرجع بيننا هذه السنة ، فإننا نخشى عليه أوباء مكة ، فوالله ما رلنا بها حتى قالت : فنعم ، فسرحته معنا .

(١) جفرا : أى قوى الجسم شديداً

* حادثة شق الصدر :

فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينما نحن خلف بيوتنا ، وهو مع أخ له من الرضاعة في بُهم^(١) لنا ، جاءنا أخوه يشتد ، فقال : ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعا فشقا بطنه^(٢) ، فخرجت أنا وأبوه^(٣) نشدت نحوه ، فنجدته قائماً ، منتقماً لونه^(٤) ، فاعتنقه أبوه ، وقال : أى بنى ، ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعا فشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ، ثم رداه كما كان ، فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب ، انطلقى بنا ، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف .

* حليلة ترد محمداً ﷺ إلى أمه :

قالت : فاحتملناه ، فلم ترع أمه إلا به قد قدمنا به عليها ، فقالت : ما ردكما به ، قد كنتما عليه حريصين ؟! قلنا : لا والله يا ظئر^(٥) ، إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى علينا ، وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نرده إلى أهله ، فقالت : ما ذلك بكما ، فاصدقانى شأنكما ، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا شأن ، ألا أخبركما بخبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به ، فما حملت حملاً قط أخف منه ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود ، معتمداً على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعياه^(٦) عنكما .

(١) اليهم : صغار الغنم .

(٢) فى رواية أخرى عن ابن إسحاق أيضاً أنه نزل عليه كركيان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً أو برداً أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا كثيراً انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١ / ١٨٨ .

(٣) أى أبوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليلة السعدية .

(٤) أى تغير لونه انظر ترتيب القاموس ٤ / ٤٣٠ .

(٥) الظئر : تطلق على الذكر والأنثى ، ومعناها فى الأصل : التى تعطف على ولد

غيرها وترضعه . انظر ترتيب القاموس ٣ / ١١٩ .

(٦) خطاب للمثنى أى اتركاه ، وهو خطاب لحليمة وزوجها ، والمخاطبة هى السيدة آمنة

أم رسول الله ﷺ .

عن
أخيه
حمه
فى
بياض
استه
بذا
بعده
فوز

أبى
فى
منق

رأية
الثا
بأه
الف
بعض
الط
بشم
فول
وع
لتف
وبا

قر
رس
انظ

* الرسول ﷺ يسأل عن نفسه ويجيب :

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، فقال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا مع أخ في بهم لنا ، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأضجعاني ، فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقا ، فأخرجا منه علقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلوا قلبي وبطني بذاك الثلج ، حتى إذا أنقياه ^(١) ، رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنتني ^(٢) بعشرة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتني بألف ، فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنهم .

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بكير عن أبي سنان الشيباني ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن يحيى بن جعدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن ملكين جاءاني في صورة كركيين ، معهما ثلج وماء بارد ، فشرح أحدهما صدري ، ومج الآخر منقاره ، فغسله ^(٣) .

* * *

(١) وهذا الخبر يروى عنه ﷺ على وجهين ، أحدهما : أنه شق عن قلبه وهو مع رابته ومريضته في بني سعد ، وأنه جرى بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه ، والوجه الثاني : أنه غسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعدما بعث بأعوام . وفيه أنه أتى بطست من ذهب ممتلئة حكمة وإيماناً فأفرغ في قلبه . وذكر بعض من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواية وتغليب بعضها ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين ، الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون في قلبه شيء ، إلا التوحيد ، ولذلك قال : فوليا عنى الملكين - وكأني أعاين الأمر معاينة . والثانية : في حال الاكتهال وبعدهما نبىء وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس . وعرج به هناك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، ففقد ظاهراً وباطناً وغسل بماء زمزم انظر الروض الأثف بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١ / ١٩٠ .

(٢) الوزن هنا معنوى ويفيد علو القدر والمنزلة العالية .

(٣) قال ابن إسحاق وكان رسول الله ﷺ ، يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، وذكر ابن هشام أيضاً أن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ يقول وما من نبي إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط دار الجيل ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

حديث تبّع^(١) الحميري^(٢)

* سبب قتاله أهل المدينة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : ثم إن تبعا أقبل من مسيره الذي كان سار يجول الأرض فيه ، حتى نزل على المدينة ، فنزل بوادي قباء ، فحفر فيها بئرا ، فهي اليوم تدعى بئر الملك ، وبالمدينة إذ ذاك يهود ، والأوس والخزرج ، فنصبوا له فقاتلوه ، فجعلوا يقاتلونه بالنهار ، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه ، فلما فعلوا ذلك به ليالى استحيا^(٣) ، فأرسل إليهم يريد صلحهم ، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له : أحيحة بن الجلاح بن حريش بن جحجبا بن كلدة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخرج إليه من يهود بنيامين القرظي ، فقال له أحيحة : أيها الملك نحن قومك ، وقال بنيامين : أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك ، فقال : ولم ؟ قال : لأنها منزل نبي من الأنبياء ، يبعثه الله عز وجل من قريش ، وجاء تبعا مخبر خبره عن اليمن أنه بعث الله عليها نارا تحرق كل ما مرت به ، فخرج سريعا ، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامين وغيره ، وهو يقول :

إِنِّي نَذَرْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي خَلْفٍ أَلَّا أَجُوزَ وَبِالْحِجَازِ مَخْلَدٌ

(١) تبّع في لغة اليمن : أى الملك المتبوع ، وتبع هذا هو حسان بن تبان أسعد ، وتبان أسعد : اسم مركب وتبان من التبانة أى الذكاء والفطنة ، يقال رجل تبّن أى فطن ، وتبّع هذا هو تبع الآخر ، وكنيته أبو كرب .

(٢) كان حق هذا الباب أن يأتى فى أول الكتاب نظرا للترتيب الزمني للأحداث وكما هو فى سيرة ابن هشام ؛ لأنه سابق لميلاد النبي ﷺ فوجب أن يأتى قبله ليكون الكلام مسلسلا ومرتبيا ولكن جاء ترتيبه مؤخرًا هكذا فى أصل المخطوطة فأثرنا أن نلتزم بالأصل للأمانة العلمية وإن كان ذكر قبل وإنما هنا فائدة زائدة .

(٣) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تبّع حين نزل بهم فقتله وذلك أنه وجده فى عذق له أى نخله يجده (يقطعه) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره (أى أصلحه) فزاد ذلك تبعا حنقا (غضبا وحقدا) عليهم ، فاقتتلوا فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجليل ١ / ١٣٣ .

بالد
مناز
وتع
البي
فأر
أحد
نفر
وزي
لهم
ذلك
فيه
فحا

المنا
أحد
الو
ويط
تبعا
الخ
موه

حَتَّى أَتَانِي مِنْ قُرَيْظَةَ عَالَمٍ حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مَسُودٌ
أَلْقَى إِلَى صِيْحَةٍ كَى أَرْدَجَرِ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْجُورَةٍ بِمَحْمَدٍ

* كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه:

حدثنا أحمد : نا يُونُسُ عن ابن إسحاق قال : ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان ، من مكة على ليلتين أتاه ناس من هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ ، وتلك منازلهم ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت مملوء ذهباً وياقوتاً وزبرجداً تصيبه وتعطينا منه ؟ فقال : بلى ، فقالوا : هو بيت بمكة ، فراح تبع وهو مجمع لهدم البيت ، فبعث الله عز وجل عليه ريحاً ففقت يديه ورجليه ، وشجت جسده ، فأرسل إلى من كان معه من يهود ، فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى ؟ فقالوا : أحدثت شيئاً ؟ فقال : وما أحدثت ؟ فقالوا أحدثت نفسك بشيء ؟ قال : نعم جاءنى نفر من أهل هذا المنزل الذى رحنا منه ، فدلونى على بيت مملوء ذهباً وياقوتاً وزبرجداً ، ودعونى إلى تخريبه وإصابة ما فيه ، على أن أعطيهم منه شيئاً ، فرأيت لهم بذلك ، فرحت ، وأنا مُجمع لهدمه ، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود : ذلك بيت الله الحرام ، ومن أراد هلك ، فقال : ويحكم فما المخرج مما دخلت فيه ؟ قالوا : تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدى له ، فحدث نفسه بذلك ، فأطلقه الله عز وجل وقال فى شعره :

بِالْدَفِّ مِنْ جَمْدَانَ فَوْزٌ مُصْعَدٌ حَقُّ أَتَانِي مِنْ هُذَيْلٍ أَعْبَدُ
ذَكَرُوا إِلَى الْبَيْتِ ، قَالُوا كُنْزُهُ دُرٌّ وَيَاقُوتٌ وَفِيهِ زَبْرَجَدُ
فَأَرَدْتُ أَمْرًا حَالُ رَبِّي دُونَهُ وَالرَّبُّ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ

ثم سار حتى دخل مكة ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، فأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ^(١) ، وكان أول من كساه ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الوصائل ، وصائل اليمن ، وأقام بمكة ستة أيام - فيما ذكر لى - ينحر بها للناس ، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم العسل ، قال : فكان تبع فيما ذكر لى أول من

(١) هى حصر تصنع من سعف النخيل والليف ، والخصف جمع خصفة ، ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملا والوصال قبلها ، والملا جمع ملاءة وهى الملحفة ، والوصال ثياب موصولة من ثياب اليمن . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢١ .

كساه وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، ^(١) ولا يقربوه ميتة ، ولا دمًا ولا مثلانا ^(٢) - وهو المحائض - وجعل له بابًا ومفتاحًا ، وقال تبع في الشعر :

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ تَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُودًا
وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مَلَاءَ مَعْضًا دَا وَبُرُودًا
وَأَقَمْنَا بِهَا مِنَ الشَّهْرِ سِتًّا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا
وَأَمَرْنَا بِهِ الْجُرْهُمِيِّينَ خَيْرًا وَكَانُوا لِحَافَتَيْهِ شُهُودًا
وَأَمَرْنَا إِلَّا يَقْرَبَنَّ مِثْلَانَا وَلَا مِيتًا وَلَا دَمًا مَقْصُودًا
ثُمَّ سِرْنَا نَوْمٌ قَصْدَ سَهْلٍ قَدْ رَفَعْنَا لَوَاءَنَا مَعْقُودًا

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما أراد الشخصوص إلى اليمن ، أراد أن يخرج حجر الركن ، فيخرج به معه ، فاجتمعت قريش إلى خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى ، فقالوا : ما دخل علينا يا خويلد إن ذهب هذا بحجرنا ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه ، فقال خويلد : الموت أحسن من ذلك ، ثم أخذ السيف ، وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعًا ، فقالوا : ماذا تريد يا تبع إلى الركن ؟ فقال : أردت أن أخرج به إلى قومي ، فقالت قريش : الموت أقرب من ذاك ، ثم خرجوا حتى أتوا الركن ، فقاموا عنده ، فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك ، فقال خويلد في ذلك شعراً :

دَعِينِي أَمْ عَمْرٍو لَا تَلُومِي وَمَهْلًا عَاذِلِي لَا تُعْذِلِينِي

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وتبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة ، وساق الخبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر .

(٢) مثلانا : أى خرقة المحيض وتسمى أيضاً مثلاة وجمعها مآلى ، ولم يقصد النساء الحيض لأن حائضاً لا تجمع على محائض ومفرد حيض : محيضة .

دَعَيْنِي لَا أَخَذْتُ الْخُسْفَ مِنْهُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ حَتَّى يَقْتُلُونِي
فَمَا عُذْرِي وَهَذَا السَّيْفُ عِنْدِي وَعَظْبُ نَالٍ قَائِمُهُ يَمِينِي
وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهَا مَحِيدًا وَإِنِّي رَاهِقٌ مَا أُرْهِقُونِي

* أصل اليهودية باليمن :

حدثنا أحمد قال : حدثنا يونس عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده ، حتى إذا قدمها ، وكان لأهل اليمن مدينتان يقال لإحدهما مأرب ، والأخرى ظفار ، وكان منزل الملك في مأرب مبنياً بصفائح الذهب ، وكان منزله في ظفار مبنياً بالرخام ، وكان إذا شتى ، شتى في مأرب ، وإذا صاف ، صاف في ظفار ، وكانت مأرب بها ينشأ أبناء الملوك ويتعلمون الكلام ، وكان ابن الحميرى إذا بلغ قال : أرسلوا به إلى مأرب يتعلم المنطق ، وكان في ظفار اصطوان من البلد الحرام مكتوب في أعلاها بكتاب من الكتاب الأول : لمن الملك ، ظفار ، لحمير الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لفارس الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لقريش التجار ، فلما قدمها تبع ، نشرت يهود التوراة ، وجعلوا يدعون الله عز وجل على النار حتى أطفأها الله عز وجل .

* هدم البيت المسمى رثام :

وكان لأهل اليمن شيطان يعبدونه ، قد بنوا له بيتاً من ذهب ، وجعلوا بين يديه حياضاً ، فكانوا يذبحون له فيها ، فيخرج ، فيصيب من ذلك الدم ، ويكلمهم ، ويسألونه ، فكانوا يعبدونه ^(١) ، فلما أطفأت يهود النار قالوا لتبع : إن ديننا هذا الذى نحن عليه خير من دينك ، فلو أنك تابعتنا على ديننا ، فقد رأيت أن إلهك هذا لم يغن عنك شيئاً ، ولا عن قومك عند الذى نزل بكم ، فقال تبع : فكيف نصنع به ونحن نرى منه ما ترون من الأعاجيب ؟ قالوا : أفرأيت إن أخرجناه عنك تتبعنا على ديننا ؟ قال : نعم ، فجاءوا إلى باب ذلك البيت ، فجلسوا عليه بتوراتهم ثم جعلوا يذكرون أسماء الله عز وجل ، فلما سمع ذلك الشيطان ، لم يثبت

(١) فلما جاء الخبران مع تبع نشرا التوراة عنده ، وجعلوا يقرآنها ، فصار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر .

— ١٢٦ — ابن إسحاق —

وخرج جهاراً حتى وقع في البحر ، وهم ينظرون ، وأمر تبع بيته الذي كان فيه ، فهدم ، وتهود بعض ملوك حمير ، ويزعم بعض الناس أن تبعاً قد كان تهوداً (١) .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن زكريا بن يحيى المدنى قال : حدثنا عكرمة قال : سمعت ابن عباس يقول : لا يشبهن عليكم أمر تبع ، فإنه كان مسلماً .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وكان رثام بيتاً لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ويكلمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الخبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، فاستخرجنا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود فذبحاه ثم هدمنا ذلك البيت ، فبقاياها اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التي كانت تهراق . السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجليل - بيروت ١ / ١٤١ .

مَقْتَلُ تَبَعٍ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق قال : لما فعل تبع ما فعل ، غضبت ملوك حمير ، وقالوا : ما كان يرضى أن يطيل غزونا ، ويبعدنا في المسير من أهلينا حتى طعن أيضاً في ديننا وعاب آبائنا ، فاجتمعوا على أن يقتلوه ، ويستخلفوا أخاه ^(١) من بعده ، فاجتمع رأى الملوك على ذلك كلهم إلا ذا غمدان ^(٢) فإنه أبى أن يمالئهم على ذلك ، فثاروا به ، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم : أتراكم قاتلي ؟ قالوا : نعم ، قال : أما أنا فإذا قتلتموني فادفنونى قائماً ، فإنه لن يزال لكم ملك قائم ما دمت قائماً ، فلما قتلوه ، قالوا : والله لا يملكنا حياً وميتاً ، فنكسوه على رأسه ، فقال في ذلك ذو غمدان ، في الذي كان من أمره :

* ذُو رُعَيْنِ يَرَى تَبَعًا :

إِنْ تَكُ حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ
فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَذَى رُعَيْنِ
أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنَوْمَ
سَعِيدٍ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

* عمرو يرثي أخاه تبعا :

وقال في ذلك عبد كلال ^(٣) بعد قتل أخيه واستخلافهم إياه حين قتل وجوه حمير :

شَفِيتُ النَّفْسَ مِمَّنْ كَانَ أَمْسَى
فَلَمَّا أَنْ فَعَلْتُ أَصَابَ قَلْبِي
أَشَارُوا لِي بِقَتْلِ أَخٍ كَرِيمٍ
فَعُدْتُ كَانَ قَلْبِي فِي جَنَاحٍ
وَعَادَ الْقَلْبُ كَالْمَجْنُونِ يَنْمِي
قَرِيرَ الْعَيْنِ قَدْ قَتَلُوا كَرِيمِي
بِمَا قَدْ جِئْتُ مِنْ قَتْلِ رَغِيمٍ
وَلَيْسَ لَذَى الصَّرَائِبِ بِاللَّئِيمِ
بِعَيْشٍ لَيْسَ يَرْجِعُ فِي نَعِيمٍ
إِلَى الْغَايَاتِ لَيْسَ بِذِي حَمِيمٍ

(١) ذكر أن أخاه هذا اسمه عمرو .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه ذو رعين وليس ذو غمدان ، ذو رعين تصغير رعن ، والرعن : أنف الجبل ، ورعين جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين . انظر السيرة لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣ .

(٣) أخى تبع الذى ولّوه عليهم بعد مقتل تبع ، وسبق الإشارة إلى أن اسمه عمرو .

فَلَمَّا أَنْ قَتَلْتُ بِهِ كِرَامًا
رَجَعْتُ إِلَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
جَزَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ ذَا رُعَيْنٍ
فَإِنِّي سَوْفَ أَحْفَظُهُ وَرَبِّي
وقال عبد كلال أيضًا يرثي أخاه:

وَصَارُوا كُلَّهُمْ كَالْمُسْتَكِيمِ
كَانَ الْقَلْبَ لَيْسَ بِذِي كِلُومِ
جَزَاءَ الْخُلْدِ مِنْ دَاعِ كَرِيمِ
وَأَعْطِيهِ الطَّرِيفَ مَعَ الْقَدِيمِ

أَطَعْتُ الْقَوْمَ إِذْ غَشُّوا جَمِيعًا
وَكُو طَاوَعْتُ فِي رَأْيِ رُعَيْنَا
فَلَمْ أَرْفَعْ بِقَوْلِهِ لِي كَلَامًا
فَلَمَّا أَنْ قَبِلْتُ الْقَوْلَ مِنْهُ
فَمَنْ أَمْسَى يُطَاوَعُنِي فَإِنِّي
فَلَمَّا أَنْ لَقَيْتُهُمْ أَقَامْتُ *

وَقَدْ أَتَهَمْتُ فِي غِشِّ النَّصِيحِ
لَقُلْتُ لَهُ وَقَوْلِي ذُو نَدُوحِ
وَعُدْتُ كَأَنِّي عَبْدُ أَسِيحِ
عَلَى الْأَرْوَاحِ مِنْ حَقِّ الْفُضُوحِ
سَأَجْهَدُ فِي الْمَقَالِ بِهِ أَبُوحِ
لِذَاكَ النَّفْسُ فِي هَمٍّ مَرِيحِ *

* هلاك عمرو وتفرق تبع :

ثم استخلفوا أخا له ، يقال له عبد كلال ، فزعموا أنه كان لا يأتيه النوم بالليل ، فأرسل إلى من كان ثم من يهود ، فقال : ويحكم ، ما ترون شأنى ؟ فقالوا : إنك غير نائم حتى تقتل جميع من مالاك على قتل أخيك ، فتبعهم ، فقتل رؤوس حمير ووجوههم ^(١) .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن مُنِعَ منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة (المنجمين) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغياً على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره يقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، وهلك عمرو ، فمرج (أى اختلط) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا . انظر السيرة النبوية لابن هشام دار الجليل تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١ / ١٤٣ وإذا كان هناك تكرار فنحن نذكر أكثر من رواية لفائدة رائدة .

* ابتداء ملك الحبشة :

ثم خرج ابن لتبع يقال له دوس^(١) ، حتى أتى قيصر ، فهو مثل في اليمن يضرب بعد : « لا كدوس ولا كمعلق رَحْلَه » فلما انتهى إلى قيصر ، دخل عليه ، فقال له : إني ابن ملك العرب ، وإن قومي عدوا على أخي^(٢) فقتلوه ، فجئت لتبعث معي من يملك لك بلادى ، وذلك لأن ملكهم الذى ملكهم بعد أبي قد قتل أشرفهم ورؤوسهم ، فدعا قيصر بطارقه فقال : ما ترون فى شأن هذا ؟ قالوا : لا نرى أن تبعث معه أحداً إلى بلاد العرب ، وذلك لأننا لا نأتمن هذا عليهم ليكون إنما جاء ليهلكهم ، فقال قيصر فكيف أصنع به وقد جاءنى مستغيثاً ؟ قالوا : اكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة ، وملك الحبشة يدين لملك الروم .

* النجاشى ينصر دوساً :

فكتب له إليه ، وأمره أن يبعث معه رجالاً إلى بلاده ، فخرج دوس بكتاب قيصر حتى أتى به النجاشى ، فلما قرأه نخر وسجد له ، وبعث معه ستين ألفاً واستعمل عليهم روزبة^(٣) ، فخرج فى البحر ، حتى أرسى إلى ساحل اليمن .

* * *

فخرج عليهم هو وقومه ، فخرجت عليهم حمير^(٤) - وحمير يومئذ فرسان أهل اليمن - فقاتل أهل اليمن قتالا شديداً على الخيل ، فجعلوا يكرسونهم كراديس ، ثم يحملون عليهم ، فكلما مضى منهم كردوس تبعه آخر ، فلما رأى ذلك روزبة قال لدوس : ما جئت بى ههنا إلا لتجزرنى قومك ، فأبدأن بك فلاقتلنك قبل

(١) ليس ابن تبع ، والدليل ما ذكره ابن هشام أن ابن إسحاق قال عنه إنه رجل من سبأ يقال له . دوس ذو ثعلبان ، انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١ / ٣٦ .

(٢) هنا لبس بين ؛ لأن دوس لو كان ابن تبع حقا لقال هنا « عمى » أو « أبى » بدلاً من « أخى » .

(٣) ذكر ابن هشام أن اسمه أرياط . السيرة النبوية لابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٣١ .

(٤) ذكر أن ذا نواس هو الذى تزعم حمير يومئذ ضد أرياط وأبرهة وجنودهما . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦ .

أن أقتل ، قال : لا تفعل أيها الملك ، ولكن أشر عليك فتقبل مني ، قال : نعم فأشر على ، قال له دوس : أيها الملك ، إن حمير قوم لا يقاتلون إلا على الخيل ، فلو أنك أمرت أصحابك ، فألقوا بين أيديهم ترسهم ودرقهم ، ففعلوا ذلك ، فجعلت حمير تحمل عليهم فتزلق الخيل على الترس والدرق ، فتطرح فرسانها ، فيقتل الآخرون ، فلم يزالوا كذلك حتى دقوا ، وكثرهم الآخرون وإنهم ساروا حتى دخلوا صنعاء ، فملكوها وملكوا اليمن^(١) ، وكان في أصحاب روزبة رجل يقال له أبرهة بن الأشرم^(٢) ، وهو أبو يكسوم ، فلما ملكوا اليمن ، قال أبرهة لروزبة : أنا أولى بهذا الأمر منك ، فقال الآخر : وكيف ، والملك بعثني ؟ قال : وإن كان الملك بعثك ، فأنا أولى بهذا الأمر منك ، ففاته الآخر ، واتبع أبرهة ناس من قومه ، فخرجوا للقتال ، فلما توافقوا ليقتتلوا ، قال أبرهة لروزبة : ما لك ولأن نفى الحبشة ، فيذهب ملكنا من هذه البلاد ، اخرج ، فأينا قتل صاحبه كان الملك ، فقال الآخر : نعم ، وكان روزبة رجلاً جسيماً ، وكان أبرهة رجلاً حادراً قصيراً ، فقال أبرهة لغلام^(٣) له : إذا خرجت إليه لأبارزه ، فائته من خلفه فاقتله ، فإن أصحابه لن يزيدوا على أن يفروا ، ولك عندي ما سألتني من ملكي ، فلما خرجا سل روزبة على أبرهة سيفه ، فضربه ضربة وسط رأسه بالسيف ، وضربه غلام أبرهة من خلفه فقطعه باثنتين ، فاحتمله أصحابه ، واحتمل هذا أصحابه ، ثم إنهم اصططحوا على أبرهة ، ولم يكن فيهم بعد صاحبهم مثله ، وبلغ ذلك النجاشي ، فكتب إليه يتهدده ، فحلق أبرهة رأسه ، وأخذ تراباً من تراب أرضه ، فبعث به إليه وقال : أيها الملك ، هذا رأسي وتراب أرضي ، فهو تحت قدميك ، وإنما كنت أنا وروزبة عبدك ، فرأيت أني أقوى على أمر الملك منه ، فلذلك فعلت ما فعلت ، فكتب إليه النجاشي بالرضى ، وأقره على ملكه .

ثم إن أبرهة بن الأشرم ، وهو أبو يكسوم ، بنى كعبة باليمن^(٤)

(١) ذكر ابن إسحاق أن أرباط أقام بأرض اليمن سنين في سلطانه انظر السابق ٣٧/١ .

(٢) سُمي بذلك لشرم أنفه وشفته أي شقهما .

(٣) قيل اسم هذا الغلام : عتودة أي شديد في الحرب .

(٤) هي كنيسة القليس التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، ويقال تقلنس الرجل إذا لبس القلنسة ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعاً من السخرة =

— ابن إسحاق —
 وجعل عليها قباباً من ذهب ، وأمر أهل مملكته بالحج إليها ، يضاهى بذلك البيت
 الحرام .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

= وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس -
 صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان قريبا من موضع الكنيسة ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ،
 وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن ونصب فيها صليباً من الذهب والفضة
 ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في
 عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه وهي
 امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت اضرب
 بمعولك اليوم فاليوم لك ، وغداً لغيرك . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد
 ٦٣ / ١ .

حادث الفيل (١)

* إحداث الكناني في الكنيسة وانتقام أبرهة

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وإن رجلاً من بني ملكان بن كنانة ، وهو من الخمس (٢) ، خرج حتى قدم أرض اليمن ، فدخلها (٣) ، فنظر إليها ، ثم قعد فخرى فيها (٤) ؛ فدخلها أبرهة ، فوجد تلك العذرة فيها ، فقال : من اجتراً على بهذا ؟ فقال له أصحابه : هذا رجل من أهل ذلك البيت الذي يحجه العرب ، قال : فعلى اجتراً بهذا ، ونصرانيتي لأهدمن ذلك البيت ولأخربنه حتى لا يحجه حاج أبداً ، فدعا بالفيل ، وأذن في قومه بالخروج ، ومن اتبعه من أهل اليمن ، وكان أكثر من تبعه من عك والأشعريون ، وخنثعم ، فخرجوا وهم يرتجزون :

إِنَّ الْبَلَدَ لَبَلَدٌ مَا كُؤْلُ يَأْكُلُهُ عَكٌّ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَالْفِيلُ

* * *

* ما حدث بين نفيل وأبرهة :

فخرج يسير ، حتى إذا كان ببعض طرقه ، بعث رجلاً من بني سليم ، ليدعو الناس إلى حج بيته الذي بناه ، فتلقيه أيضاً رجل من الخمس ، من بني كنانة ، فقتله ، فازداد بذلك - لما بلغه - حنقاً وحرذاً ، وأحث السير والانطلاق ، حتى إذا أشرف على وادي وجٍّ من الطائف ، خرجت إليه ثقيف فقالوا : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، وليست ربتنا هذه بالتي تريد - يعنون إلالات صنمهم - وليست بالتي تحج إليها العرب ، وإنما ذلك بيت قريش ، الذي تجيء إليه العرب ، قال : فابغوني

(١) نذكر القصة مرة أخرى من رواية يونس بن بكير وقد ذكرت سابقاً من رواية ابن هشام لفائدة رائدة .

(٢) الخمس هم المتشددون في العبادة .

(٣) أى دخل الكنيسة التي بناها أبرهة .

(٤) أى أحدث فيها - تبرز وعبر هنا ابن هشام بقوله قعد فيها .

دليلاً يدلني عليه ، فبعثوا معه رجلاً من هذيل ، يقال له نُفيل ^(١) ، فخرج بهم يهديهم ، حتى إذا كانوا بالمغمس ^(٢) ، نزلوا المغمس من مكة على ستة أميال ، فبعثوا مقدماتهم إلى مكة ^(٣) ، فخرجت مكة عباديد في رؤوس الجبال ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم ، فلم يبق بمكة أحد إلاَّ عبد المطلب بن هاشم ، أقام على سقايته ، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار ، أقام على حجابة البيت ، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ، ثم يقول :

اللَّهُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ — نَعُ حَلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَاكَ
لَا يَغْلِبُوا بِصَلْبِهِمْ — وَمَحَالُهُمْ غَدْرًا مَحَالِكَ
إِنْ يَدْخُلُوا الْبَلَدَ الْحَرَامَ — غَدًا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

يقول : أى شيد ما بدا لك ، لم تكن تفعله بنا ، ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نَعْمًا لقريش ، فأصابته فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، فلما بلغه ذلك ، خرج حتى انتهى إلى القوم .

* * *

* رسول أبرهة إلى مكة :

وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعرين ^(٤) ، وكانت له بعبد المطلب معرفة قبل ذلك ، فلما انتهى إليه عبد المطلب ، قال له الأشعري : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتي أن تستأذن لي على الملك ، فدخل عليه حاجبه .

(١) ذكر بعض الرواة عن ابن إسحاق أن اسمه أبو رغال انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٦٦ .

(٢) المغمس : النبات الأخضر الذى ينبت فى الخريف تحت اليابس ، المغمس : المكان المستور إما بهضاب وإما بعضاه ويؤيد ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه « كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » أى استتر بعيداً ، وكذلك حديث « كان ﷺ إذا أراد البراز أبعد » . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١ / ٦٨ .

(٣) ذكر أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود حتى سار ، إلى مكة وكان النجاشي قد بعثه مع الفيلة والجيش . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٤٢ .

(٤) اسمه حنطرة الحميري .

فقال له : أيها الملك ، جاءك سيد قريش الذى يطعم أنيسها فى السهل ووحوشها فى الجبل ، فقال : ائذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً جميلاً ، فأذن له ، فدخل عليه ، فلما أن رآه أبو يكسوم ، أعظمه أن يجلسه تحته ، وكره أن يجلسه معه على سريره ، فنزل من سريره ، فجلس على الأرض ، وأجلس عبد المطلب معه ، ثم قال : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى مائتا بعير ، أصابتها مقدمتك ، لى ، فقال أبو يكسوم : والله لقد رأيتك فأعجبتنى ، ثم تكلمت فزهدت فيك ، فقال له : ولم أيها الملك ؟ قال : لأننى جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب ، وفضلكم فى الناس ، وشرفكم عليهم ، ودينكم الذى تعبدون ، فجئته لأكرسه ، وأصبيت لك مائتا بعير ، فسألتك عن حاجتك ، فكلمتنى فى إيلك ، ولم تطلب إلى فى بيتكم ! فقال له عبد المطلب : أيها الملك ، إنما أكلمك فى مالى ، ولهذا البيت رب هو يمنعه ، لست أنا منه فى شىء ، فراع ذلك أبا يكسوم ، وأمر برد إيل عبد المطلب عليه ، ورجع عبد المطلب .

* * *

* أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولقبيله وجنوده :

وأمسوا فى ليلتهم تلك ، فأمست ليلة كالحة ، نجومها كأنما تكلمهم كلاماً ، لاقترباها منهم ، وأحست أنفسهم بالعذاب ، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم ، وتركهم ، وقام الأشعريون وخنعم ، فكسروا رماحهم ، وسيوفهم ، وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت ، فباتوا كذلك بأخبث ليلة ، ثم أدبلوا بسحر ، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبّحوا مكة ، فوجهوه إلى مكة ، فربض ، فضربوه فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا يصبحون ، ثم إنهم أقبلوا على الفيل ، فقالوا : لك الله ألا نوجهك إلى مكة ، فجعلوا يقسمون له ، ويحرك أذنيه ، يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا من القسم ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن راجعاً ، فتوجه يهرول ، فعطفوه حين رأوه منطلقاً ، حتى إذا ردهه إلى مكانه الأول ، ربض وتمرغ ، فلما رأوا ذلك ، أقسموا له ، وجعل يحرك أذنيه يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن ، فتوجه يهرول ، فلما رأوا ذلك ردهه ، فرجع معهم حتى إذا كان فى مكانه الأول ، ربض فضربوه ، فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك ،

فعالجوه ، حتى كان مع طلوع الشمس ، طلعت عليهم الطير معها ، وطلعت عليهم طير من البحر أمثال اليحاميم سود^(١) ، فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر^(٢) ، وفي رجليه حجران ، فإذا رمت بتلك مضت ، وطلعت أخرى ، فلا تقع حجرة من حجارتهن تلك على بطن إلا خرقتة ، ولا عظم إلا أوهاه ونقبه .

وثار أبو يكسوم راجعاً ، قد أصابته بعض الحجارة ، فجعل كلما قدم أرضاً انقطع منه فيها أرب (عضو) ، حتى إذا انتهى إلى اليمن ، ولم يبق منه شيء إلا أباده ، فلما قدمها انصدع صدره ، وانشق بطنه ، فهلك ، ولم يصب من الأشعرين وخثعم أحد .

ولما فزعوا إلى دليلهم ذلك ، يسألون عنه ، فجعلوا يقولون : يا نُفَيْل ، يا نُفَيْل ، وقد دخل نُفَيْل الحرم ، ففي ذلك يقول نُفَيْل :

أَلَا رُدِّيْ جَمَالَكَ يَا رُدَيْنَا نَعْمَانَا مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ ، وَلَكِنْ تُرِيهِ إِلَى جَنْبِ الْمَحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَخْشِيَّتِهِ وَفَزَعَتْ مِنْهُ وَكَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ عَيْنَا
خَشِيتُ اللَّهَ لَمَّا رَأَيْتُ طَيْرًا وَقَذَفَ حَجَارَةً تُرْمَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهُمْ يُسَائِلُ عَنْ نُفَيْل كَانَ عَلَى الْحَبِشَانِ دَيْنَا^(٣)

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

أَنْتَ حَبَسْتَ الْفَيْلَ بِالْمَغْمَسِ أَهْلَكْتَ أَبَا يَكْسُومَ وَالْمَغْلَسَ
كَرَدْتَهُمْ وَأَنْتَ غَيْرُ مُكَرَّدَسٍ تُدْعِسُهُمْ وَأَنْتَ غَيْرُ مُدْعَسٍ

وقال عبد المطلب ، وهو يرتجز ويدعو على الحبشة :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ قَامَنْعَ مِنْهُمْ حِمَاكَ

(١) ورد في وصف هذا الطير أيضاً أنه أمثال الخطاطيف والبلسان وهما نوعان من أنواع

الطيور ، وذكرنا أيضاً أن الطير كانت لها أنياب كأنياب السبع وأكف كأكف الكلاب .

(٢) في رواية أخرى أن الحجر مثل الحمص والعدس ولكن في الشكل فقط .

(٣) ورد أن نُفَيْل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته قال :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ
وَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حِينَ انْصَرَفُوا :

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ
وَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حِينَ انْصَرَفُوا :

مَنْ اللَّثَامُ فَلَمْ تُخْلَقْ لَهُمْ دَارًا
ذُو أُسْرَةٍ لَمْ نَكُنْ فِي الْحُبِّ غَدَارًا
مَنْ دُونَ أَنْ يُهْذَمَ الْمَعْمُورُ أَخْطَارًا
وَسِرْتُ مُسْتَبْسِلًا لِلْمَوْتِ صَبَّارًا
بِمَوْرَثِ حَيْهٍ م شَيْنًا وَلَا عَارًا

مَنْعَتُ الْأَرْضَ التَّسَى حُمَيْتُ
مَنْعَتُ مَكَّةَ مِنْهُمْ إِنِّي رَجُلُ
إِذْ قُلْتُ يَا صَاحِبَ الْحَبْشَانِ إِنَّا لَنَا
فَسَارٌ فِي جَيْشِهِ بِالْفِيلِ مُقْتَدِرًا
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ مِثْلُهُمْ

حدثنا أحمد ، نا يونس بن بكير ، عن عبد الله بن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن عباس في قوله : ﴿ وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ (١) ، قال : طير لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

حدثنا أحمد قال : نا أبي ، ويونس جميعاً ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ابن عبد الرحمن بن أسباط ، عن عبيد بن عمير : ﴿ وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ قال : طيراً أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ ﴾ (٢) . أصغرها مثل رؤوس الرجال ، وأعظمها مثل الإبل الهزل ، وما رمت أصابت ، وما أصابت قتلت ، وزاد فيه أبي : الأبابيل المتتابعة ، ما أرادت أصابت ، ما أصابت قتلت .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لقد رأيت قائد الفيل ، وسائسه أعميين مقعدين ، يستطعمان بمكة .

حدثنا أحمد ، نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس قال : حدثت أنه أول ما رُؤي في أرض العرب : الحصبة ،

(٢) سورة الفيل : الآية ٣ .

(١) سورة الفيل : الآية ٢ .

والج
الفيل

أبي ب
عليه
بالأبو

جده
يوضي
عليه

فيذه
ظهره
ثمانى

حزم
فكشه

يده
(ربه
كان
عيسى

للتو

— ابن إسحاق — ١٣٧ —

والجُدْرى ، ومرائر الشجر ^(١) من العشر ^(٢) والحرمل وأشسباه ذلك ، عام الفيل .

* وفاة السيدة آمنة بنت وهب :

حدثنا أحمد : نا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : قدمت آمنة بنت وهب ، أم رسول الله ﷺ ، برسول الله ﷺ على أخواله من بني عدي بن النجار بالمدينة ، ثم رجعت به ، حتى إذا كانت بالأبواء هلك بها ، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين .

* كفالة عبد المطلب محمدا ﷺ :

حدثنا أحمد : نا يونس ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش في ظل الكعبة ، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه ، فيذهب أعمامه يؤخرونه ، فيقول جده عبد المطلب : دعوا ابني ، فيمسح على ظهره ، ويقول : إن لبني هذا شأنًا ، فتوفي عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، بعد الفيل بثمانى سنين .

حدثنا أحمد : نا يونس ، عن ابن إسحاق قال : نا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : ذهب رجل بصنعاء يحفر خربة من خربها لبعض ما ينتفع به الناس ، فكشف عن عبد الله بن الثامر ، قاعدًا يده على شجرة برأسه موضوعة ، إذا أخروا يده عنها ، نبعت دمًا ، وإذا أرسلوها ردها فوضعها عليها ، في يده خاتم ، نقشه (ربي الله) ، فكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب أن : ارددوا عليه ما كان عليه ، وأقروه - حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان على دين عيسى عليه السلام ^(٣) .

(١) مرائر الشجر : الشجر المر . (٢) العُشر : شجر مر أيضًا .

(٣) سبق أن ذكرت هذه الرواية في أول الكتاب تحت عنوان « عبد الله بن الثامر يدعو

للتوحيد » من رواية ابن هشام وذكرناها هنا من رواية يونس رحمهما الله تعالى .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس (١) بن بُكير عن أبي خلدَةَ خالد بن دينار قال : نا أبو العالية قال : لما فتحنا تَسْتَر ، وجدنا في بيت مال الهَرْمُزَان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعباً (٢) ، فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ فقال : سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه ، وسوينا القبور كلها ، لنعميه على الناس ، لا ينبشونه ، قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عليهم ، برزوا بسريره فيمطرون ، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دَأْنِيَال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة ، قلت : ما كان تغير بشيء ؟ قال : لا ، إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع .

عند 5

* وفاة عبد المطلب ورثائه :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما حضرت عبد المطلب الوفاة ، قال لبناته : ابكين حتى أسمع كيف تقلن ، وكن ست نسوة ، وهن : أميمة ، وأم حكيم ، وبرّة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى فقالت أميمة :

أَلَا هَلْكَ رَأَى الْعَشِيرَ ذُو الْعُقْدِ وَسَاقِي الْحَجِيجِ الْمُحَامِي عَنِ الْحَمْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الْجَارَ الْغَرِيبَ لَبِيتِهِ إِذَا مَا سَمَاءُ الْبَيْتِ تَبْخُلُ بِالرَّعْدِ
وقالت عاتكة :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَبْخَلَا بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النَّبِيِّ ———َامْ
أَعَيْنِي وَأَسْـحَوْ فَرَا وَأَسْكُبَا وَشَوْبَا بُكَاءٍ كَمَا بِالْأَسْدَامِ
عَلَى الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَا تِ كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِي الدِّمَامِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزَّنَادِ وَذِي مُصَدِّقٍ بَعْدَ ثَبْتِ الْمَقَامِ
وقالت صفية :

أَرِقْتُ لِمَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَلِيلِ عَلَى رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

(١) بمعنى حدثنا ، أنا بمعنى أخبرنا ، ثنا : حدثنا ، ثنى : حدثني ، وهي من رموز علم مصطلح الحديث ، راجع في ذلك هدى الساري لابن حجر تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .
(٢) هو سيدنا كعب الأحبار كان من علماء اليهود فأسلم وكان على علم ودراية بالديانات

فَقَاضَتْ عِنْدَ ذَاكُمُ دُمُوعِي عَلَى الْغِيَّاصِ شَيْبَةُ ذِي الْمَعَالِي طَوِيلُ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِي عَظِيمُ الْحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ
 عَلَى خَدِّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ أَيْبُكَ الْخَيْرِ وَارِثُ كُلِّ جُودٍ مُطَاعٌ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدٌ خَضَارِمَةٌ مَلَاوِثَةُ أَسُودٍ
 وقالت البيضاء أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وكانت البيضاء عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامراً وأروى :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحَكَ أَسْعِفِينِي فَبَكَى خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَطَايَا طَوِيلُ الْبَاعِ شَيْبَةُ ذَا الْمَعَالِي وَصُـوْلًا لِلْقَرَابَةِ هَبْرَزِيًّا فَبَكَى وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ
 وبكى ذا الندى والمكرُماتِ بَدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطَلَاتِ أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ كَرِيمُ الْخَيْمِ مَحْمُودُ الْهَبَاتِ وَغِيَّائًا فِي السَّنَنِ الْمُتَحَلَّاتِ وَبَكَى مَا بَكَى الْبَاكِاتِ
 وقالت برّه :

أَعَيْنِي جُودًا بَدَمْعٍ دُرَّرَ عَلَى مَا جَدِ الْجَدِّ وَارَى الزُّنَا عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرَمَا وَذِي الْفَضْلِ وَالْحِلْمِ فِي النَّائِبَا لَهُ فَضْلٌ مَجْدٍ عَلَى قَوْمِهِ أَتَتْهُ الْمَنَايَا (١) فَلَمْ تَسْؤُهُ
 عَلَى طَيْبِ الْخَيْمِ وَالْمُعْتَصِرِ دِ جَمِيلِ الْمُحْيَا عَظِيمِ الْخَطَرِ تِ وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمَفْتَخَرِ تِ كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِ الْفَخْرِ مُبِينِ يَلُوحُ كَضُوءِ الْقَمَرِ بَصْرَفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرِ
 وقالت أروى :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي عَلَى الْغِيَّاصِ شَيْبَةُ ذِي الْمَعَالِي
 عَلَى سَمْعٍ سَجِيَّتِهِ الْحَيَاءُ كَرِيمُ الْجَدِّ نَيْتُهُ الْعَلَاءُ أَيْبُكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

طَوِيلُ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِي أَغْرَ كَانَ غَرَّتْهُ ضِيَاءُ
وَمُعْقِلُ مَالِكَ وَرَبِيعُ فِهْرٍ وَفَاصِلُهَا إِذَا التَّبَسَّ الْقَضَاءُ

* * *

حدثنا أحمد : نا يُونُسُ عن ابن إسحاق قال : ومات عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، فلم يُيك أحد كان قبله بكاه .

* ولاية زمزم والسقاية بعد عبد المطلب :

وولى زمزم والسقاية من بنى عبد المطلب بعده العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ أحدث إخوته سنًا ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهى بيده ، فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى ، فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم (١) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسُ عن ابن إسحاق قال : ولما هلك عبد المطلب ، كانت الرئاسة بعده والشرف والسن فى قومه بنى عبد مناف لحرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأطعم الناس ، وحاط العشيرة ، وشرف قومه ، ونصب قبة بمكة للضيف ، يطعم فيها من جاءه .

* * *

* عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ (٢)

وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى أبا طالب برسول الله ﷺ ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم (٣) ، فقال عبد المطلب - فيما يزعمون - فيما يوصيه به ، واسم أبى طالب عبد مناف :

(١) أى زمن المؤلف ابن إسحاق .

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى قبل موضوع وفاة عبد المطلب وذلك لترتيب

الأحداث .

(٣) أى أخوين شقيقين .

أوصيك يا عبد مناف بعدي
فارقته وهو ضجيع المهد
تدنيه من أحشائها والكبد
أوصيت أرجى أهلنا للوفد
بالكره مني ثم لا بالعمد
ما ابن أخي ما عشت في معد
عندي أرى ذلك باب الرشد
وكل أمر في الأمور ود
إن ابني (١) سيد أهل نجد
وقال عبد المطلب أيضاً :

أوصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب غير آتب
بابن الحبيب أقرب الأقارب
لا توصني إن كنت بالمعائب
محمد ذو العرف والذوائب
فلست بالآيس غير الراغب
فيه وأن يفضل آل غالب
من كل حبر عالم وكاتب
من حل بالأبطح والأخاشب

من ساكن للحرم أو مجانب

(١) يقصد رسول الله ﷺ لأن الابن يطلق على الابن وابنه .

* إلى هنا تم بحمد الله :

آخر الجزء الأول من كتاب المغازي لابن إسحاق - يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله

قصة بَحِيرَا الرَّاهِب

والحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

القسم الثاني

jabir.abbas@yahoo.com

قال
رد
قال
أض

اله
أب
أفأ

رس

هش

الآ

أبو
دار

الط

.)

jabir.abbas@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله

* قصة بحيرا الراهب (١)

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النُّقُور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال : حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : وكان أبو طالب هو الذي أضاف أمر رسول الله ﷺ إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه (٢) .

* محمد يخرج مع عمه إلى الشام

ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير صب (٣) له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمُّ إلى من تكلني لا أب لي ولا أم ؟ فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً ؛ أو كما قال (٤) .

(١) كان حق هذا الحديث أن يأتي في آخر الجزء الأول تحت عنوان « كفالة أبي طالب رسول الله ﷺ » ولكن نظراً لالتزامنا بالأصل أردنا التنبيه .

(٢) جاء في سيرة ابن هشام : المسير راجع أي طبعة من طبعات السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) أي تعلق به وحن إليه ، والصبابة : رقة الشوق ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ الآية رقم (٣٣) في سورة يوسف : ﴿ أَصْبِإِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، وفي غير رواية أبي بحر : ضبث به رسول الله ﷺ : أي لزمه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجليل تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١ / ٣٢٠ .

(٤) كان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن تسع سنين كما ذكر بعض أهل السير ، وقال الطبري : ابن اثني عشرة سنة .

* بحيرا يحتفى بتجار قريش :

فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحِيرًا فى صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرًا ^(١) وكانوا كثيراً مما يرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته ، فصنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو فى صومعته فى الركب ، حين أقبلوا وغماماً تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصرت ^(٢) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرًا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وحرُّكم وعبدكم ، فقال له رجل منهم : يا بَحِيرًا ^(٣) إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم ، صغيركم وكبيركم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم - لحداثة سنه - فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بَحِيرًا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، قال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا ، قالوا له : يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنّاً تخلف فى رحالهم ، قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من

(١) جاء فى سيرة الزهرى أن بحيرا كان حبراً من يهود تيماء ، وجاء فى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سرجس ، وذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه سُمع قبل الإسلام . بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرا ، ورباب بن البراء الشنّى ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ﷺ .

(٢) أى مالت وتدلّت .

(٣) الصواب فتح أوله وكسر ثانيه وليس ما ينطقه العامة .

القوم من قريش: واللآت والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم .

*** بحيرا يتثبت من محمد ﷺ :**

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته ، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له : يا غلام أسألك باللآت والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسلى باللآت والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، فقال له بحيرا : فبالله إلا أخبرتنى عما أسألك عنه ، قال : سلى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيبته ، وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده (١) .

*** بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ :**

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

*** بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر :**

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زيرا (٢) وتاماً ، ودريسا ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ - فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه

(١) لمزيد من المعرفة فى هذا الموضوع انظر كتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية

لترمذى تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط مؤسسة روز اليوسف .

(٢) جاء فى سيرة هشام « زيرراً » .

أبى طالب - أشياء ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرا ^(١) ، وذكرهم الله عز وجل ، وما يجدون فى الكتاب ^(٢) من ذكره وصفته ، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب فى ذلك من الشعر ، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه - أولئك النفر ، وما قال لهم فيه بحيرا :

إن ابن آمنَةَ النبى مُحَمَّدًا
لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزَّمَامِ رَحِمَتُهُ
فَارْفَضَ مِنْ عَيْنِي دَمْعٌ ذَارِفٌ
رَاعَيْتُ فِيهِ قَرَابَةً مَوْصُولَةً
وَأَمَرْتُهُ بِالسَّيْرِ بَيْنَ عُمُومَةٍ
سَارُوا لِأَبْعَدِ طِيَّةٍ مَعْلُومَةٍ
حَتَّى إِذَا مَا الْقَوْمُ بَصُرَى عَايَنُوا
حَبْرًا فَأَخْبَرَهُمْ حَدِيثًا صَادِقًا
قَوْمًا يَهُودًا قَدْ رَأَوْا مَا قَدْ رَأَى
سَارُوا لِقَتْلِ مُحَمَّدٍ فَنَهَاهُمْ
فَنَنَى زَبِيرًا بِحَيْرٍ فَانْشَى
وَنَهَى دَرِيسًا فَانْتَهَى عَنْ قَوْلِهِ
وقال أبو طالب أيضًا :

أَلَمْ تَرِنِي مِنْ بَعْدِ هَمِّ هَمَمَتِهِ
بِفِرْقَةٍ حُرِّ الوَالِدِينَ كِرَامِ

(١) أورد السهيلي فى الروض : ١ / ٢٠٥ خلاصة المادة الإخبارية العربية حول شخصية

بحيرا الراهب ، هذا وتحوى مدينة بصرى بين خرائبها بقايا كنيسة كبيرة يعتقد الأهليون أنها بقايا كنيسة بحيرا ، كل هذا فى حين أن غالبية علماء السيرة لهذا العصر ينفون وجود شخصية بحيرا تاريخيا ، ويرون أن الأخبار حولها مخترعة ، أملاها مجاراة ما جاء فى سير حياة الأنبياء الكتابيين وغيرهم من نبوءات وبشائر . انظر سيرة ابن إسحاق تحقيق د / سهيل زكار .

(٢) أى فى التوراة .

بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّدَتْ مُطِيتِي
بَكَى حُزْنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقَرْتُ عِبْرَةً
فَقُلْتُ : تَرَوْحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
فَرُحْنَا مَعَ الْعِيرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا
فَجَادَ بَحِيرًا عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا
فَقَالَ : أَجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لَطَعَامِنَا
يَتِيمٍ فَقَالَ : ادْعُوهُ إِنْ طَعَامِنَا
فَلَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا نَحْنُ دَارِهِ
حَنَّا رَأْسَهُ شِبْهَ السَّجُودِ وَضَمَّهُ
وَأَقْبَلَ رَكْبٌ يَطْلُبُونَ الَّذِي رَأَى
فَنَارَ إِلَيْهِمْ خَشْيَةَ لِعَرَامِهِمْ
دَرِيْسًا وَتَمَامًا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ
فَجَاءُوا وَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ
بِتَأْوِيلِهِ التَّوْرَةَ حَتَّى تَفْرُقُوا
فَذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِهِ وَبَيَانِهِ
وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ أَيْضًا :

بَكَى طَرِيًّا لَمَّا رَأَانَا مُحَمَّدٌ
فَبِتُّ يُجَافِينِي تَهْلُلُ دَمْعَةً
فَقُلْتُ لَهُ : قَرُبْ قُعُودَكَ وَارْتَحِلْ
وَخَلِّ زِمَامَ الْعَيْسِ وَارْتَحِلْ بِنَا
كَأَنَّ لَا يَرَانِي رَاجِعًا لِمَعَادِ
وَقُرْبَتِهِ مِنْ مَضْجَعِي وَوَسَادِي
وَلَا تَخْشِ مِنِّي جَفْوَةً بِيْلَادِي
عَلَى عَزْمَةٍ مَن أَمَرْنَا وَرَشَادِ

وَرِحَ رَائِحًا فِي الرَّاشِدِينَ مَشِيْعًا
 فَرَحْنَا مَعَ الْعِيرِ الَّتِي رَكَبَهَا
 فَمَا رَجَعُوا حَتَّى رَأَوْا مِنْ مُحَمَّدٍ
 وَحَتَّى رَأَوْا أَحْبَارَ كُلِّ مَدِينَةٍ
 زَبِيرًا وَتَمَامًا وَقَدْ كَانَ شَاهِدًا
 فَقَالَ لَهُمْ قَوْلًا بَحِيرًا وَأَيَقْنُوا
 كَمَا قَالَ لِلرَّهْطِ الَّذِينَ تَهَوَّدُوا
 فَقَالَ وَلَمْ يَمْلِكْ لَهُ النَّصْحَ : رُدَّ
 فَإِنِّي أَخَافُ الْخَاسِدِينَ وَإِنَّهُ
 لَذِي رَحِمٍ فِي الْقَوْمِ غَيْرِ مَعَادٍ
 يُؤْمُونَ عَلَى غُورَى أَرْضِ إِيَادٍ
 أَحَادِيثَ تَجْلُو غَمَّ كُلِّ فَوَادٍ
 سُجُودًا لَهُ مِنْ عَصْبَةٍ وَفِرَادٍ
 دَرِيْسًا وَهَمًّا كُلَّهُمْ بِفَسَادٍ
 لَهُ بَعْدَ تَكْذِيبِ وَطُولِ بُعَادٍ
 وَجَاهِدَهُمْ فِي اللَّهِ كُلَّ جِهَادٍ
 فَإِنَّ لَهُ أَرْصَادَ كُلِّ مُضَادٍ
 أَخُو الْكُتُبِ مَكْتُوبٌ بِكُلِّ مِدَادٍ

* محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته ، ورسالته ، وهو على دين قومه ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم خلقاً وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة ، وكان رسول الله ﷺ ، فيما ذكر لي ، يحدث عما كان يحفظه الله عز وجل في صغره وأمر جاهليته .

* * *

* رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثني والدي إسحاق بن يسار عن حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يذكر من حفظ الله عز وجل إياه : إني لمع غلمان هم أسناني ^(١) قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمنى لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك ^(٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال : كنا ننقل الحجارة حين بنت قريش البيت ، فأفردت قريش رجلين رجلين ، وكان النساء ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة ، فكنت أنقل أنا وابن أخى ، فكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشنا الناس اتترنا ، فبينا أنا أمشى ومحمد ﷺ قدامى ليس عليه شيء ، إذ خر محمد فانبطح ، فألقيت حجري وجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه ، فقلت ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره ونهاني أمشى عرياناً ، فلبثت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون ، حتى أظهر الله عز وجل نبوته .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن عبد الله ابن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهتمون به من النساء إلا ليلتين كلتا هما عصمنى الله عز وجل فيهما : قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي : أتبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ؟ فقال بلى ، قال : فدخلت

(١) أى سنهم واحدة أو متقاربة .

(٢) هذه القصة وردت فى الحديث الصحيح فى بيان الكعبة ، وكان ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان ﷺ يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس ؓ : يا ابن أخى لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر ، أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : وإنه لأول ما نودى .

انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٣٢٣ .

حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرايبيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح^(١) فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته .

* * *

تاج
منه
حد
مال
يقال
ميس
راه
تحد
الرا

أقبل
واش
مك
قوا
شر

كا
وك
عتب
وا-

(١) نكح عقد عقد الزواج .

حَدِيثُ خَدِيجَةَ ابْنَةِ خُوَيْلِدٍ (١)

* خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت خديجة ابنة خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قومًا تجارًا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرًا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج في مالها ذلك ، ومعه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب على ميسرة ، فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلًا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة فيما يزعمون ، إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس (٢) ، وهو يسير على بعيه ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف ، أو قريبًا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إضلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته .

* خديجة ترغب في الزواج منه :

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ،

(١) خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة في الجاهلية والإسلام وفي سير التيمي : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ من هند بن زرة ، وكانت قبله متزوجة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عتيق ، ولخديجة من هند ابنان اسم أحدهما الطاهر : والآخر : هالة . انظر الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) أي يظلان رسول الله ﷺ .

فيما يزعمون - يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقربتك مني ، وشرفك في قومك ،
وسطتك ^(١) فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم
عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهم
شرفاً ، وأكثرهم مالا ، كل قومها قد كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر على ذلك .

* نسب خديجة رضي الله عنها :

وهي خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأمها فاطمة ابنة زيد
ابن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى ، وأمها هالة بنت
عبد مناف بن الحارث بن عبد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ، وأمها
فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها
عاتكة ابنة عبد العزى بن قصي ، وأمها ريطة ابنة كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن
كعب بن لؤى ، وأمها قيلة ابنة حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن
لؤى وأمها أميمة ابنة عامر بن الحارث بن فهر ، وأمها ابنة سعد بن كعب بن
عمرو ، من خزاعة ، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فهر ، وأمها سلمى بنت
غالب بن فهر ، وأمها ابنة محارب بن فهر .

* الرسول صلوات الله عليه يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما قالت لرسول الله
صلوات الله عليه ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى
دخل على أسد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلوات الله عليه ^(٢) .

* أولاده صلوات الله عليه من خديجة :

فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحي ولده كلهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ،
وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، فأما القاسم ، والطاهر والطيب فهلكوا
قبل الإسلام وبالقاسم كان يكنى صلوات الله عليه ، فأما بناته فأدركن الإسلام ، وهاجرن
معه ، واتبعنه ، وآمن به عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) أى علو شأنك ونسبك ، فالسطة من الوسط ، مصدر كالعدة والزنة والوسط من

أوصاف المدح والتفضيل فى مقامين : ذكر النسب ، وذكر الشهادة ، وهنا ذكر النسب .

(٢) قيل كان سنه صلوات الله عليه إحدى وعشرين ، وقيل ثلاثين وقيل خمسا وعشرين .

أهل
العر
أخذ
الأو
كذا
الرء
المفا
إسر
كله
ف

يدر
ولا
شيئا

الله

عمر

قصة الأَحْبَار

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسَ عن ابن إسحاق قال : وكانت الأَحْبَارُ والرهبانُ أهل الكتابين هم أعلم برسول الله ﷺ قبل مبعثه وزمانه الذي يترقب فيه من العرب ، لما يجدون في كتبهم من صفاته ، وما أثبت فيها عندهم من اسمه ، وبما أخذ عليهم من الميثاق له في عهد أنبيائهم وكتبهم في اتباعه ، فيستفتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك ، ويخبرونهم أن نبياً مبعوثاً بدين إبراهيم اسمه أحمد ، كذلك يجدونه في كتبهم وعهد أنبيائهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ ^(١) وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل ﴾ ^(٢) الآية كلها ، وقال : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ ^(٣) الآية كلها ، وقوله : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ إلى قوله : ﴿ فبأوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ ^(٤) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسَ عن ابن إسحاق قال : وكانت العرب أميين لا يدرسون كتاباً ، ولا يعرفون من الرسل عهداً ، ولا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة إلا شيئاً يسمعون من أهل الكتاب ، لا يثبت في صدورهم ، ولا يعملون به شيئاً من أعمالهم .

فكان فيما بلغنا من حديث الأَحْبَارِ والرهبان عن رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل بزمان .

*** اليهود يُخبرون العرب بقرب زمان رسول الله ﷺ :**

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسَ عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الصف : الآية ٦ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : الآيات ٨٩ - ٩٠ .

رسول الله ﷺ منا ، وكان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن ، فكنّا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظلم زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون ^(١) على الذين كفروا فلما جاءهم ^(٢) الآية .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال : والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثمانى سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمه ^(٣) يئرب ، يصرخ : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد ، الذى يبعث به ، الليلة .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان بين أبياتنا يهودى ، فخرج على نادى قومي بنى عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذاك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، وذلك قبيل مبعث رسول الله ﷺ ، فقالوا : ويلك يا فلان ، وهذا كائن ، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذى يحلف به ، لوددت أن حظى من تلك النار ، أن توقدوا أعظم تنور فى داركم فتحمونه ، ثم تقذفونى فيه ، ثم تطينون على ، وإنى أنجو من النار غداً ، ف قيل : يا فلان فما علامة ذلك ؟ قال : نبى يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا : فمتى نراه ؟ فومى بطرفه فرأى وأنا مضطجع بفناء باب أهلى ، فقال - وأنا أحدث القوم - إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسوله ﷺ ، وإنه لحي بين أظهركم - فآمنا به ، وصدقناه ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا له : يا فلان أأست الذى قلت ما قلت ، وأخبرتنا ؟ قال : ليس به .

(١) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٢) يستفتحون : يستنصرون .

(٣) الأطمه : المكان العالى بالجبل .

* يهودى يتسبب فى إسلام ثلاثة :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدري عما كان إسلام أسيد وثعلبة ابنى سعية ^(١) وأسد بن عبيد ، نفر من هذيل ^(٢) ، لم يكونوا من بنى قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهييان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهييان اخرج فاستسق لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه فيستسقى ، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب ^(٣) ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة فحضرته الوفاة ، فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجنى ، أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجرة فأتبعه ، فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ؛ فلما كانت الليلة التى فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شباباً أحياناً : يا معشر يهود والله إنه الذى كان ذكر ابن الهييان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا ، وأحرزوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم ^(٤) .

(١) روى إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدينى عن ابن إسحاق : أسيد بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : وهو قول الواقدي وغيره : أسيد بفتحها ، قال الدارقطني ، وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية فيهم أنزل الله عز وجل ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ وسعية أبوهم ، يقال له : ابن العريض انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٩٦ .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « هذيل » .

(٣) فى السيرة النبوية لابن هشام « حتى تمر السحابة ونسقى » انظر السيرة النبوية ط

دار المنار ١ / ٢١٩ .

(٤) قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

نا أحمد : قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كانت أموالهم في الحصن مع المشركين ، فلما فتح رد ذلك عليهم .

نا أحمد : نا يونس عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبي مسلم عن عكرمة أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا برسولهم ، وصدقوهم ، وآمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث كفروا به ، فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ ^(١) وكان قوم من أهل الكتاب آمنوا برسولهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث محمد آمنوا به فذلك قوله : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ ^(٢) .

* * *

عمر
الفار
جى
ولد
فى
كذبا
ضيه
ضيه
عنى
بكنيه
النص
عنده
أمسى
فقلن
فجل
فقلن
له ،
رجل

بالعر
هذا .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٢) سورة محمد ﷺ : الآية ١٧ .

إِسْلَامُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ

* سلمان رضي الله عنه يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية :

نا أحمد قال : نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال : حدثني سلمان الفارسي قال : كنت رجلاً من أهل فارس من أهل أصبهان ^(١) من قرية يقال لها جى ، وكان أبى دهقان أرضه ، وكان يحبني حباً شديداً ، لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده ، فما زال به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما يحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار ^(٢) التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه حتى بنى أبى بنياناً له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعاني فقال : أى بنى إنه قد شغلنى ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه ، ولا بد لى من اطلاعها ، فانطلق إليهم فمرهم بكذا وكذا ولا تحبس عني فإنك إن احتبست عني شغلتنى عن كل شيء ، فخرجت أريد ضيعتي ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : هؤلاء النصارى يصلون ، فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم ، فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس ، وبعث أبى في طلبى في كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعتي ، فقال : أى بنى أين كنت ، ألم أكن قلت لك ؟! فقلت يا أبتاه مررت بأناس يقال لهم (النصارى) فأعجبني صلاتهم ودعائهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون ، فقال : أى بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ، فقلت : لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت ، فخافنى ، فجعل فى رجلى حليداً وحبسنى فى بيت عنده .

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصبه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا .

(٢) أى خادمها والقائم بشئونها .

* سلمان يهرب إلى الشام :

فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أهل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكم من هناك أناس فأذنوني ، فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلى : إنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذنوني بهم ، قالوا : نفعل ، فلما قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك ، فطرح الحديـ الذى فى رجلى ، ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف صاحب الكنيسة .

* سلمان مع أسقف النصارى السيئ :

فجئته فقلت له : إني قد أحببت أن أكون معك فى كنيستك ، وأعبد الله فيها معك ، وأتعلم منك الخير ؟ قال : فكن معى ، فكنت معه ، وكان رجل سوء ، كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله ، فلم ينشب أن مات ، فلما جاءوا ليدفـ نوه ، قلت لهم : إن هذا رجل سوء ، كان يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فقالوا : وما علامة ذلك ؟ فقلت : أنا أخرج لكم كنزه ، فقالوا : فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً (١) ، فلما رأوا ذلك ، قالوا : والله لا يدفن أبداً فصلبوه على خشبة ، ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

* سلمان مع أسقف النصارى الصالح :

فلا والله يا بن عباس (٢) ما رأيت رجلاً قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، أشد اجتهاداً ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً ، ما أعلمنى أحببت شيئاً قط قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان قد حضرتك ما ترى من أمر الله عز وجل وإنى والله ما أحببت شيئاً قط حبك ، فماذا تأمرنى ، وإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل ، فأتية فإنك ستجده على مثل حالى .

(١) الورق : الفضة .

(٢) يظهر هنا من خلال السياق أن سلمان رضي الله عنه كان يتحدث ويحكى لعبد الله بن عباسرضي الله عنه ، وهو آخر راو فى هذا السند .

* سلمان يلحق بأسقف الموصل :

فلما مات وغيب ، لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا ، فقلت له : إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك ، وأكون معك ، قال : فأقم أي بني فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلاناً أوصاني إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من ؟ قال : والله ما أعلمه أي بني إلا رجلاً بنصيين هو على مثل ما نحن عليه ، فالحق به .

* سلمان يلحق بأسقف نصيبين :

فلما دفناه لحقت بالآخر ^(١) فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصاني إلى فلان وفلان أوصاني إليك ، قال : فأقم أي بني ، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصاني إلى فلان وأوصاني فلان إلى فلان ، وأوصاني فلان إليك ، فإلى من ؟ قال : أي بني والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فأتته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

* سلمان يلحق بصاحب عمورية :

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية ^(٢) فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان إن فلاناً كان أوصاني إلى فلان ، وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصيني ؟ قال : أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم ، مهاجرة بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت على خير ، حتى مر بي رجال من تجار العرب ، من كلب ، فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيك غنيمتي هذه وبقراتي ؟ قالوا : نعم .

(١) يقصد أسقف نصيبين ، ونصيبين مدينة بين الموصل والشام كانت مشهورة بكثرة البساتين .

(٢) هي مدينة ببلاد الروم فتحها الخليفة العباسي المعتصم بالله ، وقال فيها الشاعر أبو تمام قصيدة بعنوان « فتح عمورية » ، مطلعها : * السيف أصدق أنباء من الكتب * .

* سلمان يذهب إلى وادى القرى :

فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادى القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لى صاحبى ، وما حقت عندى حتى قدم رجل من بنى قريظة من يهود وادى القرى ، فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده .

* سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبى ﷺ :

فخرج بى حتى قدم المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيته ، فعرفت نعتي ، فأقمت فى رقى مع صاحبى ، وبعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بمكة ، لا يذكر لى شيء من أمره مما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء (١) ، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له ، فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له ، فقال : فلان ، قاتل الله بنى قيلة (٢) ، والله إنهم الآن لفى قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبى ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذنى العرواء - يقول الرعدة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ، ونزلت أقول ما هذا الخبر ، ما هو ؟ فرفع مولاي يده فلكمنى لكمة شديدة وقال : ما لك ولهذا ، أقبل على عملك ، فقلت : لا شيء إنما سمعت خبراً ، فأحببت أعلمه .

* سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ :

فلما أمسيت وكان عندى شيء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فقلت : إنى بلغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندى شيء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به ، فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل فقلت فى نفسى : هذه خلة مما وصف لى صاحبى ، ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئاً كان عندى ، ثم جئته به ، فقلت : إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه ، فقلت هذه خلتيان ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة ، وعلى شملتان لى وهو فى أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره ، فلما رآنى

(١) قُباء : بالضم ، وهو اسم بئر فسمى المكان كله به وعرف به ، وهى قرية صغيرة وقد قدمها النبى ﷺ فى الهجرة وصلى فيها وبنى فيها مسجداً سمي مسجد قباء معروف حتى الآن وهو أول مسجد بنى فى الإسلام ، وتقع قباء على بعد ميلين من المدينة المنورة .

(٢) بنو قيلة : أى الأوس والخزرج ، وقيلة هى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة أم الأوس والخزرج .

رسو
عن
أقبله
أن يس
ثلاثة
ثلاثة
فقراً
ية -
فقلت
فيضه
فقال
يا سا
فأديت
ﷺ
قال :
حدث
غيبه
يعتره
الذى
خرج
فخره
كلها

رسول الله ﷺ استدبر عرف أنى أستثبت من شىء قد وُصف لى ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبي ، فأكبت عليه أقبله ، وأبكى ، فقال : تحول يا سلمان هكذا ، فتحولت فجلست بين يديه ، وأحب أن يُسمع أصحابه حديثي عنه ، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك .

* سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ :

فلما فرغت قال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبني صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له ، وأربعين أوقية ، فأعاني أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين ودية عشر ، كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لى رسول الله ﷺ : فقر لها فإذا فرغت فأذني حتى أكون أنا الذى أضعها بيدي ، ففقرتها وأعاني أصحابي - يقول حفرت لها حيث توضع ، حتى فرغنا منها ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد فرغنا منها ، فخرج معى حتى جاءها ، فكنا نحمل إليه الودى فيضعه بيده ، ويسوى عليه ، فوالذى بعته بالحق ما ماتت منها ودية واحدة (١) . وبقيت على الدراهم ، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله ﷺ : أين الفارسي المسلم المكاتب ؟ فدعيت له ، فقال : خذ هذه يا سلمان فأد بها ما عليك ، فوالذى نفس سلمان بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية ، فأديتها إليهم ، وعتق سلمان - وكان الرق قد حبسنى حتى فاتتنى مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، ثم عتقت فشهدت الخندق ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

* حديث سلمان مع صاحب عمورية :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : حدثني من سمع عمر بن عبد العزيز ، وحدث هذا من حديث سلمان ، فقال : حدثت عن سلمان أن صاحب عمورية قال لسلمان ، حين حضرته الوفاة : ائت غيظتين من أرض الشام فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة . يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شفى ، فسله عن هذا الدين الذى تسلني عنه ، عن الحنيفة دين إبراهيم ، فخرجت حتى أقمت بها سنة ، حتى خرج تلك الليلة من إحدى الغيظتين إلى الأخرى ، وإنما كان يخرج مستجيزاً ، فخرج وغلبني عليه الناس حتى دخل فى الغيضة التى يدخل فيها حتى ما بقى إلا

(١) ورد أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرهما فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان .

— ١٦٤ — ابن إسحاق —

منكبه ، فأخذت به فقلت : رحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ فقال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبي يخرج عند هذا البيت ، بهذا الحرم ، يُبعث بسفك الدم (١) ، فلما ذكر ذلك سلمان لرسول الله ﷺ قال : لئن كنت صدقت يا سلمان لقد رأيت عيسى ابن مريم عليه السلام .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان قال : لما أعطاني رسول الله ﷺ ذلك الذهب فقال : اقض به عنك ، فقلت يا رسول الله ، وأين تقع هذه مما على ؟ فقلبها رسول الله ﷺ على لسانه ، ثم قذفها إلي ، ثم قال : انطلق بها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن أبي ليلي قال : نا عتاب البكري قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدري فيبسط له على بابه بساط ثم يجعل عليه وسادة ويتكىء على الوسادة ونحن نحوله نحدق به ، فسألته عن الخاتم الذي كان بين كتفى رسول الله ﷺ ما كان ؟ قال فأشار أبو سعيد بالسبابة (٢) ووضع الإبهام (٣) على أول مفصل أسفل من ذلك . قال يونس : أخرج المفصل كله ، قال : كانت بضعة ناشزة بين كتفى رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكانت قریش يعظمون الكعبة ويطوفون بها ويستغفرون عندها مع تعظيم الأوثان والشرك في ذبائحهم ، ويحجون ، ويقفون المواقف .

* * *

- (١) لمن يستحق أن يسفك دمه فإنه بعث رحمة للعالمين لا يسفك دم إلا زاهق النفس التي حرم الله أو الزانى المحصن أو التارك لدينه المفارق الجماعة .
- (٢) السبابة : هو الأصبع التي تشير به في التشهد في الصلاة دليلا على الوحدانية .
- (٣) الإبهام : هو الأصبع الكبير من أصابع اليد وهو ملاصق للسبابة .

أن
الملا
جئ

يا ر
يا آد
فبنو
فج

قيل
أيها
الله

عائ
فداء
عز
ليدك

عز
بعرة

أثر الكعبة

* آدم وبناء الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن مسيرة البكري قال : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان موضع البيت في زمن آدم شبرا أو أكثر ، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم ، ثم حج آدم فاستقبلته الملائكة ، فقالوا : يا آدم من أين جئت ؟ قال حججت البيت ، قالوا : قد حجته الملائكة قبلك .

نا أحمد نا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أهبط آدم بالهند ، فقال : يا رب مالي لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها في الجنة ؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم ، فانطلق فابن لى بيتا فتطوف به كما رأيتمهم يتطوفون ، فانطلق حتى أتى مكة فبنى البيت ، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهار وعمارة ، وما بين خطاه مفاوز ، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة (١) .

نا أحمد : نا يونس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد قال : لما قيل لإبراهيم : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٢) قال يا رب كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، فصعد الجبل فنادى أيها الناس أجيئوا ربكم ، فأجابوه لبيك اللهم لبيك ، فكان هذا أول التلبية .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني وهب بن سنان قال : سمعت عائذ بن عمير الليثي يقول : لما أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج استقبل المشرق ، فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل المغرب (٣) فدعا إلى الله عز وجل فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل الشام فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني ثقة من أهل المدينة عن عروة

(١) ورد أيضا عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل - أوحى إلى آدم : إذا هبطت ابن لى بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعروشى الذى فى السماء . راجع تفسير القرطبي ١ / ٦١٣ ط دار الغد العربى .

(٢) سورة الحج : ٢٧ . (٣) أى جهة الغرب .

ابن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت ، إلا ما كان من هود وصالح ، ولقد حجه نوح ، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض ، فكان البيت قطعة حمراء ، فبعث الله تعالى هوداً ، فتشاغل بأمر قومه ، حتى قبضه الله عز وجل إليه ، فلم يحجه حتى مات ، ثم بعث الله تعالى صالحاً فتشاغل بأمر قومه ، فلم يحجه حتى مات ، فلما بوأه ^(١) الله عز وجل لإبراهيم حجه ، ثم لم يبق نبي إلا حجه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن عطاء بن أبي رباح عن كعب الخبر قال : شكت الكعبة إلى ربها عز وجل ، وبكت إليه فقالت : أى رب ، قل زواري وجفاني الناس ، فقال الله عز وجل لها : إني محدث لك إنجيلاً { كذا } ، وجاعل لك زواراً يحنون إليك حين الحمامة إلى بيضاتها .

نا أحمد قال : حدثني أبي قال : نا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : خلق البيت قبل الأرض بألفى عام ، ثم دحيت الأرض منه .

* إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال : خرج آدم من الجنة معه حجر في يده وورق في الكف الأخرى ، فبث الورق بالهند فمته ما ترون من الطيب ، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها ، فلما بنى ^(٢) إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل : اتنى بحجر من الجبل ، فقال : غير هذا ، فردّه مراراً لا يرضى بما يأتيه ، فذهب مرة ، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذي أخرج به آدم من الجنة فوضعه ، فلما جاءه إسماعيل قال : من جاءك بهذا ؟ قال : من هو أنشط منك ^(٣) .

(١) أعدّه له ، وأنزله إياه .

(٢) اختلف فيمن بنى البيت أولاً وأسسّه ، فقيل : الملائكة ، ثم لما طرد آدم من الجنة ، أمر ببناء الكعبة فبناها فكان بناء آدم أولاً ثم بناء إبراهيم حينما أمره الله أن يرفع قواعد ما هو وابنه إسماعيل عليهما السلام . راجع كتب التفسير .

(٣) ورد أن جبل أبي قبيس نادى إبراهيم : يا خليل الرحمن إن لك عندي وديعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة . انظر تفسير القرطبي ١ / ٦١٥ ط . دار الغد العربي .

ابن إسحاق * وَصَفَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ :

نا أحمد : نا يونس عن السرى بن إسماعيل عن عامر عن عُمر بن الخطاب أنه قال : الحجر الأسود من أحجار الجنة أُهبط إلى الأرض وهو أشد بياضاً من الكُرْسَف (١) ، فما اسود إلا من خطايا بني آدم ، ولولا ذلك ما مسه أبكم ولا أصم ولا أعمى إلا برا .

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلمة بن كهيل عن رجل عن علي أنه قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهى فى ذلك ريح هفافة .

نا أحمد : نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن يزيد الرقاشى عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العبا يؤمون بيت الله العتيق منهم موسى عليه السلام .

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فاسود من مسحهم إياه .

نا أحمد نا يونس عن وهب بن عقبة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال : إن الحجر الأسود من حجارة الجنة ، كان أشد بياضاً من اللبن فاسود مما مسحه بنو آدم من ذنوبهم .

نا أحمد نا يونس عن مسleme بن عبد الله القرشى عن عبد الكريم أبى أمية قال : كان البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة ، فلما كان زمن الطوفان رفع إلى السماء الدنيا ، فلو وقع الآن وقع على موضع البيت ، يطوف به كل ليلة سبعون ألف ملك ، واستودع جبريل أبا قبيس (٢) الحجر ، وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة ، فلما بنى إبراهيم البيت أتاه جبريل ، فأخرج له الحجر ، فوضعه فى قواعد البيت ؛ وهو يوم القيامة أعظم من أحد له لسان يشهد به .

* * *

(١) القطن الناصع البياض .

(٢) أبا قبيس : هو اسم جبل خارج مكة المكرمة .

* ما كان يقال عند الطواف في الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن سعيد بن أبي بردة الأشعري عن عبد الله بن عمر أنه قال لأبيه أبي بردة : أتدرى ما كان قومك يقولون في الجاهلية إذا طافوا بالبيت ؟ قال : وما كانوا يقولون ؟ قال : كانوا يقولون :

اللَّهُمَّ هَذَا وَاحِدٌ إِنْ تَمَّ أَمَّهَ اللَّهُ وَقَدْ أَمَّ
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن قيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال : كان أهل الجاهلية يقولون حين يطوفون بالبيت :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لم يكن أحد يطوف بالكعبة عليه ثياب إلا الخمس ^(١) ، وكان بقية الناس الرجال والنساء يطوفون عراة ، إلا أن تحتسب عليهم الخمس ، فيعطون الرجل أو المرأة الثوب يلبسه .

نا أحمد : نا يونس عن أبي معشر المدني عن محمد بن قيس قال : كان أهل الجاهلية من لم يكن من الخمس ، فإن طابت نفسه أن يرمى بالثوب الذي عليه إلى الكعبة إذا طاف بالبيت أو وجد عارية من أهل مكة ، طاف فيه ، فإن لم تطب نفسه بالثوب الذي عليه ، ولم يجد عارية من أهل مكة طاف عريانا ، فقالوا : وجدنا آبائنا عليها ، والله أمرنا بها حتى بلغ ﴿ خالصة يوم القيامة ﴾ قال محمد بن قيس : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشركهم فيها الكفار ، فإذا كان يوم القيامة خلص بها المؤمنون .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت قریش

(١) الخمس : جمع أحمس وهو من الشدة والصلابة في الدين وقد لقبت به قریش وكنانة وخزاعة وهم أهل الحرم ، وكانوا لا يعظمون شيئاً من الحل وتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها إذ إنها من الحل أما المزدلفة فهي من الحرم .

ومن يدين دينها ^(١) ، وهم الحُمس ، يقضون عشيّة عرفة بالمزدلفة يقولون : نحن قطن ^(٢) البيت ، وكان بقية الناس ، والعرب يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ ^(٣) فتقدموا فوقفوا مع الناس بعرفات .
* الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان ابن أبي سليمان عن نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه جُبَيْر بن مُطْعِم قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات ، من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له .
* ما كان يفعله المشركون في الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر قال : كان المشركون بجمع ^(٤) يقولون : أشرق ثبير ^(٥) كيما نغير ، قال : فكانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك . قال زكريا : فنفر رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس .

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : كان الناس في الجاهلية إذا أتوا المعرف ^(٦) قام الرجل فوق جبل فقال : أنا فلان ابن فلان ، فعلت كذا ، وفعل أبي كذا ، وفعل جدى كذا فأنزل الله عز وجل : ﴿ فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ ^(٧) يقول : كما كنتم تذكرون آباءكم في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية : يا أيها الناس ، إن الله قد رفع عنكم هذه النخوة والتفاخر في الآباء ، فنحن ولد آدم ، وخلق آدم من تراب ، وقال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ أنقاكم ﴾ ^(٨) .

* أصل السعى بين الصفا والمروة وأول من سعى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون التميمي عن عطاء بن أبي رباح أن إنسانا سأله عن السعى بين الصفا والمروة فقال : إن هاجر لما وضعها إبراهيم هي وابنها

(١) أى من يتبعها ويوافقها وهم : كنانة وخزاعة .

(٢) بمعنى قطين : أى سكانه وأهله . (٣) سورة البقرة : ١٩٩ .

(٤) جمع : أى المزدلفة . (٥) ثبير : جبل مطل على مكة . (٦) أى : جبل عرفة .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ . (٨) سورة الحجرات : الآية ٦ .

إسماعيل أصابها عطش شديد حتى أريت أن إسماعيل سيقتله العطش ، فلما خشيت ذلك منه ، وضعتته في موضع البيت ، وانطلقت حتى أتت الصفا ، فصعدت فوقه تنظر هل مات بعد أم لا ؟ فجعلت تدعو الله تعالى له ، ثم نزلت حتى أتت بطن الوادي فسعت فيه ثم خرجت تمشى حتى أتت المروة ، فصعدت فوقها تنظر هل مات بعد أم لا ؟ وكانا حجرين إلى البيت ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فهذا أصل السعى بين الصفا والمروة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه ، في هذه الآية : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ ^(١) الآية ، فقلت لعائشة : لو أن إنسانا حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرجاً ، قالت : فأتل على ، فتلوت عليها : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ فقالت : لو كان كما تقول كان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما نزلت هذه الآية في أناس من قريش كانوا يحرمون لَمَنَاءَ ولا يحل في دينهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما أسلموا قالوا لرسول الله ﷺ « إنا كنا نحرم لَمَنَاءَ فلا يحل لنا في ديننا أن نطوف بين الصفا والمروة » فأنزل الله عز وجل الآية : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ فقالت عائشة : هما من شعائر الله ، فما أتم الله حج من لم يطف بهما .

* سبب رمي الجمار وأول من رمى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن عطاء بن أي رباح أنه سئل عن رمي الجمار فقال : إن إبراهيم أتى البيت الحرام فصلى به ، ثم راح حتى أتى منى في بعض الليل فانطلق حتى أتى الشجرة فعرض ^(٢) له الشيطان ، فرماه إبراهيم بسبعة أحجار ، يكبر مع كل حجر ، فذهب عنه ، ثم مضى حتى أتى مكان الجمرة التي يليها عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار ، يكبر ، مع كل حجر فذهب عنه ، ثم مضى حتى موضع الجمرة الثالثة عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار يكبر مع كل حجر ، فذهب عنه ، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ اقتص ما صنع إبراهيم فصنع مثله .

* * *

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٨ .

(٢) عَرَضَ له : أي ظهر له وأشرف عليه ، واعترض طريقه .

الج
الح
فلم
ألا

وَأَد
قال

رس

والا

الح

الح

است

فكيا

ثم

ثم

أبى

على

الظ

ثم

» بط

موقف

* ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح :

نا أحمد : نا يونس عن أبي بكر الهذلي قال : أنا الحسن قال : كان الناس في الجاهلية إذا ذبحوا ليطخوا بالدماء وجه الكعبة ، وشرّحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة ، وقالوا لا يحل لنا نأكل شيئاً جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السباع والطيور ، فلما جاء الإسلام جاء الناس رسول الله ﷺ فقالوا له : شيئاً كنا نصنعه في الجاهلية ألا نصنعه الآن ، فإنما هو لله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فكلوا منها وأطعموا ﴾ ^(١) فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعلوا فإن ذلك ليس لله عز وجل » . قال الحسن : فلم يعزم عليهم الأكل ، فإن شئت فكل وإن شئت فدع ^(٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فقال : كانت قريش يدخلون في كل سنة شهراً ، وإنما كانوا يوافقون ذا الحجة في كل اثنتي عشرة سنة مرة ، فوق الله تعالى لرسوله في حجته التي حج ذا الحجة فحج رسول الله ﷺ فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : على ما كان الناس يحجون عليه ، ثم فسر ابن أبي نجيح فقال : كانوا يحجون في ذي الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهراً .

* جبريل يعلم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن أبي ليلى وابن أبي أنيسة عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « نزل جبريل على إبراهيم صلى الله عليهما ، فراح به فصلى به الصلوات بها » ، قال يحيى : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ^(٣) . ثم اجتمعا ، فبات به حتى صلى الفجر ثم سار به يوم عرفة حتى نزل به المنزل الذي ينزل الناس ^(٤) ، فصلى به الصلاتين -

(١) سورة الحج : الآية ٣٦ . (٢) أي اتركه للفقراء والمساكين .

(٣) أي يوم التروية وهو يوم الثامن من ذي الحجة .

(٤) أي المكان المعروف وهو الموقف من عرفة دون غيره لأن غربي عرفة مكان يسمى

« بطن عرنة » وهو ليس بموقف وقد نهى النبي ﷺ عن الوقوف فيه فقال : « عرفه كلها موقف وارتفعوا » - أي ابتعدوا - عن بطن عرنة والله أعلم .

« قال يحيى : جميعاً » - ثم اجتمعا ، قال : فسار حتى وقف به فى الموقف حتى كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة المغرب ، ثم أفاض حتى أتى به « جمعاً » فصلى به الصلاتين ^(١) ، قال يحيى : المغرب والعشاء جميعاً . قال : ثم بات بها ^(٢) حتى إذا كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة الفجر أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها ، ثم ذبح وحلق ثم أتى به البيت فطاف به - قال ابن أبى ليلى : ثم رجع به إلى منى فأقام فيها تلك الأيام ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً .

نا أحمد نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيع عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ حين نزلت « براءة » ^(٣) ألا يطوف بالبيت عريان .

*** قریش تبدع الحُمس :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت قریش - لا أدري قبل بناء الكعبة أو بعده - ابتدعت رأى الحُمس ^(٤) ، رأيا رأوه وأداروه بينهم ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاية البيت ، وقاطنو مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب حرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يقررون ويعرفون أنها من المشاعر ^(٥) والحج ودين إبراهيم عليه السلام ، فيرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما يعظمها الحُمس ، والحُمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ، ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن فقالوا : لا ينبغي للحُمس أن يَأْقُطُوا الأَقْط ^(٦) ، ولا يسلبوا ^(٧)

(١) أى بالمزدلفة . (٢) أى : بالمزدلفة أيضاً . (٣) سورة التوبة .

(٤) والتحمس التشدد ، وكانوا قد تعالوا على غيرهم ، وكانت نساؤهم لا ينسجن

الشعر ولا الوبر . (٥) أى الشعائر . (٦) الأقط : الجبن المصنوع من لبن الغنم .

(٧) سلا السمن : أى طبخ الزبد حتى يصير سمناً .

السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إلا فى بيوت الأدم^(١) ما داموا حراماً ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم إذا جاءوا حجاً أو عمراً ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الخمس ، فإن لم يجدوا شيئاً منها طافوا بالبيت عراة ، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة لم يجد ثوباً من ثياب الخمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، لم ينتفع بها ، ولم يمسه ، ولا أحد غيره أبداً ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى ، فحملوا العرب على ذلك فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، فأطافوا بالبيت عراة ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك ، فكان أهل الحل يأتون حجاً وعمراً ، فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التى جاءوا بها ، وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثياباً من ثياب الحرم إما عارية وإما بإجارة ، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً تطرحه عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف :

اليوم يَيدو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه لا يقربه وهو يحبه :

كَفَى حُزْناً كَرُّى عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقِىَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ^(٢)

يقول : لا تُمس . فكانوا كذلك حتى بعث الله عز وجل نبيه ﷺ^(٣) .

* * *

(١) بيوت الأدم : الخيم والأخبية المصنوعة من الجلد .

(٢) الشئ الحريم : المحرم وهو الشئ الذى لا يؤخذ ولا ينتفع به .

(٣) وشرع له سنن حجه وأمر قريش والناس جميعاً بالوقوف بعرفات والإفاضة منها فقال

تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

حديث بنیان الکعبة

* سبب بنیان قریش الکعبة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نایونس بن بکیر عن ابن إسحاق قال : فأقامت قریش فی کل قبيلة منها أشراف ، فلیس بینها اختلاف ولا نائرة . ثم إن قریشاً أجمعوا علی بنیان الکعبة ^(١) ، وكانوا یهمون بذلك فیهابون هدمها ، وإنما كانت رضماً فوق القامة ^(٢) ، فأرادوا رفعها وتسقیفها وذلك أن نفرًا من قریش سرقوا كنز الکعبة ، وكان یكون فی بئر جوف الکعبة . وكان الذی وجد عنده الكنز دویل - أو دویل - شک أبو عمر ، مولى لبنی ملیل بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قریش یده من بینهم ، وكان ممن اتهم فی ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب ، فهو الذی تزعم قریش أنهم وضعوا كنز الکعبة حین أخذوه عند دویل - أو دویل - فلما اتهم قریش دلوهم علی دویل - أو دویل ^(٣) - فقطعوه ، ویقال : إنهم وضعوه عنده ، وذكروا أن قریشاً حین استیقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ،

(١) وكان بناؤها فی الدهر كله خمس مرات ، الأولى : حین بناها شیث بن آدم ، الثانية : حین بناها إبراهیم علیه السلام علی القواعد الأولى ، والثالثة : حین بنتها قریش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، الرابعة حین احترقت فی عهد ابن الزبیر بشراة طارت من جبل أبی قیس ، وقیل إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شراة من المجرم فی أstarها فاحترقت ، فهدمها عبد الملك بن مروان وبناها علی ما كانت علیه فی عهد رسول الله ﷺ . أما المسجد الحرام فأول من بناء عمر بن الخطاب رضی الله عنه وذلك أن الناس ضیقوا علی الکعبة ، وألصقوا نورهم بها ، فقال عمر : إن الکعبة بیت الله ، ولا بد للیت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحیط بها ، ثم لما جاء عثمان رضی الله عنه . اشترى دوراً أخرى وأغلی ثمنها ، وزاد فی سعة المسجد ، فلما جاء ابن الزبیر زاد فی إتقانه لا فی سعته ، وجعل فیة عمداً من الرخام وزاد فی أبوابه وحسنها ، فلما جاء عبد الملك بن مروان زاد فی ارتفاع حائط المسجد وحمل إلیه السوارى فی البحر إلی جدة .

(٢) الرضم : هی الصخور العظيمة التى یتراکم بعضها فوق بعض .

(٣) فی سيرة ابن هشام : دویل .

—
فخر-
عشر
حولہ

خشبه
بعض
کل ی
كان ی
یهابوا
عز و
قریش
الخشب
ورسو

عمراد
فیما ی
تدخل
الکلام

حدث
عمرو

النجار
طرفاء

— ابن إسحاق — ١٧٥ —

فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب ، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة ، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة ، فكان فيما حولها عشر سنين .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من الروم فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها ، وكان بمكة رجل قبضي نجار^(١) ، فتهيا لهم في أنفسهم في بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها مما يهدى لها كل يوم ، فتشرق^(٢) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنهم زعموا قلما كان يقترب من بئر الكعبة أحد إلا أحزألت^(٣) وكشت^(٤) ، وفتحت فاها فكانوا يهابونها ، فبينما هي يوماً تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عز وجل عليها طائراً لا يدرون ما هو فاخططفها من مشرقها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا الخشب ، وقد ذهب الله تعالى بالحية ، وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة .

* أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة :

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبناءها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه - فيما يزعمون - فقال : يا معشر قريش لا تدخلن في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلن فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة من أحد من الناس ، وينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية أنه رأى ابناً لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت فسأل عنه ، فقيل هذا ابن

(١) ذكر أنه كان علجاً في السفينة التي حجتها الريح إلى الشعبية ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضاً في اسم النجار الذي عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

(٢) أي تبرر وتظهر للشمس . (٣) أحزألت : أي ارتفعت .

(٤) كشت : أي صوتت بسبب احتكاك الجلد ببعضه ببعض .

جَعْدَةُ بن هبيرة بن أبى وهب ، فقال عبد الله بن صفوان : إن جده يعنى أبى وهب هو الذى أخذ من الكعبة حجراً حين أرادت قريش هدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش لا تدخلوا فيها من كسبكم إلا طيباً ، لا تدخلوا مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد من الناس ، وأبو وهب خال رسول الله ﷺ (١) ، وكان شقيقاً ، وله يقول شاعر من العرب :

لَوْ بِأَبَى وَهْبٍ أَنْخَتُ مَطِيتِي لَرُحْتُ وَرَأَحْتُ رَحْلُهَا غَيْرَ خَائِبِ
وَأَبْيَضُ مِنْ فَرْعَى لُؤَى بنِ غَالِبٍ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهُ لِلذَّوَائِبِ
أَبَى لَأَخْذِ الضِّمِيمِ يَرْتَاحُ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فُرُوعُ الْأَطْيَابِ
عَظِيمِ رَمَادِ الْقَدَرِ يَمْلَأُ جَفَانَهُ مِنَ الْخُبْرِ يَعْلُوهُنَ مِثْلَ السَّبَائِبِ

* نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تجزأت قريش الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف ، وبني زهرة ، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم ، وكان ظاهرها لسهم وجمع ، وكان شق الحجر ، وهو الحطيم ، لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدى بن كعب .

* الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبوؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، فقام عليها ، ثم قال : اللهم لا تردع (٢) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر ماذا يصيبه ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله عز وجل ما صنعنا ، فأصبح غادياً يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة (٣) اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضها بعضاً .

(١) وقيل : هو خال أبى رسول الله ﷺ والله أعلم .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « لم تُرْعَ » وهى تقتضى إظهار قصد البر ، وليس تسكين

(٣) أى أساسها .

الرَّوْع .

* سبب امتناع قريش عن هدم الأساس :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثت أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها قالوا أدخل رجل بين حجرين منها العتلة ^(١) ليقلع إحداهما ، فلما تحرك الحجر تنفضت مكة بأسرها ، فهابوا عند ذلك تحريك ذلك الأس .

* الكتاب الذي وجد في الركن :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد قال : حدثت أنهم وجدوا في أس الكعبة أو في بعضها شيئاً من صُفر مثل بيض النعام مكتوب في إحداهما : هذا بيت الله عز وجل الحرام رزق أهله من كذا ، لا يحله أول من أهله ، وفي الأخرى : براءة لبني فلان حى من العرب ، من حجة لله حجوها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وحدثت أن قريشاً وجدت في الركن أو في بعض المقام كتاباً بالسريانية لم يدورا ما هو حتى قرأه عليهم رجل من يهود : « أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخشابها ^(٢) ، مبارك لأهلها في الماء واللبن » ^(٣) .

* * *

(١) جاء في سيرة ابن هشام « العتلة » وهى الصواب .

(٢) جاء في سيرة ابن هشام : « أخشابها » أى جبلها .

(٣) ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق قال : بلغنى أن قريشاً حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجراً فيه ثلاثة صفوح الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغت الشمس والقمر ، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم ، واشتقت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

* الكتاب الذي وجد في المقام :

وحدث أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أول من أهلها » (١) .

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : حدثني من قرأ في أسفل المقام أو في تختجة (٢) في سقف البيت : أنا الله ذو بكة ، بنيت على وجوه سبعة أملاك حنفاء ، باركت لأهله في اللحم ، والماء ، وجعلت رزقهم من ثلاثة سبل ، ولا يستحل حرمتها أول من أهلها .

نا أحمد : نا يونس عن المنذر بن ثعلبة عن سعيد بن حرب قال : شهدت عبد الله بن الزبير وهو يقلع القواعد التي أسس إبراهيم عليه السلام لبناء البيت فأتوا على تربة صفراء عند الخطيم ، فقال ابن الزبير : هذا قبر إسماعيل عليه السلام فواراه (٣) .

* الاختلاف بين قريش في وضع الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع على جدتها (٤) ثم بنو حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا في رفع الركن ، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى ، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحاربوا (٥) أو تحالفوا ، وأعدوا القتال .

* لعقة الدم :

فقربت بنو عبد الدار جفنة فملؤوها دماً ثم تحالفوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت فأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة فغمسوها في الدم ، فقال في ذلك عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار :

(١) لا يحلها أول من أهلها : أي ، والله أعلم ، ما كان من استحلال قريش فيها

القتال أيام ابن الزبير ، وحسين بن نمير ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٢) أي فتحة قرية من السقف تكون في الحائط وتسمى « طاقة » .

(٣) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً

في الكعبة قبل مبعث النبي عليه السلام بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن زرع ضرراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتحزبون الحسنات ؟ أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب . »

(٤) عند ابن هشام : « على حدة » وهذا أليق وأوضح .

(٥) عند ابن هشام : « تحاوروا » .

خمس

فرغم

يا مع

المسجد

قالوا

هلموا

قبيلة بـ

وَاللّٰهُ لَا نَأْتِي الَّذِي قَدْ أَرَدْتُمْ
وَنَحْنُ وَلَاءَةُ الْبَيْتِ لَا تُنْكِرُونَهُ
لِنَبْغِي بِهِ الْحَمْدَ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ
فَكَيْفَ تَرَوْنَ—وَنَا وَعِزُّ قَنَاتِنَا
فَهِيَهَاتَ أَنِّي يَقْرُبُ الرُّكْنَ سَالِمٌ
فَإِمَّا تَخْلُونَا وَيِيَّتْ حِجَابِنَا
فَأَجَابَهُ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمُهَا
إِنَّا أَبِينَا إِلَى الْغَضَبِ ظَاهِرَةٌ
نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَيٌّ يَقَارِبُنَا
وَقَدْ أَرَى مُحَدِّثًا فِي حِلْفِنَا طُهْرًا
أَبَى لَنَا عِزْنَا مَاذَا أَرَادَ بِنَا
قَوْمٌ أَرَادُوا بِنَا خَسَفًا لِنَقْبَلَهُ
أَنَا أَبِينَا فَلَا نُؤْتِيكُمْ غَلِبًا
إِنَّا وَجَدَكَ لَا نُؤْتِيكُمْ سَلْبًا
نَحْنُ الْمُلُوكُ وَنَحْنُ الْأَكْرَمُونَ أَبَا
كَمَا تَرَى فِي حِجَابِ الْمَلِكِ مُحْتَجِبًا
قَوْمٌ أَرَادُوا بِنَا فِي حِلْفِهِمْ عَجَبًا
كَلَّا وَرَبِّكَ لَا نُؤْتِيهِمْ غَضَبًا

* أَبُو أُمِيَّةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ يَحْلُ مَشْكَلَةَ وَضْعِ الْحَجَرِ :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ : نَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : فَمَكِّثْتُ قُرَيْشَ أَرْبَعَ لَيَالٍ ، أَوْ خَمْسًا ، بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ فَتَشَاوَرُوا ، وَتَنَاصَفُوا ، فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ أَنَّ أَبَا أُمِيَّةٍ ، وَكَانَ كَبِيرًا ، وَسَيِّدَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلَفُونَ فِيهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ .

* الرَّسُولُ ﷺ يَضَعُ الْحَجَرَ وَيُنْهِي الْإِشْكَالَ :

فَلَمَّا تَوَافَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَرَضُوا بِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِمَا قَضَى بَيْنَنَا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : هَلُمُّوا ثَوْبًا ، فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّكْنَ فِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : لَتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوا جَمِيعًا ، فَرَفَعُوهُ حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ

رسول الله ﷺ بيده ، ثم بنى عليه (١) ، فكان رسول الله ﷺ يسمى في الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : كنت جالساً مع أبي جعفر محمد بن علي (٢) فمر بنا عبد الرحمن الأعرج ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فدعاه فجاءه فقال : يا أعرج ما هذا الذي تحدث به أن عبد المطلب هو الذي وضع حجر الركن في موضعه ؟ فقال : أصلحك الله حدثني من سمع عمر بن عبد العزيز يحدث أنه حدث عن حسان بن ثابت يقول : حضرت بنيان الكعبة ، فكانني أنظر إلى عبد المطلب جالساً على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن ، فكان هو الذي وضعه بيديه ، فقال : انفذ راشداً ، ثم أقبل عليّ أبو جعفر فقال : إن هذا الشيء ما سمعنا به قط ، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده ، اختلفت فيه قريش فقالوا : أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمين ، فحكموه ، فأمر بثوب فبسط ، ثم أخذ الركن بيديه ، فوضعه على الثوب ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية ، وارفعوا جميعاً ، فرفعوا جميعاً ، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه في موضعه بيده ثم بنى عليه .

* سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ، ونزل عليه الوحي بعد بناء الكعبة بخمس سنين ، وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة (٣) .

(١) ورد أن إبليس اللعين كان معهم في صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن - وهو شرفكم - غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟! فكاد يثير شراً فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك ، وأحمد الله كيد إبليس . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . الكليات الأهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين ابن الإمام علي كرم الله وجهه .

(٣) أما عن ارتفاع الكعبة وكسوتها ، فكانت على عهد رسول الله ﷺ ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تكسى القباطى (وهى ثياب بيض مصرية) ، ثم كسيت البرود (وهى ثياب مينة فيه لمع وسواد وبياض) وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف الثقفى .

* شعر الزبير بن عبد المطلب في الحية التي كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم سقفت فكان ذلك أول ما سقفت الكعبة ، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، فقال :

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعَقَابُ إِلَى الثُّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشُ تَهِينَا الْبِنَاءُ وَقَدْ تَهَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى الْبُنْيَانِ شَدَّتْ عَقَابٌ قَدْ يَظِلُّ لَهَا الضَّبَابُ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الرَّجْزَ جَاءَتْ لَنَا الْبُنْيَانُ لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَضَمْتَهَا إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَّتْ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتَّرَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ عَلَى بِنَاءٍ وَكَيْسَ عَلَى مَسَاوِينَا ثِيَابُ
غَدَاةَ نَرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِكُ بَنِي لُؤَيٍّ وَمرَّةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كَلَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ
فَبَوَّأْنَا الْمَلِيكَ بِذَلِكَ عَزًّا وَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي ذَلِكَ أَيْضًا :

لَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الْعَقَابِ عَجِيبٌ وَمَخْطَفُهَا الثُّعْبَانُ حِينَ تَدَلَّتْ
فَكَانَ مَدَى الْأَبْصَارِ آخِرَ عَهْدِنَا بِهَا بَعْدَمَا بَاتَتْ هُنَاكَ وَطَلَّتْ
إِذَا جَاءَ قَوْمٌ يَرْفَعُونَ عِمَادَهُ مِنْ الْبَيْتِ شَدَّتْ نَحْوَهُمْ وَاحْزَلَّتْ
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى ظَنَّنَا جَمَاعَةً بِأَنْ عَلَيْنَا لَعْنَةَ اللَّهِ حَلَّتْ
فَقُلْنَا جَمِيعًا قَدْ عَلِمْنَا خَطِيئَةَ فَعَسَى لَنَا وَالْحُلُمُ مِنْهَا أَضَلَّتْ
وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فِي بِنْيَانِ الْكَعْبَةِ وَشَأْنِ الْحِيَةِ :

لَقَدْ كَانَ فِي الثُّعْبَانِ يَا قَوْمُ عِبْرَةٌ وَرَأَى لِمَنْ رَامَ الْأُمُورَ عَلَى ذُعْرِ
غَدَاةَ هَوَى النَّسْرِ الْمَحْلُوقُ يَرْتَمِي بِهِ غَيْرَ حَمْدٍ مِنْكُمْ يَا بَنِي فَهْرٍ
عَلَى حِينٍ مَا ضَلَّتْ حُلُومُ سِرَاتِكُمْ وَخَفِئْتُمْ بِأَنْ لَا تَرْفَعُوا آخِرَ الدَّهْرِ

* إبطال مبتدعات الحُمس في الحج :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ حين أحكم أمره ، وشرع له سنن حجه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ (١) . الآية . يعنى قريشاً والناس العرب فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها ، والإفاضة منها ، وأنزل الله تعالى فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولباسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرّموا ما جاءوا به من الطعام من الحل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ * قل من حرم زينة الله ﴿ (٢) إلى آخر الآية . فوضع الله تعالى أمر الحُمس وما كانت قريش ابتدعت من ذلك على الناس فى الإسلام حين بعث الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ .

* الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم أنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عز وجل له (٣) .

* الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصرى ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصرى فيما وجدوا من صفته فى كتبهم وصفة زمانه لما كان فى عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأتيتهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقى العرب فيه بالا حتى بعثه الله عز وجل ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون ، فعرفوها .

(١) سورة البقرة : ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف : الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٣) للعلم جاء هذا الحديث بهذا السند سابقاً فى الفصل السابق وقد وضعت له هذا

العنوان أيضاً وقد أثبتناه كما وجدناه .

* قذف الجن بالشهب دليل مبعثه :

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل في العباد ^(١) يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع ﴾ إلى قوله : ﴿ أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ ^(٢) .

فلما سمعت الجن القول ^(٣) عرفت إنما منعت من السمع قبل ذلك له لئلا يشاكل الوحي شيء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله عز وجل وقطع الشبه ^(٤) ، فآمنوا وصدقوا : ﴿ ولوا إلى قومهم منذرين ﴾ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا ﴿ إلى آخر الآية .

وكان قول الجن : ﴿ إنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ إنه كان رجال من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر الرجل فنزل ببطن واد من الأرض لبيت به قال إني أعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة ، من شر ما فيه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض أهل العلم أن امرأة من

(١) روى في مآثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السماوات قبل عيسى ، فلما بعث عيسى أو ولد ، حجب - إبليس اللعين - عن ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد ﷺ حجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط .
مكتبة الكليات الأزهرية . (٢) سورة الجن : الآيات ١ - ١٠ .

(٣) أى : القرآن ، فهو قول الله تعالى .

(٤) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم وجد بظهور الإسلام ، لكنه قد كان قديما ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهليين مثل : أوس بن حجر ، بشر بن أبى خازم ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان فى الجاهلية قال نعم : ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وفى قوله تعالى ﴿ ملئت حرصا شديدا وشهبا ﴾ ولم يقل : حرصت دليل على أنه ، قد كان منه شيء ، فلما بعث النبى ﷺ ملئت حرصا شديدا وشهبا ، لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ، وتكون الآية أبين انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط .
الكليات الأزهرية .

بنى سَهْم يقال لها العَيْطَاجَة كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقض تحتها فقال : إذن من أذن يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها فقال : شعوب ما لشعوب تصرع فيه كعب لجنوب ، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ، فما عرفوا حتى كانت واقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبه .

نا أحمد : نا الحسن عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قال : كانوا إذا نزلوا وادياً قالوا : إنا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه قال : فيقول الجنيون تتعوذون بنا نحن لا نملك لأنفسنا ضرراً ولا نفعاً ! قال : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قال : فازدادوا عليهم جرأة .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان هذا الحى من الأنصار يتحدثون مما كانوا يسمعون من يهود من ذكر رسول الله ﷺ ، أن أول ذكر وقع بالمدينة ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، أن فاطمة أم النعمان بن عمرو ، أختى بنى النجار - وكانت من بغايا الجاهلية - وكان لها تابع ، فكانت تحدث أنه كان إذا جاءها اقتحم البيت الذى هى فيه ، اقتحاما على من فيه حتى جاءها يوماً ، فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع ، فقالت له : ما لك اليوم ؟ قال : بعث نبى بتحريم الزنا .

* ثقيف أول من فزعت برمى الجن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عقبة بن المغيرة ابن الأخنس عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه حدثه : أن رجلاً من ثقيف يقال له عمرو بن أمية ، وكان من أدهى العرب ، وكان يضمن برأيه على الناس ؛ قال يعقوب : فلما رمى بالنجوم ، كان أول حى فزع لها من الناس ثقيف فجاءوا إلى عمرو بن أمية فقالوا له : هل علمت بهذا الحدث الذى كان ؟ فقال : وما هو ؟ فقالوا : نجوم السماء يرمى بها ، قال : ويحكم انظروا فإن كانت هى المعالم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف لصلاح

معايش الناس ، فهو والله فناء الدنيا ، وفناء هذا الخلق ، وإن كان غيرها ، فهو لأمر حدث أراد الله عز وجل به هذا الخلق ، فانظروا ما هو (١) ؟ .

* الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم في رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال : حدثني رَهْطٌ من الأنصار قالوا : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، إذ رأى كوكبًا ، فقال ما تقولون في هذا الكوكب الذي رمى به ؟ فقلنا : يولد مولود ، يهلك هالك ، يملك ملك ، فقال رسول الله ﷺ : ليس كذلك ، ولكن الله عز وجل إذا قضى أمرًا في السماء سبَّحَ بذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم عن تحتهم من الملائكة ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى التسبيح إلى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم ؟ فيقولون : ما ندري ، سمعنا من فوقنا من الملائكة سبح فسبحنا الله عز وجل لتسبيحهم ، ولكننا نسل ، فيسألون من فوقهم ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى إلى حملة العرش ، فيقولون : قضى الله عز وجل كذا وكذا ، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى أهل السماء الدنيا فيسترق الجن ما يقولون ، فينزلون به إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم ، بتوهم منهم فيخبرون الناس ، فيكون بعضه حقًا ، وبعضه كذبًا ، فلم يزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب .

نا أحمد : نا يونس عن عمرو بن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ، فيستمعون الكلمة من الوحي ، فيهبطون بها الأرض ، فيزيدون معها تسعًا ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقًا والتسع باطلا ، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ، فمُنِعُوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس ، فقال : حدث في الأرض حدث ، فبعثهم ، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلين نخل ، فقالوا : هذا والله الحدث وإنهم ليرمون فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطئ أبدًا ، ولكنه لا يقتله ، يحرق وجهه وجنبه ويده .

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لَهَب عند فرعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلاله ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر ، هذا زمانه - أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ، فكان فيما يذكرون يقول أشعاراً يستبطن فيها خبر خديجة ، ويترث ما ذكرت له ، فقال ورقة بن نوفل :

أَتَبَكِّرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةُ رَائِحٌ وَفِي الصَّدْرِ مِنْ إِضْمَارِكَ الْحَزَنُ قَادِحٌ
لِفُرْقَةٍ قَوْمٌ لَا أَحَبُّ فِرَاقِهِمْ كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمٍ نَارِحٌ
وَأَخْبَارُ صِدْقٍ خَبَّرْتَ عَنْ مُحَمَّدٍ يُخْبِرُهَا عَنَّهُ إِذَا غَابَ نَاصِحٌ
فَتَاكِ الذِّى وَجَّهْتَ يَا خَيْرَ حُرَّةٍ بَغُورِي وَالنَّجْدِينَ حَيْثُ الصَّحَاصِحُ
إِلَى سَوْقٍ بُصْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ وَهُنَّ مِنَ الْأَحْمَالِ قُعُصُ دَوَالِحُ
فَخَبَّرْنَا عَنْ كُلِّ خَبَرٍ يَعْلَمُهُ وَلِلْحَقِّ أَبْـوَابٌ لَّهُنَّ مَفَاتِحُ
بَانَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ مُرْسَلٌ إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
وَوَظَّنِّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا كَمَا أُرْسِلُ الْعَبْدَانِ هُوْدٌ وَصَالِحُ
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يَرَى لَهُ بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ
وَمَتَّبِعُهُ حَيَا لُؤَى جَمَاعَةٍ شَبَابُهُمُ وَالْأَشْيَاءُ بُونَ الْجَحَاجِحُ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبَشِّرُ الْوَدِّ فَارِحُ
وِلَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَأَعْلَمِي عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ

حدثنا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : وكانت قريش حين رفعوا بنيان الكعبة وسقفوها يترافدون على كسوتها كل عام ، تعظيماً لحقها ، وكانوا يطوفون بها ، ويستغفرون الله عندها ، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك في ذبائحهم ودينهم كله ، وقد كان نفر من قريش : زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش ابن رثاب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم حليف بنى أمية ، حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك نفر إلى بعض ، وقالوا :

تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض ، فقال قائلهم : تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين إبراهيم عليه السلام وخالفوه ، ما وثن يُعبد لا يضر ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والممل كلاً ، والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

* ورقة بن نوفل يتنصر :

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب .

* زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية :

فلم يكن فيهم أعدل أمراً ، ولا أعدل شأناً من زيد بن عمرو بن نفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والممل كلاً إلا دين إبراهيم يوحد الله عز وجل ويخلع من دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه ، بادأهم بالفراق لما هم فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيد كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً ، عذت بما عاذ به إبراهيم ، وهو قائم ، إذ قال : أنفي لك عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم ، البر أبغى لا الخال - يقول : لا الفخر - ليس مهجر كمن قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني هشام بن عروة قال : رواني عروة بن الزبير أن زيد بن عمرو بن نفيل قال :

أَرَبًا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبِّ	أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا	كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبْرُ
فَلَا عُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْتِيهَا	وَلَا صَنَمِي بَنَى عَمْرُو أَدِيرُ

وَلَا غُفْمًا أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا
عَجِبْتُ وَفِي اللَّيَالِي مُعْجَبَاتُ
بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْنَى رَجَالًا
وَأَبْقَى آخَرِينَ بِيَوْمٍ قَوْمٍ
وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَعْثُرُ ثَابَ يَوْمًا
نَا أَحْمَدُ : نَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ :
وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ أَيْضًا :

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
إِذَا هِيَ سَيَقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالًا
لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا
أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالًا
لَهُ الرِّيحُ تُصْرِفُ حَالًا فَحَالًا

نَا أَحْمَدُ : نَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : وَكَانَ الْخَطَابُ بْنُ نُفَيْلٍ قَدْ آذَى زَيْدَ
ابْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ حَتَّى خَرَجَ عَنْهُ إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ ، فَتَزَلَّ حِرَاءَ ، مُقَابِلَ مَكَّةَ وَوَكَلَ بِهِ
الْخَطَابُ شَبَابًا مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ وَسَفَهَاءَ مِنْ سَفَهَائِهِمْ ، فَقَالَ : لَا تَتْرَكُوهُ يَدْخُلُ
مَكَّةَ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا سِرًّا مِنْهُمْ ، فَإِذَا عَلِمُوا بِذَلِكَ آذَنُوا بِهِ الْخَطَابَ ، فَأَخْرَجُوهُ
وَأَذَوْهُ كِرَاهِيَةً أَنْ يَفْسُدَ عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ ، وَأَنْ يَتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى فِرَاقِهِمْ ، وَكَانَ
الْخَطَابُ عَمَّ زَيْدَ ، وَأَخَاهُ لِأُمِّهِ ، وَكَانَ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ قَدْ خَلَفَ عَلَى أُمِّ الْخَطَابِ
بَعْدَهُ ، فَوُلِدَتْ لَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ الْخَطَابُ عَمُّهُ وَأَخُوهُ لِأُمِّهِ مَعَ سَنِهِ ، فَكَانَ
يُعَاتِبُهُ عَلَى فِرَاقِ دِينِ قَوْمِهِ حَتَّى آذَاهُ ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ يَعْظُمُ حَرَمَتَهُ عَلَى مَنْ
اسْتَحْلَ مِنْ قَوْمِهِ مَا اسْتَحْلَ :

اللَّهُمَّ إِنِّي مُحْرَمٌ لَا أَحِلُّهُ وَإِنْ بَيْتِي أَوْسَطُ الْمَحَلَّةِ

عِنْدَ الصِّفَا لَيْسَ بِذِي مَظْلَةٍ

نَا أَحْمَدُ نَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ
يُحَدِّثُ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ : إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ مَنْ عَابَ عَلَى الْأَوْثَانِ وَنَهَى عَنْهَا
وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الطَّائِفِ وَمَعِيَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى مَرَرْتُ بِزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ بِأَعْلَى
مَكَّةَ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ شَهَرَتْهُ بِفِرَاقِ دِينِهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، وَكَانَ بِأَعْلَى
مَكَّةَ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَمَعِيَ سَفَرَةٌ لِي فِيهَا لَحْمٌ يَحْمِلُهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنْ ذِبَائِحِنَا عَلَى

أصنامنا ، فقربتها له ، وأنا غلام شاب ، فقلت : كل من هذا الطعام أى عم ، قال : فلعلها أى ابن أخى من ذبائحكم هذه التى تذبحون لأوثانكم ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما إنك يا ابن أخى لو سألت بنات عبد المطلب أخبرتك أنى لا آكل هذه الذبائح ، فلا حاجة لى بها ، ثم عاب على الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها ، وقال : إنما هى باطل لا تضر ولا تنفع ^(١) أو كما قال .

قال : قال رسول الله ﷺ : فما تحسست بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ، ولا ذبحت لها حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هُشام عن أبيه قال : مر زيد بن نُفيل على رسول الله ﷺ وعلى زيد بن حارثة ، فدعواه إلى سفرة لهما ، فقال زيد : يا ابن أخى إنى لا آكل ما ذُبِحَ على النصب ، قال : فما رثى رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل شيئاً ذبح على النصب .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان زيد أجمع على الخروج من مكة يضرب فى الأرض ، يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، فكانت امرأته صفية ابنة الحضرمى كلما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده ، أذنت به الخطاب بن نفيل ، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب فى أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ، ويسأل عنه ، فلم يزل فى ذلك حتى أتى الموصل ، أو الجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام ، فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعته من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس علمه ، وذهب من يعرفه ، ولكنه قد أظلك خروج نبي يبعث بأرضك التى خرجت منها بدين إبراهيم ، الحنيفية ، فعليك ببلادك فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئاً منهما فخرج سريعاً - حين قال له الراهب ما قال - يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لخم ، عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل ، وكان قد اتبع مثل أثر زيد ، ولم يفعل فى ذلك ما فعل ، فبكاه ورقة فقال :

رَشِدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنَوُّراً مِنَ النَّارِ حَامِياً
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمَثَلِهِ وَتَرَكُّكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِيِّ كَمَا هِيََا

(١) لم يفعل ذلك قبلها ولا بعدها فهو فى حفظ الله وكلاءته من يوم ولد بل وقبل أن يولد .

وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سِتِينَ وَادِيًا

* ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفييل

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ،
أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن عمر بن الخطاب ،
وسعيد بن زيد قالوا : يا رسول الله نستغفر لزيد ؟ فقال : نعم ، فاستغفروا له ، فإنه
يبعث أمة وحده .

نا أحمد : نا يونس عن المسعودي عن نفييل بن هشام عن أبيه أن جده سعيد بن
زيد سأل رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال : يا رسول الله إن أبي زيد بن
عمرو كان كما رأيت ، وكما بلغك ، فلو أدركك آمن بك ، فاستغفر له ؟ قال :
نعم ، فاستغفر له فإنه يجيء يوم القيامة أمة وحده ، وكان فيما ذكروا يطلب الدين ،
فمات وهو في طلبه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان حين أراد الله عز وجل كرامة
نبيه ﷺ ورحمة العباد به واتخاذ الحجة عليهم ، والعرب على أديان مختلفة
متفرقة ، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرم ، وحج البيت ، والتمسك بما كان بين
أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ ، وهم يزعمون أنهم على ملته ، وكانوا يحجون
البيت على اختلاف من أمرهم فيه .

* من حديث الخمس :

فكانت الخمس : قريش وكنانة ، وخزاعة ، ومن ولدت قريش من سائر العرب
يُهلون بحجهم ، فمن اختلافهم أن يقولوا : لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو
لك ، تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون
ملكها بيده - يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم
مشركون ﴾ (١) ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة ، يقولون : نحن
أهل الحرم ، فلا نخرج منه ، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حُرماً ، وكان أهل نجد
من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة (٢) .

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتي في الفصل السابق أثناء الحديث عن الخمس ، ولكن

تركناه هنا كما في الأصول التي بين أيدينا .

* الرسول ﷺ والخلوة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئاً إلا جاءت كفلق الصبح . فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث ، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

* غار حراء ونزول الوحي :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الملك بن عبد الله ابن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله عز وجل كرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، فالتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة : السلام عليك ، رسول الله ، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة ينسك فيه ، وكان من نسك في الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذي أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها ، وذلك شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره ، وخرج معه بأهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله عز وجل فيها برسالته ، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : جاءني وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلت : وما أقرأ ؟ حتى ظننت أنه الموت ، ثم كسّطه عني فقال : اقرأ ، فقلت وما أقرأ ؟ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال : اقرأ فقلت : وما أقرأ ؟ وما أقولها إلا تنجياً أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال :

﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق ﴾ خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ ثم انتهى فانصرف عني ، وهببت من نومي ^(١) وكأنا صور في قلبى كتاب ، ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد - يعني نفسه ، ﷺ لشاعر أو مجنون ، ثم قلت : لا تحدث قريش عني بهذا أبداً ، لأعمدن إلى حائق من الجبل ، فلا طرحن نفسي منه ، فلاقتلنها ، فلاستريحن ، فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينا أنا عامد لذلك سمعت منادياً ينادي

(١) لم يكن نائماً على أصح الأقوال بل كان في كامل وعيه .

من السماء يقول: يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، رفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فوقفت أنظر إليه ، وشغلني عن ذلك وعما أريد ، فوقفت ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها ، فما زلت واقفاً ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا ، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذاها مضيقاً إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا ، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت : أعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك ، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما علم من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ، لعلك رأيت شيئاً أو سمعته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت : أبشر يا بن عم ، واثبت له ، فوالذي تحلف به إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها .

* ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء :

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد قرأ الكتب ، وكان قد تنصر ، وسمع التوراة والإنجيل ، فأخبرته الخبر ، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدوسٌ قدوسٌ ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ، إنه لنبي هذه الأمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام ، فقول لي فليثبت ، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة ، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقية ورقة وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخ أخبرني بالذي رأيت وسمعت ، فقص عليه رسول الله ﷺ خبره ، فقال ورقة : والذي نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام ، وإنك لنبي هذه الأمة ، ولتؤذين ، ولتكذبن ، ولتقاتلن ، ولتنصرن ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرك نصراً يعلمه الله ، ثم أدنى إليه رأسه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم .

نا أحمد : نا يونس عن قُرّة بن خالد قال : حدثني أبو رجاء العطاردي قال :
 أول سورة نزلت على محمد ﷺ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .
 * ورقة ينشد شعراً مدحاً في الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد بن
 عبد العزى بن قصي فيما كانت ذكرت له خديجة من أمر رسول الله ﷺ ، فيما
 يزعمون :

إِنَّ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةُ فَأَعْلَمِي
 وَجَبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعَهُمَا
 يَفُوزُ بِهِ مَنْ فَازَ فِيهَا بِتَوْبَةٍ
 فَرِيقَانِ مِنْهُمْ فَرَقَةٌ فِي جَنَانِهِ
 إِذَا مَا دَعَا بِالْوَيْلِ فِيهَا تَتَابَعَتْ
 فَسَبْحَانَ مَنْ تَهْوَى الرِّيحُ بِأَمْرِهِ
 وَمَنْ عَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا
 وَقَالَ وَرَقَةُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا :

يَا لِلرِّجَالِ لَصَرَفِ الدَّهْرِ وَالْقَدَرِ
 حَتَّى خَدِيجَةُ تَدْعُونِي لِأَخْبَرَهَا
 جَاءَتْ لَتَسْأَلَنِي عَنْهُ لِأَخْبَرَهَا
 فَخَبَرْتَنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتِ بِهِ
 بَأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ
 فَقُلْتُ عَلَّ الَّذِي تَرْجِيْنِ يَنْجِزُهُ
 وَأَرْسَلِيهِ إِلَيْنَا كَيْ نُسَائِلُهُ
 فَقَالَ حِينَ أَنَا نَا مَنْطِقًا عَجَبًا
 إِنِّي رَأَيْتُ أَمِيرَ اللَّهِ وَأَجْهَنِي
 ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الْخَوْفُ يَذْغُرْنِي
 فَقُلْتُ ظَنُّنِي وَمَا أَدْرِي أَيْصَدَّقْنِي
 وَسَوْفَ أَهْلِيكَ إِنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ
 وَمَا لَشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ
 وَمَا لَهَا بِخَفَى الْغَيْبِ مِنْ خَيْرِ
 أَمْرًا أَرَاهُ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ آخِرِ
 فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالْعُصْرِ
 جَبْرِيلُ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْبَشَرِ
 لَكَ الْإِلَهَ فَرُجِي الْخَيْرِ وَانْتَظِرِي
 عَنْ أَمْرٍ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ وَالسَّهْرِ
 يَقِفُ مِنْهُ أَعَالَى الْجِلْدِ وَالشَّعْرِ
 فِي صُورَةٍ أَكْمَلْتَ فِي أَهْيَبِ الصُّورِ
 مِمَّا يَسْلَمُ مَا حَوْلِي مِنَ الشَّجَرِ
 أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّورِ
 مِنَ الْجِهَادِ بَلَا مَنْ وَلَا كَدَرِ

حدثنا أحمد : نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عبد الله ابن أبي بكر عن جعفر قال كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة ، فتسرع إليه قبل أن ينزل عليه الوحي فكانت خديجة ابنة خويلد تبعث إلى عجوز بمكة ترقيه ، فلما نزل عليه القرآن فأصابه من العين نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة : يا رسول الله ألا أبعث إلى تلك العجوز فترقيك ؟ فقال : أما الآن فلا .

* الرسول يحدث عن نفسه :

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ، فقليل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عبيدة النضري قال : تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله ﷺ فأوطأهم رعاء الإبل غلبة ، فقال : ما أنتم يا رعاء النقد ، هل تحمون أو تصيدون ، ورسول الله ﷺ جالس ، فتكلم فقال : بعث موسى عليه السلام وهو راعي غنم ، وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت أنا ، وأنا راعي غنم أهلى بأجساد ، فغلبهم رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن عبيد بن عتبة العنزي عن وهب بن كعب بن عبد الله ابن سور الأزدي عن سلمان الفارسي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه ليس من نبي إلا وله وصي وسبطان فمن وصيك وسبطاك ؟ فسكنت رسول الله ﷺ لم يرجع شيئاً ، فانصرف سلمان يقول : يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا : مالك سلمان الخير ؟ فيقول سألت رسول الله ﷺ عن شيء ، فلم يرد علي ، فخفت أن يكون من غضب ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قال : ادن يا سلمان ، فجعل يدنو ويقول : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فقال : سألتني عن شيء لم يأتني فيه أمر ، وقد أتاني أن الله عز وجل قد بعث أربعة آلاف نبي ، وكان أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط ، فوالذي نفسي بيده لأنا خير النبيين ، وإن وصيي خير الوصيين ، وسبطاي (١) خير الأسباط .

(١) ومن المعروف أن سبطا رسول الله ﷺ هما سيدا شباب أهل الجنة الإمامان الحسن والحسين ابنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء من خير نساء العالمين رضى الله عنها . انظر مناقبهم جميعاً في فتح الباري كتاب مناقب الصحابة وكتاب « ريحانة الرسول الإمام الحسين » تأليف المحققين ط . العلم والإيمان بالحسين .

— ابن إسحاق — ١٩٥ —

آخر الجزء - يتلوه فى الثالث إن شاء الله : نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق
قال : ثم بعث الله عز وجل محمداً رحمة للعالمين وكافة للناس .
والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين
الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

jabir.abbas@yahoo.com

القسم الثالث

-

-

رَفِ
يُو
عَلَيْهِ
قَبْلَا
يُو
فِيهِ
كَتْ
وَأُ
وَالِ
الْك
أَرْبِ

فِي

أَرْبَعِ
وَعَطْ

يَعْتَكِ
فَإِذَا
فَيَطُو

jabir.abbas@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله

* أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ :

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النُّقُور البزاز - قراءة عليه وأنا أسمع - قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال : نا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال : ثم بعث ^(١) ، الله عز وجل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ، وكافة للناس ، وكان الله قد أخذ له ميثاقًا على كل نبي بعثه قبله ، بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم ﴾ ^(٢) إلى آخر الآية . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له والنصر له على من خالفه ، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين ، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة .

* ابتداء نزول الوحي :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان ^(٣) . بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه

(١) ورد في سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروى عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباص بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .
(٢) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

(٣) ذكر ابن هشام في سيرته أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله ﷺ كان يجاور - أي يعتكف أو يخلو بنفسه - في هذا الشهر في غار حراء من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين فإذا انتهى الشهر ، فأول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره يدخل الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله ثم يرجع إلى بيته .

ابن إسحاق —

القرآن ﴿^(١)﴾ إلى آخر الآية ، وقال الله تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ^(٢) إلى آخر السورة ، وقال : ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ ^(٤) ، وذلك «التقى» رسول الله ﷺ والمشركون ببدر .

* تاريخ غزوة بدر الكبرى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان ^(٥) .

نا أحمد : نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان ^(٦) .

نا أحمد : نا يونس عن قرة بن خالد قال : سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر ، فقال : كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول : هي وقعة بدر .

نا أحمد : نا يونس عن بسر بن أبي حفص الكندي الدمشقي قال : نا مكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال : ألا لا يغادرك صيام الإثنين ، وأوحى إلى يوم الإثنين ، وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين .

* تحديد ليلة القدر :

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : كنت عند عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده أصحابه ، فسألهم فقال : رأيتم قول رسول الله ﷺ في ليلة القدر «التمسوها في العشر الأواخر وترأ» أي ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم : ليلة إحدى ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث ، وقال بعضهم : ليلة خمس ، وقال بعضهم : ليلة سبع ، وأنا ساكت ، فقال :

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ . (٢) سورة القدر : الآية الأولى .

(٣) سورة الدخان : الآيات ١ - ٣ . (٤) سورة الأنفال : الآية ٤١ .

(٥) وكانت في السنة الثانية من الهجرة المباركة ، ونصر الله رسوله وجنده ، وكان عددهم قليلا لا يجاوز الثلاثمائة ، وعدد المشركون أضعافهم ، وأنزل فيهم قوله : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ .

(٦) كان حق الحديث عن غزوة بدر ألا يأتي هنا نظراً للترتيب الزمني للأحداث لأنها وقعت بعد الهجرة للمدينة المنورة في السنة الثانية من الهجرة ولكنه بمناسبة ذكره لنزول القرآن وغزوة بدر في شهر رمضان .

— ابن إسحاق — ٢٠١ —

مالك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتني ألا أتكلم حتى يتكلموا ، فقال : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم ، فقال : إني سمعت الله يذكر السبع فذكر : ﴿ سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ ^(١) ، وخلق الإنسان من سبع ، ونبات الأرض من سبع ، فقال عمر : هذا أخبرني ما أعلم ، أرأيت ما لا أعلم قولك نبات الأرض من سبع ؟ قال : قلت : قال الله : ﴿ شققنا الأرض شققاً ﴾ فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخللاً * وحدائق غلباً ﴾ « فالحدائق غلباً » الحيطان من النخل والشجر ، ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ ^(٢) ، قال : الأب ما أنبت الأرض مما تأكل الدواب والأنعام ولا يأكل الناس ، فقال عمر لأصحابه : أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع له شؤون رأسه ، والله إني لأرى القول كما قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تمام الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله ومصدق لما جاءه ، قد تقبله بقول ، وتحمل منه ما حملة الله على رضا العباد وسخطهم ، وللنبوة أثقال ومؤونة ^(٣) لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاء به من عند الله تعالى .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه وهو في مسجد مني ، وذكر له يونس النبي عليه السلام فقال : كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال ، فلما حملت عليه تفسخ تحتها تفسخ الربع ^(٤) تحت الحمل الثقيل ، فآلقاها عنه وخرج هارباً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله رضي عنها .

*** الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة

(١) سورة الطلاق : الآية ١٢ . (٢) سورة عبس : الآيات ٢٦ - ٣١ .

(٣) أي مؤنة ، وهي التعب والشدة . (٤) أي الحمل الصغير .

العباد به لا يرى شيئاً إلا جاءت كفلق الصبح ^(١) ، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث ، وحجب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده ^(٢) .

*** الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه :**

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبي ميسرة عمر بن شريحيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي أسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر ، فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، فلما دخل أبو بكر رحمه الله . وليس رسول الله ﷺ ، ثم ذكرت خديجة حديثه له ، فقالت : يا عتيق ^(٣) اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده : فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة .

* بين الرسول وورقة بن نوفل :

فانطلقا إليه فقصا عليه ، فقال : إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هارباً في الأرض ، فقال له : لا تفعل إذا أتاك فائتبت حتى تسمع ما يقول ، ثم اتنتى فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله رب العالمين ﴿ حتى بلغ ﴾ ولا الضالين ﴿ ^(٤) قل : لا إله إلا الله ، فاتى ورقة فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد

(١) أى تحققت كوضوح النهار ، والرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً من النبوة قالت عائشة رضي الله عنها ، أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ؛ فجاء الملك فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ أخرجه البخارى ، وعلى هذا فكما قال معظم المفسرين إن أول ما نزل من القرآن : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ ولمزيد من المعرفة انظر تفسير القرطبي ١٠ / ٧٤٥٧ ط . دار الغد العربى .

(٢) ورد أيضاً دليلاً على نبوته ﷺ غير الرؤيا الصادقة ، تسليم الحجارة والشجر عليه ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان ذلك قبل بعثه ، وقال ﷺ : « إني لأعرف بمكة حجراً كان يسلم على قبل أن ينزل على » ذكر بعض الرواه أنه الحجر الأسود .

(٣) عتيق : اسم سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وورد فى سيرة ابن هشام أن خديجة هى التى ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه القصة ، وأن ورقة قابل رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة فطلب منه أن يخبره بما رأى ، وما سمع فأخبره ثم أخبره أنه نبى هذه الأمة ثم قبل يافوخه ، وأخبره أن قومه سيكذبونه ويؤذونه ويخرجونه ويقاتلونهم ولئن عاش لينصرنه .

(٤) سورة الفاتحة : الآيات ١ - ٧ .

— ابن إسحاق — ٢٠٣ —

أنتك الذى بشر بك ابن مريم ، وأنتك على مثل (١) ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك ؛ فلما توفى ورقة قال رسول الله : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى - يعنى ورقة » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ساء أخ لورقة ، فتناول الرجل ورقة فسبه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لأخيه : هل علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه .

*** تثبت خديجة رضيها من الوحي وإيمانها بالرسول ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير ، أنه حدث عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ ، فيما تثبته به ، فيما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، فقالت : إذا جاءك فأخبرنى ، فبينما رسول الله ﷺ عندها يوماً ، إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله ﷺ ، فقال : يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى ، فقالت أترأه الآن ، فقال نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيسر فجلس ، فقالت هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، فتيحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا ، قالت : ما هذا الشيطان ، إن هذا لملك يا ابن عم فائت ، وأبشر ، ثم آمنت به ، وشهدت أن الذى جاء به الحق (٢) .

(١) الناموس : أى الوحي ، وقال بعض العلماء : صاحب سر الملك ، أو صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .

(٢) كانت نبيها ، أول من آمنت بالرسول ، من النساء ، وصدقته ، وصدقت بما جاءه من الله ، وآزرته ، وكانت حقاً نعم الزوجة ، ضربت أروع مثال لخير زوجة ، ونموذج نسائي فريد للزوجة الوفية المخلصة التى ضحت بالغالى والثمين وبكل ما تملك ، ووقفت بجانب زوجها ، فاستحقت أن تكون خير نساء العالمين ، واستحقت بشارة الله لها على لسان الرسول ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة ، من قصب - أى لؤلؤ مجوف - لاصخب فيه ولا نصب - أى لا تعب فيه » . فيا ليت نساء المسلمين يتأسين بها ويقتدين بها ، فكانت بحق أعظم زوجة وأعظم أم رضيها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت عبد الله بن الحسن ^(١) هذا الحديث ، فقال : قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت ؟ فقال : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى عن رجل عن سعيد بن المسيب قال : نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ونزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشراً ^(٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به .

* الرسول من أولى العزم من الرسل ^(٣) :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ ^(٤) : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء ، وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم ، عليهم السلام ورحمة الله ، قال نوح : ﴿ يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله ﴾ ^(٥) إلى آخرها ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال هود حين قالوا : ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون ﴾ ^(٦) فأظهر لهم المفارقة ، وقال عن إبراهيم : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم ﴾ ^(٧) إلى آخر الآية ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال محمد : ﴿ إني نهيت

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

(٢) وهذا هو المشهور والمتواتر المجزوم بصحته ، وما عليه الأئمة وغالبية العلماء .

(٣) أولى العزائم : أى أصحاب الشدة والصبر وقوة التحمل وهم أعلى مراتب الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام .

(٥) سورة يونس : الآية ٧١ .

(٤) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ .

(٧) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

(٦) سورة هود : الآية ٥٤ .

— ابن إسحاق — ٢٠٥ —

أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴿١﴾ فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة ، فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة .

* انقطاع الوحي ونزول سورة « الضحى » :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة ^(٢) من ذلك حتى شق عليه وأحزنه ، ثم قال فى نفسه مما أبلغ ذلك منه : لقد خشيت أن يكون صاحبى قد قلانى وودعنى ، فجاء جبريل بسورة « والضحى » ، يقسم له به ، وهو الذى أكرمه : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ فقال ﴿ والضحى ﴾ * والليل إذا سجى ﴿ يقول : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ما صرمك وتركك وما قلى : ما أبغضك منذ أحبك ، ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ أى ما عندى من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا ، ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ من الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ يعرفه ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ومنه عليه فى يتمه وعيسته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ * وأما السائل فلا تنهر ﴿ لا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فاحشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أى بما جاء من الله من كرامته ونعمته من النبوة ، فحدث : اذكرها وادع إليها ، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة أنها قالت : لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعاً شديداً ^(٣) ، فقلت له مما رأيت من جزعه : لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك ، فأنزل الله ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ .

* الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته :

نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا ﴾ إلى قوله : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ ^(٤) .

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٦ .

(٢) كانت فترة انقطاع الوحي سنتين ونصف تقريباً .

(٣) أي حزن حزناً شديداً . (٤) سورة مريم : الآية ٦٤ .

* جبريل يعلم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة ^(١) ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين ماء مزن ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ومحمد ينظر إليه ، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ، ونضح فرجه ، ثم قام فصلى ركعتين ، وسجد أربع سجعات على وجهه .

* الرسول ﷺ يعلم خديجة الوضوء والصلاة :

ثم رجع النبي ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات هو وخديجة ، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين ، ثم أكملت أربعاً ، وأثبتت للمسافر . قال : فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال لعروة : حدثتني أن عائشة كانت تصلي في السفر أربعاً ، فجاء عروة فقلت في نفسي لا يكون هذا بي ، فسألته عن الحديث ، فحدثه ، فقال عمر : ما أدري ما أحاديثكم هذه ! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبتت للمسافر وأكملت للمقيم أربعاً .

نا يونس عن سالم مولى أبي المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى مثنى مثنى ^(٢) ، ثم صلى رسول الله ﷺ أربعاً فصارت سنة ، وأقرت الركعتين للمسافر وهي تمام .

* * *

(١) والصلاة هي أول ما فرض على الرسول ﷺ - وذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه : ركعتين ، ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله أمها في الحضر أربعاً وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

(٢) يبدو والله أعلم أن هذه اللفظة زائدة وقد تكون تكرار خطأ من الناسخ لأن الصواب مثنى مثنى « أي اثنتين اثنتين ، فلا داعي لهذه الثالثة ، ويؤيد كلامنا الروايات السابقة لهذه الرواية .

إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

* الرسول ﷺ يعرض الإسلام على علي رضي الله عنه :

نا أحمد: حدثني يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان ، فقال علي : ما هذا يا محمد ؟ فقال النبي ﷺ : دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ، فقال له علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا علي إذا لم تسلم فاكم ، فمكث علي تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام ، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال : ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد^(١) ، ففعل علي وأسلم ، ومكث علي يأتيه علي خوف من أبي طالب ، وكنتم على إسلامه ولم يظهر به .

وأسلم زيد بن حارثة^(٢) فمكث قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ .

ﷺ

• علي ينشأ في كنف الرسول :

وكان مما أنعم الله به علي علي أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام^(٣) .

(١) جمع ند، وهو الشريك، والله واحد لا شريك له، ولا شريك معه، سبحانه وتعالى .

(٢) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبي ، مولى رسول الله ﷺ وكان

أول من أسلم وصلى بعد علي .

(٣) ذكر ابن هشام في سيرته أن ابن إسحاق قال : إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله - وكان ذلك قبل البعثة - للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما عنه ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما : إذا تركتمالي عقيلاً فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس : جعفرًا فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول =

* سن عليّ عند إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح - قال : أراه عن مُجاهد - قال : أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ^(١) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - قال : حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف أنه قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت أيام مني ، أيام الحج ، وكان العباس ابن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ؛ قال فينا نحن إذ خرج رجل من خباء ^(٢) يصلي فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة ، فقامت تصلي معه ، وخرج غلام ، فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ما هذا الدين ، إن هذا الدين ما ندري ما هو ؟ فقال العباس : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقبصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به ؛ قال العفيف : فليتنى آمنت يومئذ وكنت أكون ثانياً .

نا يونس عن يوسف بن صهيب عن عبد الله بن بُريدة قال : أول الرجال إسلاماً علي بن أبي طالب ثم الرهط ^(٣) الثلاثة : أبو ذرّ ، وبُرَيْدة ، وابن عمّ لأبَي ذرّ .

* * *

= الله حتى بعثه الله تعالى نبياً فاتبعه علي ، وآمن به ، وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه . وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(١) وكان كرم الله وجهه أول من آمن بالرسول من الغلمان ، أي الصبية .

(٢) أي خيمة .

(٣) الرهط : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ^(١)

* الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبي بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن أبا بكر لقي رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آبائنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر إني رسول الله ونبيه ، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق أدعوك إلى الله يا أبا بكر ، وحده لا شريك له ، ولا يعبد غيره ، والموالة على طاعته أهل طاعته ، وقرأ عليه القرآن ، فلم يفر ، ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

* استجابته الفورية للإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة ^(٢) وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

* إعلانه الإسلام رضى الله عنه :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتدأ أبو بكر أمره ، وأظهر إسلامه ، ودعا الناس ، وأظهر على وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش . وكان أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ، زوجته ، ثم كان أول ذكر آمن به علي ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم .

(١) هو : أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبيه ، عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة .

* إيلاف قريش له :

فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مألَفًا لقومه ، مُحِبًّا سَهْلًا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ^(١) ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يَغشاه ويجلس إليه .

إسلام خمسة على يديه :

فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعهم أبو بكر ، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، وبما وعدهم الله من كرامة فآمنوا ، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلُّوا وصدقوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى .

* * *

(١) قيل سمي عتيقاً لعتاقة وجهه وهو الحسن .

إسلام أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١)

* ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه :

نا يونس عن يوسف بن صُهَيْب عن عبد الله بن بُريدة قال : انطلق أبو ذر وبريدة ، معهما ابن عم لأبي ذر يطلبون رسول الله ﷺ ، وهو بالجبل مكتتم بطائفة من مكة ، وأتوه وهو نائم في الجبل مسجاً (٢) بثوبه ، خارجة قدميه ، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس قدماً ، فقال أبو ذر : إن كان نبي بهذه البلاد فهو هذا النائم ، فمشوا حتى قاموا عليه ، ومع أبي ذر عصاً يتوكأ عليها ، فقال أبو ذر : أنائم الرجل ، وكان رسول الله ﷺ نائماً ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم نادى أبو ذر : أنائم الرجل فلم يجبه ، ثم أعاد عليه أبو ذر : أنائم الرجل وغمز بعصاه في باطن قدم رسول الله ﷺ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال له أبو ذر : يا محمد أتيناك لنسمع ما تقول ، وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فأمن به أبو ذر وصاحبه وكان علي رضي الله عنه في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها .

* خيرية أمة محمد :

نا يونس عن جعفر بن حيان عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : أنتم توفون بسبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

* صفة رسول الله ﷺ في التوراة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن ثابت بن شريحيل عن أم الدرداء قالت : قلت لكعب الحبر : كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة ؟ قال : نجده محمداً رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّاب (٣) في الأسواق ، وأعطى المفاتيح ليصر الله به أعياناً عوراً ، ويسمع به آذاناً وقرأ (٤) ، ويقيم به ألسناً معوجة ، حتى تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه .

(١) هو أبو ذر الغفاري نسبة إلى قبيلة غفار .

(٢) أى مُغطى .

(٣) جاء هذا الحديث في صحيح البخاري بلفظ ولاصخاب .

(٤) الوقر ثقل في الأذن .

* أسماء رسول الله ﷺ :

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن
أبي موسى قال سمي لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، قال : أنا
محمد وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة والملحمة .

* صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل :

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت :
لرسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق
ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح (١) .

* منزلة أمة محمد :

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن زياد مولى مصعب عن الحسن قال :
قال رسول الله ﷺ : مضت تسع وستون أمة وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها
وأكرمها على الله .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : أخبرني الزهري عن محمد بن جبير
ابن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لي خمسة أسماء : أنا
محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا العاقب ، وأنا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدميه .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق ذكر أنه ورد عن عيسى عليه السلام . في الإنجيل
مخاطباً أهل الإنجيل قائلاً : « فلو قد جاء المنحمن ، هذا الذي يرسله الله إليكم من عند
الرب ، وروح القدس ، هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد على ، وأنتم أيضاً - أي
شهيد عليكم - لأنكم قديماً كنتم معي في هذا ، قلت لكما لكيما تشكوا » المنحمن بالسريانية :
أي محمد .

إِسْلَامُ الْمُهَاجِرِينَ ﷺ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم انطلق أبو عبيدة بن الحارث ، وأبو سلمة ^(١) بن عبد الأسد ، وعبد الله بن الأرقم المخزومي ^(٢) ، وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور .

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أخو بني عدي بن كعب ، وامراته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر وهى صغيرة ، وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون الجمحيان ، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة ، وعمير بن أبي وقاص الزهرى ^(٣) وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة ، ومسعود بن القارى وسليط بن عمرو أخو بني عامر بن لؤى ، وعيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي وامراته أسماء بنت سلامة بن مخزومة التميمي ، وخنيس بن حذافة السهمي ، وعامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب ، وعبد الله بن جحش الأسدي ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب وامراته أسماء بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث الجمحي وامراته أسماء بنت المحلل أخت بني عامر بن لؤى ، والخطاب بن الحارث وامراته فكيهة بنت يسار ، ومعمربن الحارث بن معمر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطالب بن أزهري بن عبد عوف الزهرى

(١) أبو سلمة أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، كان من السابقين للإسلام وهاجر هو وامراته إلى الحبشة وإلى المدينة ، مات بعد أحد ، وخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة .

(٢) من السابقين الأولين إلى الإسلام ، اتخذ الرسول ﷺ - داره مدرسة يلتقى بها بأصحابه يعلمهم القرآن وتعاليم الدين الخفيف وقواعد الإسلام الصحيح .

(٣) أخو سعد بن أبي وقاص أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا قتله عمرو بن ود الذى قتله سيدنا على في غزوة الخندق .

وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن صبير بن سعد بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن أسد أخو بني عدى بن كعب ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ^(١) ، وخالد ابن سعيد بن العاص وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤى ، وأبو حذيفة بن عقبة ^(٢) بن ربيعة ، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمي حليف بني عدى بن كعب ، وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعافل بن البكير ، وإياس ابن البكير بن عبد الله بن ناشب من بني سعد بن ليث ، حلفاء بني عدى بن كعب ، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم ، وصهيب بن سنان حليف بني تميم .

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به ، فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش ، وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادوه ^(٣) العداوة ، وطلبوا له الخصومة منهم : أبو جهل بن هشام ، وأصحابه وأبو لهب ^(٤) ، وعبيد بن عبد يغوث ، وعمرو بن الطلائع ، والوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، وأميرة بن خلف ، وأبي بن خلف ، وهو الذي أصاب وجه رسول الله ﷺ بمكة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الأسلت والحُضَيْن ، أو الحُضَيْر بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والسائب بن صيفي بن عائذ ، والأسود بن عبد الأسد ، والعاصي ابن سعيد ، وعقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو العاصي بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبو الأشد الهذلي ، نطحته أروى فسقط فتقطع ، والحكم بن أبي العاصي ، وعدى بن جبر الثقفي ، وزمعة بن الأسود .

وكان الذين يؤذونه : أبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاصي ، وعدى بن جبر الثقفي ، ورجل آخر .

- (١) أسلم وهو عبد فاوذي في الله كثيرا فاشتراه سيدنا أبو بكر وأعتقه ، وكان له دور كبير في هجرة النبي ﷺ .
- (٢) ذكر ابن هشام أن اسمه مهشم ، وقد أسلم مبكرا وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا ، وكان له موالى منهم سالم الذي كان يسمى سالم مولى أبي حذيفة ، وكان حافظا للقرآن .
- (٣) أي أظهروا وأعلنوا له العداوة .
- (٤) وكان عم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيه سورة وبين فيها عقابه في الآخرة هو وزوجته أم جميل - تبت يدا أبي لهب وتب .

قوله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

* أمر الله رسوله بتبليغ دعوته :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الذي تنتهى إليه عداوة رسول الله ﷺ ، ويجتمع إليه فيها أبو جهل ، حسداً وبغياً ، لما خص الله به رسوله ﷺ من كرامته .

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع (٢) بما جاء به ، وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو إلى الله تعالى ، وكان ربما أخفى الشيء ، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره ، فلبث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون ﴾ (٤) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضيه الله عنه قال : لما نزلت هذا الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ قال رسول الله ﷺ : عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ، فصمت (٥) عليها ، فجاءني جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك ، قال علي : فدعاني رسول الله ﷺ فقال : يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي (٦) الأقربين فعرفت أني إن بادأتهم

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٢) الصدع : أي التفريق بين الحق والباطل ، اصدع بما تؤمر : أي بالذي تؤمر لكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ههنا أحسن من ذكرها ، لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه (الذي) وقولهم (ما) مع الفعل بتأويل المصدر راجع إلى معنى الذي إذا تأملته وذلك أن (الذي) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية انظر الروض : الأنف ٢ / ٦ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ . (٤) سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ - ٢١٦ .

(٥) أي سكت وما كان لرسول أن يسكت عما أمر به فإنه يجب عليهم التبليغ .

(٦) عشيرة الرجل بنو أبيه الأقربون وقبيلته .

بذلك رأيت منهم ما أكره ، فصمت عن ذلك حتى جاءني جبريل ^(۱) فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك ، فاصنع لنا يا على رجل شاة على صاع من طعام ؛ وأعد لنا عسّ لبن ، ثم اجمع بنى عبد المطلب ففعلت ، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشققها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها ، ثم قال : كلوا باسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، فما رأى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ : اسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعاً ، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال : لهد ^(۲) ، ما سحركم صاحبكم ! ففرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ يا على عد لنا بمثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم ، ففعلت ، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وإيم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها ، ويشرب مثله ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة ^(۳) .

* الرسول ﷺ يصف نزول الوحي عليه :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال : كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال

(۱) جبريل عليه السلام هو سفير الله لرسوله ، وحامل الوحي إليهم ، واسم جبريل سريانى ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً . وذهب بعض العلماء إلى أن : جبر اسمه ، إيل : اسم الله .

(۲) ربما تكون « صه » بمعنى اسكت .

(۳) أورد ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال . وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ

أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين .

رسول الله ﷺ : كل ذلك يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشقه (١) على ، فيفصم عنى قد وعيته ، ويتمثل لى الملك أحياناً فى صورة رجل (٢) فيكلمنى فأعنى ما يقول .

نا يونس عن عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي ثقل عليه ، وتربّد له جلده ، وأمسك الناس عن كلامه .
نايونس عن عمرو بن ذر عن مجاهد قال : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء (٣) .

* الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح :

نا يونس عن أبى معشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، سلونى من مالى ما شئتم ، واعلموا أن أول آت يوم القيامة المتقون ، فإن تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذاك وإياى لا يأتون الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد وجهى عنكم ، فتقولون : يا محمد ، فأقول هكذا - فصرف وجهه ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر .

* خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا

(١) أى أشده عليه ، قيل لأنه يستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، والقلن لما يلقى .

(٢) كان جبريل يأتيه فى صورة رجل هو : دحية بن خليفة الكلبي ، وورد أيضاً أنه كان يأتيه أيضاً فى صورته التى خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

(٣) وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان يخصص يوماً للنساء فى المسجد يلتقى بهن ويقرأ عليهن القرآن ويشرح لهن أمور الدين ويحييهن على أسئلتهن ، وذلك أن النساء قلن للرسول ﷺ لقد غلبنا الرجال فاجعل لنا يوماً يا رسول الله ، فوافق الرسول ﷺ - وجعل لهن يوماً ، ومن هنا رأى العلماء ضرورة تخصيص يوم للنساء بالمساجد لتعليمهن أمور دينهن ، وقد وفق الله الأزهر الشريف بأن خصص بعض مساجد الأوقاف ليقام فيها دروس للسيدات وذلك فى كل أنحاء الجمهورية منذ أربعين عاماً ومستمر حتى اليوم بفضل الله ويقوم علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف بإعطاء هذه الدروس للسيدات حمى الله الأزهر الشريف بعلمائه منارة لمصر .

صلوا ذهبوا إلى الشُّعَاب ، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ^(١) وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، واقتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى ^(٢) بعير فشجه ^(٣) ، فكان أول دم أهرق في الإسلام .

* عداوة قومه ومساندة أبي طالب له :

فلما رأت قريش رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا عمه أبا طالب قد حذب ^(٤) عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فيهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، وأبو البختري ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، والعاصي بن وائل ، ومنبه ونيه ابنا الحجاج ، أو من مشى فيهم .

* وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعل ابن أخيه :

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آبائنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال أبو طالب قولاً رقيقاً ، ورد رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

* الرسول ﷺ يستمر في دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين :

ومضى رسول الله على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم إن قريشاً تأمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب ^(٥) ، وقد قال أبو طالب ، حين رأى قريشاً تصنع ما

(١) أي أنكروا عليهم فعلهم . (٢) لحى البعير : العظم الذي عليه الأسنان .

(٣) أي جرحه . (٤) أي عطف عليه ورق له .

(٥) والحق يقال إن أبا طالب ظل يدافع عن رسول الله ﷺ ويناصره حتى مات ولم يصب النبي ﷺ أذى إلا بعد موته ولذلك لما مات ثم بعد بفترة قليلة ماتت السيدة خديجة رضيها ﷺ سمي الرسول ﷺ ذلك العام ، عام الحزن ، الحزن على أعز نصيرين عمه وزوجته ومن مآثر أبي طالب الحميدة ، ودليل مساندته للرسول ما أنشده من شعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب ، وهو يحرض بني هاشم ، وإنما كانت بنو المطلب تدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذي كان بين بني هاشم وبين بني المطلب دون بني عبد مناف ، فقال :

حَتَّى مَتَى نَحْنُ عَلَى فِتْنَةٍ يَدْعُونَ بِالْخِيَلِ عَلَى رَقَبَةٍ
يَا هَاشِمُ وَالْقَوْمُ فِي مَحْفَلٍ كَالرَّحْبَةِ السَّوْدَاءِ يَغْلُو بِهَا
مِنَّا لَدَى الْخَوْفِ وَفِي مَعَزَلٍ عَلَيْهِمُ النَّزْكُ عَلَى رَعْلِهِ
سُرْعَانُهَا فِي سَبَسَبٍ مُجْفَلٍ يَا قَوْمِ ذُودُوا عَنْ جَمَاهِيرِكُمْ
مِثْلَ الْقَطَا الشَّارِبِ الْمُهْمَلِ وَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي فِتْنَةٍ
بِكُلِّ مَفْضَالٍ عَلَى مَسْبَلٍ عِنْدَ الْوَغَا فِي عَثِيرِ الْقَسْطَلِ

فلما اجتمعت بنو هاشم وبني المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشاً لن يعادوه معهم قال أبو طالب ، وبادى قومه بالعداوة ، ونصب لهم الحرب فقال :

مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بِيضٌ تَلَأْلَأَ كَلَمْعُ الْبُرُوقِ
بِضْرَبٍ يَزْبِرُ دُونَ التَّهَابِ حَذَارِ الْبَوَادِرِ كَالْخُنْفَقِيقِ
أَذْبُ وَأَحْمَى رَسُولَ الْمَلِكِ حِمَايَةِ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقُ
وَمَا إِنْ أَدَبٌ لَأَعْدَائِهِ دَيْبِ الْبَكَارِ حَذَارِ الْفَنِيقِ
وَلَكِنْ أَزَارَ لَهُمْ سَامِيًا كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيلَ مَضِيقِ

* شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته :

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم معه ، وحدثهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ، ومكانه منهم ليشدد لهم رأيهم فيه ، وليحدثوا معه على أمرهم ، فقال أبو طالب :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِفَخْرِ
وَأِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدٍ مَنَافِهَا
وَأِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنْ مُحَمَّداً
تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غُثًّا وَسَمِينُهَا
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظِلَامَةً
وَنَحْمِي حِمَاها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ
فَعَبِدَ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
فَفَى هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا
هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمِهَا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا
إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا
وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا

* أَبُو طَالِبٍ يَسْخَرُ مِنْ أَبِي لَهَبٍ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه ، ونصب لعداوة رسول الله ﷺ مع من نصب له ، وكان أبو لهب للخزاعية ، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزيبر لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فغمزته أبو طالب بأُمُّ له يقال لها اسمَاحِيج ، وأغلظ له في القول :

مُسْتَعْرِضُ الْأَقْوَامِ يُخْبِرُهُمْ
فَاجْعَلْ فُلَانَةً وَأَبْنَاهَا عِوَضًا
وَأَسْمَعَ نَوَادِرَ مِنْ حَدِيثِ صَادِقٍ
إِنَّا بَنُو أُمِّ الزُّبَيْرِ وَقَحْلُهَا
فَحَرَمْتُ مِنَّا صَاحِبًا وَمَوَازِرًا
وَإِنِّي جَنِينًا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ
أَخَائِقَةُ لِلنَّائِبَاتِ مَوْرًا (١)
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَا
فَيَا كُفْرًا لَنَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا
فَيَا كُفْرًا لَنَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا
فَيَا كُفْرًا لَنَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا

* أَبُو طَالِبٍ يَعلنُ لِقُرَيْشٍ تَمْسِكُهُ بِنَصْرِ ابْنِ أَخِيهِ :

قال : فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ ، واجتمعت قريش على عدوانه وخلافه ، قال أبو طالب في ذلك :

سَوَى أَنْ مُنْعَنَا خَيْرٌ مِنْ وَطِئِ التُّرْبَا
كَرِيمًا ثَنَاهُ لَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا
فَيَا كُفْرًا لَنَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا
فَيَا كُفْرًا لَنَا لَيْمًا وَلَا ذَرْبًا

(١) أى سريع الإجابة .

وَأَنْ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَإِلْفَةٍ أَحَابِيشَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَرَهْطُ أَبِي يَكْسُومُ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءٌ غَيْرُهُ لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ لَنَا سِرْبَا

* الوليد بن المغيرة يكيد للرسول :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال : يا معشر ^(١) إنه قد حضر الموسم ^(٢) ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ^(٣) ، فاجمعوا فيه رأيا واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به ، فقال : بل أنتم : قولوا أسمع ، فقالوا : نقول : كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزممة الكاهن وسجعه فقال : نقول مجنون ، فقال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، فقالوا : نقول : شاعر ، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه ^(٤) وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفته ولا عقده ^(٥) ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، إن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنا ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : ساحر : فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء

(١) في سيرة ابن هشام « يا معشر قريش » ويبدو أنها سقطت هنا لأن الكلام لا

يستقيم بدونها .

(٢) أي موسم الحج ، وكان الناس في الجاهلية يأتون الكعبة ويطوفون بالأصنام

ويذبحون لها تقرباً .

(٣) يقصد رسول الله ﷺ .

(٤) في ابن هشام « لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه » ،

انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٤٣ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٥) العقد والنفت : هو أن يعقد الساحر خيطاً وينفث فيه بغمه .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، ففترقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .
• القرآن يرد على الوليد :

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ إلى قوله : ﴿ سأصليه سقر ﴾ ^(١) ، وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه يصتفون ^(٢) له القول في رسول الله ﷺ وفيما جاء به من عند الله تعالى : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي أصنافاً : ﴿ فوربك لنسننهم أجمعين ﴾ ^(٣) أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها ^(٤) .

نا يونس عن أبي معشر عن محمد بن قيس في قوله : ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة ﴾ ^(٥) قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : إن ما تقول حق ، فوالله إن قلوبنا لفي أكنة منه ما نعقله ، وفي آذاننا وقر فما نسمعه ، ومن بيننا وبينك حجاب فما ندرى ما تقول .

* قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب بدل محمد :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب أبي خُذْلان رسول الله ﷺ ، وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك ، وعدوانهم ، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له فيما بلغنا : يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عمارة بن الوليد جمالاً ، وشباباً ، ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولدًا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين أخيك هذا الذي فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه ، وسفّه أحلامهم ، فإنما رجل كرجل لنقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة ، وأفضل في عواقب الأمور مغبةً ، فقال

(١) سورة المدثر : الآيات ١١ - ٢٦ . (٢) أي يؤلفون ويصنعون .

(٣) سورة الحجر : الآيات ٩١ - ٩٢ .

(٤) وذكر بالمدينة وكان من أكثر أحياء العرب علماً بهذا الموضوع هم الأوس والخزرج بالإضافة إلى ما سمعوه من أخبار اليهود قبل ذلك ، وكان هذا في صالح الرسول ﷺ لأن أثره ظهر فيما بعد ، وذلك عندما فكر كثير منهم في هذا الكلام وفي صاحبه فتوصلوا للحق وعلموا أنه نبي فجاء منهم وفدان بايعا الرسول ﷺ ببيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية ، وكانوا نواة لنشأة دولة الإسلام بالمدينة ومبرراً لهجرة الرسول ﷺ .
 (٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

لهم أبو طالب : والله ما أنصفتُموني ، تعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابن أخى تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبداً ، أفلا تعلمون أن الناقة إذ فقدت ولدها لم تحن إلى غيره ، فقال له المُطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : لقد أنصفك قومك يا أبا طالب ، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم ، فقال أبو طالب للمطعم بن عدى : والله ما أنصفتُموني ولكنك قد أجمعت على خذلانى ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال أبو طالب ، فحقب (١) . الأمر عند ذلك ، وجمعت للحرب (٢) ، وتنادى القوم ، وبادى بعضهم بعضاً ، فقال أبو طالب عند ذلك - وإنه يعرض بالمطعم - ويعم من خذله من بنى عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه وما تباعد من أمرهم .

* شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله :

أَلَا لَيْتَ حَظِّى مِنْ حَيَاتِكُمْ بَكَرٌ (٣) يَرِشُ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرٌ
مِنْ الْخُورِ حَبَابٌ كَثِيرٌ رُغَاوُهُ إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ تَحْسِبُهُ وَبَرٌ (٤)
أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْنُنَا وَأَمْنَا إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
بَلْ لَهْمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَرَجَمْنَا كَمَا تَرَجَمْتُ (٥) مِنْ رَأْسِ ذِي الْفَلَقِ الصَّخْرُ
هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوَيْهِمَا وَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفُهُمَا صِفْرٌ
أَخْصُ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا هُمَا تَبَذَانَا مِثْلَ مَا نَبَذَ الْجَمْرُ
فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفَكُ مِنْهُمْ مُجَاوِرُ يُجَادِرُنَا مَا دَامَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرٌ
هُمَا أَشْرَكَا فِي الْمَجْدِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرِشَ لَهُ ذِكْرٌ
وَلِيدَا أَبَوِهِ كَانَ عَبْدًا لَجْدُنَا إِلَى عَلِيجَةِ زَرْقَاءَ جَاشَ بِهَا الْبَحْرُ
وَتَيْمٌ وَمَخْزُومٌ وَزَهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا ابْتَغَى النَّصْرُ
وَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَقُولُهُمْ وَكَانُوا كَجَفْرِ شَرَّهَا ضَغَطَتْ (٦) جَفْرُ

(١) أى اشتد . (٢) فى سيرة ابن هشام « وحميت الحرب » .

(٣) يريد أن يقول هنا : إن بكرًا من الإبل أنفع لى منكم ، وقد جاء هذا البيت فى سيرة

ابن هشام كما يلى : ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ألا ليت حظى من حياتكم بكر

(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة . (٥) فى ابن هشام: « جرجمت » : أى انحدرت .

(٦) فى ابن هشام « صنعت » .

بَابُ مَا نَالَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ

* رجوع الوفد لأبي طالب مرة ثانية :

ثم إن قريشاً مشوا إلى أبي طالب تارة أخرى فكلّموه ، وقالوا : ما نحن يا أبا طالب ، وإن كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك ، بتاركى ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسب آبائنا ، وعيب ديننا ، فإن شئت فاجمع لحربنا ، وإن شئت فدد ، فقد أعذرنا إليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلص ، فانظر فى أمرك ، ثم اقض إلينا قضاك .

* ما دار بين الرسول ﷺ وعمه أبي طالب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءوني فقالوا : كذا وكذا ، للذى قالوا له ، وآذوني قبل ، فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم ، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدأ لعمه فيه بداء^(١) ، وأنه خاذله ومسلّمه ؛ وضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى^(٢) ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه ، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولى قال له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ - : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشيء أبداً .

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شئ يبدو بعدما خفى ، والمصدر البدء ، والبدو ، والاسم : البداء .

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية

المحوة .

نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال : أخبرني عقيل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا ^(١) ، فانهه عنا ، فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ﷺ فانطلقت إليه ، فاستخرجته من خيس ، يقول بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فجعل يطلب الفء يمشى فيه من شدة الحر الرخص ^(٢) ، فلما أتاهم قال أبو طالب : إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم ، فانتبه عن أذاهم ، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب : والله ما كذبنا ابن أخى فارجعوا .

* شعر أبي طالب في مساندة ابن أخيه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين أجمع لذلك من نصرة رسول الله ﷺ ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له :

والله لَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ ^(٣) بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوسِدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا
امضِ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَبْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عِيُونًا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَدَمًا أَمِينًا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِّ ^(٤) دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِي سَبَّةٌ لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا لَذَاكَ مُبِينًا

فلما قالت قريش : لقد سَفَّهَ أحلامنا ، وعَابَ ديننا ، وسب آباءنا ، فوالله لا نقر بهذا أبداً ، وقام أبو طالب دون رسول الله ﷺ ، وكان أحب الناس إليه ، فشمّر في شأنه ، ونادى قومه ، قال قصيدة تعوذ فيها منهم ، وبأداهم في آخرها ، فقال :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ بَيْنَهُمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَدَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ

(١) أى الكعبة التى يطوفون حول الأصنام بها .

(٢) الحر الرخص : أى الحر الذى يكثر العرق بسببه .

(٣) فى بعض المصادر « إليك » .

(٤) جاء فى إحدى المخطوطات : « البرية » وهى الصواب وبدونها يختل وزن البيت

عَرُوضِيًّا ، وكذلك فى تاريخ الإسلام للذهبي « البرية » انظر تاريخ الإسلام قدم له وعلّق عليه بدوى طه بدوى ط دار الغد العربى .

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَةَ
 صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِصَفَرَاءَ^(١) سَمَحَةَ
 وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَأُسْرَتِي^(٢)
 عَكُوفًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ وَتَارَهُ^(٣)
 وَحَيْثُ يَنْبَغُ الْأَشْعَرِيُّونَ رُكَابَهُمْ
 يَعْضُونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالْأَنَامِ
 وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ سَيْوفِ الْمُقَاوِلِ^(٤)
 وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ^(٥)
 لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حَلْفُهُ كُلُّ نَافِلٍ^(٦)
 بِمَقْضَى السَّيُولِ بَيْنَ سَافٍ^(٧) وَنَائِلٍ^(٨)

* مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مضى رسول الله ﷺ على
 الذى بعث به ، وقامت بنو هاشم ، وبنى المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه ، وهم من
 خلافه على مثل ما قومهم عليه ، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ، ويسلموا أخاهم لمن
 فارقه من قومه ، فلما فعلت ذلك بنو هاشم ، وبنى المطلب ، وعرفت قريش أنه لا
 سبيل إلى محمد ﷺ معهم ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم
 وبنى المطلب ألا يناكحوه ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعونهم ولا يتاعون منهم ،
 فكتبوا صحيفة فى ذلك ، وكتب فى الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن
 عبد الدار ، وعلقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم ، وأذوهم ،
 واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فخرج أبو لهب
 عدو الله يظهر عليهم قريش ، وقال : قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ،
 فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ إلى آخرها .

* شعر صفية عمة رسول الله ﷺ - لقريش :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب :

- (١) فى سيرة ابن هشام : « بسمراء » . (٢) أراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك .
- (٣) فى سيرة ابن هشام « وإخوتى » .
- (٤) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .
- (٥) هذا الشطر جاء فى سيرة ابن هشام هكذا « قياماً مستقبليين رتاجه » .
- (٦) النافل : المتبرئ .

(٧) عند ابن هشام : إساف ، ومن المعروف أن إساف ونائلة كانا رجلاً وامراً من قبيلة
 جرهم ، فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجريين ، ومع مرور الأيام قدسهما المشركون
 وعبدوهم وكانوا يؤدون لهما القرابين .
 (٨) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الورد فى البيت والأصل نائلة فخذف الحرف

الآخر

فَفِيمَ الْأَمْرِ فَمِينَا وَالْإِمَارُ
وَلَمْ تُوقَدْ لَنَا بِالْغَدْرِ نَارُ
وَأَيْسَارُ إِذَا ابْتَغَى الْيَسَارُ
وَبَعْضُ الْأَمْرِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ
بِأَيْدِيهَا إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ
يُبَيِّنُ رَبَّنَا أَيْنَ الْقَرَارُ

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي قُرَيْشًا
لَنَا الْأَمْرُ الْمَقْدَمُ قَدْ عَلِمْتُمْ
مَجَازِيلُ الْعَطَا إِذَا وَهَبْنَا
وَكُلَّ مَنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِينَا
فَلَا وَالْعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ
لَنَصْطَبِرَنَّ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى

• شعر أبي طالب لقريش :

وقال أبو طالب :

لُؤْيَا وَخُصًّا مِنْ لُؤْيٍ بَنَى كَعْبُ
نَبِيًّا كَمُوسَى خَطًّا فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْخُبِّ
لَكُمْ كَائِنَ نَحْسًا كِرَاعِيَةِ السَّقْبِ
وَيَصْبَحُ مَنْ لَمْ يُجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ
أَوَاصِرْنَا بَعْدَ الْمَوْدَةِ وَالْقُرْبِ
أَمْرٌ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ
عَلَى الْحَالِ مَنْ عَضَ الزَّمَانَ وَلَا كَرْبِ
وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَا تَتَشَكَّى مَا يَنْوِبُ مِنَ النُّكْبِ
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرُّغْبِ

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ نَائِيهَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مَحْـمَـدًا
وَأَنْ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً
وَأَنْ الَّذِي أَضَفْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ تُحْفَرَ الثَّرَى
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ وَتَقْطَعُوا
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عِوَانًا وَرَبْمَا
وَلَسْنَا وَرَبُّ الْبَيْتِ نُسَلِّمُ أَحْمَدًا
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
وَلَكُنَّا نَمْلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمْلُنَا
وَلَكُنَّا أَهْلَ الْحِفَاظِ ذُووِ النِّهْيِ
وقال أبو طالب :

بِحَقٍّ وَمَا تُغْنِي رِسَالَةَ مُرْسِلِ
وَأَخَوْتَنَا مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ وَنُوفِلِ
وَأَمْرٍ غَوَى مِنْ غَوَاةٍ وَجَهْلِ
أَقْرَتِ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّذَلُّلِ
بِمَكَّةِ وَالرُّكْنِ الْعَتِيقِ الْمَقْبُلِ
تَفَرَّى كُلُّ عَظْمٍ وَمَقْصَصٍ لَلِ

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي لُؤْيَا رِسَالَةَ
بَنَى عَمَّنَا الْأَدْنِينَ تَيْمًا نَخْصِمُهُمْ
أَظَاهَرْتُمْ قَوْمًا عَلَيْنَا وَلَايَةَ
يَقُولُونَ إِنْ قَدْ قَتَلْنَا مُحَمَّدًا
كَذَبْتُمْ وَرَبُّ الْهَدْيِ تُذْمَى نُحُورُهَا
تَنَاولُونَهُ أَوْ تُعْطِلُونَ لِقَتْلِهِ صَوَارِمَ

وَتَدْعُو بَوِيلَ أَنْتُمْ إِنْ ظَلَمْتُمْ
فَمَهْلًا وَلَمَّا تَنْجَحِ الْحَرْبَ بَكْرَهَا
وَإِنَّا مَتَى مَا نَمُرُّهَا بِسُيُوفِنَا
وَيَعْلُو رَبِيعِ الْأَبْطَحِينَ مُحَمَّدٌ
وَيَأْوِي إِلَيْهَا هَاشِمٌ إِنْ هَاشِمًا
فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ قَتْلَ مُحَمَّدٍ
فَإِنَّا سَنَمْنَعُهُ بِكُلِّ طُمْرَةٍ
وَكُلِّ رَدِينِي طُـمـى كُـعُوبَةٍ
بِأَيِّمَانِ شَمٍّ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ
* أَبُو طَالِبٍ يَدْعُو رَبَّ الْبَيْتِ عَلَى قَاطِعِ الْمَحَارِمِ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما سمعت قريش بذلك ، ورأوا
منه الجذ وأيسوا منه ، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء ، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا
بين أستار الكعبة ، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم ، وفي قطيعتهم أرحامهم
 واجتماعهم على محاربتهم ، وبتأولهم سفك دمائهم ، فقال أبو طالب : اللهم إن
أبى قومنا إلا النصر علينا ، فعجل نصرنا ، وحل بينهم وبين قتل ابن أخى ثم أقبل
إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه ، فقال أبو طالب : ندعو برب هذا
البيت على القاطع المنتهك للمحارم ، والله لتنتهن عن الذى تريدون ، أو ليتزلن الله
بكم فى قطيعتنا بعض الذى تكرهون ، فأجابوه إنكم يا بنى عبد المطلب لا صلح بيننا
وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصبى السفه .

* قريش تحاصر بنى هاشم وبني المطلب فى شعبهم :

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن
دخل لنصرة الله ، ونصرة رسول الله ﷺ ، ومن بين مشرك يحمى ، فدخلوا
شعبهم ، وهو شعب فى ناحية من مكة ، فلما قدم عمرو - عمرو بن العاصى -
وعبد الله بن أبى ربيعة إلى قريش وأخبروهم بالذى قال النجاشى لمحمد ﷺ

(١) العيكل : هو الجبل العظيم من الرمال .

(٢) يقول لهم هنا لا تستطيعون قتل محمد كما لا تستطيعون نقل جبل يدبيل بنجد ،

وهذا منتهى التحدى لهم ومساندته ومؤازرته لابن أخيه .

وأصحابه ، اشتد وجدهم ، وآذوا النبي وأصحابه أذى شديداً وضربوهم فى كل طريق وحصروهم فى شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحداً من الناس يُدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم ، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم ، ونادى منادى الوليد بن المغيرة فى قريش : أيما رجل وجدتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه .

* الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التيمى عن الربيع بن أنس قال : نزلت فى الوليد بن المغيرة : ﴿ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ^(١) قال : فاحش مع ذلك لئيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فى حديثه عن الوليد : فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه ^(٢) ، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلى النقد ، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب ، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء ، حتى كره عامة قريش ما أصاب بنى هاشم ، وأظهروا لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالة التى تعاهدوا فيها على محمد ﷺ ورهطه ، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها ، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً ، فكان رسول الله ﷺ إذ أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه ؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بنى هاشم الذين فى الشعب يتضاغون من الجوع ، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً ، فيقول الرجل لصاحبه : كيف بات أهلك البارحة ؟ فيقول : بخير ، فيقول : لكن إخوانكم ^(٣) هؤلاء الذين فى الشعب بات صبيانهم يتضاغون ^(٤) من الجوع حتى أصبحوا ، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ﷺ ورهطه ، ومنهم من يكره ذلك ، فقال أبو طالب ، وهو يذكر ما طلبوا من محمد ﷺ ، وما حشدوهم فى كل موسم يمنعونهم أن يتاعوا بعض ما يصلحهم ، وذكر فى الشعر :

(١) سورة القلم : الآية ١٣ . (٢) أى أغلوا عليه فى السعر .

(٣) يقصد بنى هاشم وبنى المطلب . (٤) أى يتألمون ويصرخون .

أَلَا مَنْ لَهُمْ آخِرُ اللَّيْلِ مُعْتَمٍ طَوَانِي وَقَدْ نَامَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ
طَوَانِي وَسَائِرُ أُخْرَى سَاهِرٌ لَمْ يَنُومِ لَأَحْلَامِ أَقْوَامٍ أَرَادُوا مُحَمَّداً
بِسُوءٍ وَمَنْ لَا يَتَّقَى الظُّلْمَ يُظْلَمُ سَعَوْا سَفَهَا وَاقْتَادَهُمْ سُوءٌ رَأَى
يَرْجُونَ أَنْ نَسْخَا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ رَجَاءُ أُمُورٍ لَمْ يَنَالُوا نِظَامَهَا
وَلَمْ تَخْتَضِبْ سَمَرَ الْعَوَالِي مِنَ الدَّمِ يَرْجُونَ مَنَّا خَطِيئَةً دُونَ نَيْلِهَا
ضَرَابٍ وَطَعَنَ بِالْوَشِيحِ الْمُقُومَ كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ
جَمَاجِمُ تُلْقَى بِالْحَطِيمِ وَزَمَزَمَ وَتُقَطَّعُ أَرْحَامٌ وَتَنْسَى حَلِيلَةٌ
حَلِيلُهَا وَنَغْشَا مُحَرَّمًا بَعْدَ مُحَرَّمٍ وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الدَّرُوعِ إِلَيْكُمْ
يَذُبُّونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ كُلِّ مُجْرِمٍ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهد ^(١) القوم جهداً شديداً لا يصل إليهم شيء إلا سراً ، أو مستخفاً ممن أراد صلته من قريش ، فبلغني أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجة ابنة خويلد ، وهي تحت رسول الله ﷺ ، ومعه في الشعب ، إذ لقيه أبو جهل فقال : تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش ، فقال له أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد : تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده ، فأبى أبو جهل أن يدعه ، فقام إليه أبو البختري بساق بعير فشجه ووطئه وطمأناً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريباً يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ، فقال أبو البختري بن هاشم في ذلك :

ذُقْ يَا أَبَا جَهْلٍ لَقِيتَ غَمًا كَذَلِكَ الْجَهْلُ يَكُونُ ذِمًّا
سَوْفَ تَرَى عُودِي إِنْ أَلَمَّا كَذَلِكَ اللُّومُ يَعُودُ ذِمًّا
تَعْلَمُ أَنَّا نَفْرَجُ الْمَهْمَا وَنَمْنَعُ الْأَبْلَجُ أَنْ يَطْمَا

(١) أى تعبوا تعباً شديداً

* ما فعله الله بالصحيفة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوا فيها تظاهرهم على بنى هاشم ، الأرضة ^(١) ، فلم تدع فيها اسم هو الله عز وجل إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان [كذا] ، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله ﷺ ، فأخبر أبا طالب ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي من حدثك هذا ، وليس يدخل إلينا أحد ، ولا تخرج أنت إلى أحد ، ولست في نفسي من أهل الكذب ، فقال له رسول الله ﷺ أخبرني ربي هذا ، فقال له عمه : إن ربك لحق ، وأنا أشهد أنك صادق ، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين ، فيحتالوا للصحيفة الخبيث والمكر ، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد ، والمشركون من قريش في ظل الكعبة ، فلما أبصروه تباشروا به ، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه ، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا : قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم ، وفي حياته فرقتكم وفسادكم ! فقال أبو طالب : قد جئتمكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا ، هلموا بصحيفتكم التي فيها تظاهرهم علينا ، فجاءوا بها ، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها ، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب : صحيفتكم بيني وبينكم ، وإن ابن أخي قد أخبرني - ولم يكذبني - أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة ، فلم تدع لله فيها اسماً إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان كاذباً فلکم على أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهرهم علينا ؟ فأخذ عليهم الموائيق ، وأخذوا عليه ، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم ، واستبشر أبو طالب وأصحابه ، وقالوا : أينما أولى بالسحر والقطيعة والبهتان ؟ فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وهشام بن عمرو ، أخو عامر بن لؤى بن حارثة ، فقالوا : نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن أغالى أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا

(١) الأرضة : دويبة بيضاء تشبه النملة ، تظهر أيام الربيع ، انظر المعجم الوجيز

وتتابع على ذلك ناس من أشرف قريش ، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد ، فقال أبو طالب في ذلك من أمر محمد ﷺ وما أرادوا من قتله :

تَطَاوَلَ لَيْلَى بِهِمْ وَصَبَّ
لِلْعَبِّ قُصَى بِأَحْلَامِهَا
وَنَفَى قُصَى بَنَى هَاشِم
وَقَوْلٌ لِأَحْمَدَ أَنْتَ أَمْرٌ
وَإِنْ كَانَ أَحْمَدُ قَدْ جَاءَهُمْ
عَلَى أَنْ إِخْوَتَنَا وَازَرُوا
هُمَا أَخْوَانُ كَعْظَمِ الْيَمِينِ
فِيَا لِقُصَى أَلَمْ تَخْبِرُوا بِمَا
فَلَا تَمْسُكُنْ بِأَيْدِيكُمْ
عَلَامَ عِلَامٍ تَلَا فَيْتُمْ
وَرَمْتُمْ بِأَحْمَدَ مَا رُمْتُمْ
فإِنِّي وَمَا حَجَّ مِنْ رَاكِبٍ
تَنَالُونَ أَحْمَدًا وَتَصْطَلُّوْا
وَتَغْتَرِفُوا بَيْنَ أَيْبَاتِكُمْ
تَرَاهُنَّ مِنْ بَيْنِ صَافِي السَّبَبِ
وَجَرْدَاءِ كَالطَّيْرِ سَمْحُوجَةٍ
عَلَيْهَا صَنَادِيدُ^(١) مِنْ هَاشِمٍ
وَدَمْعُ كَسَحِ السَّقَاءِ السَّرْبِ
وَهَلْ يَرْجِعُ الْحِلْمُ بَعْدَ اللَّعْبِ
كَنْفَى الطُّهَاءِ لَطَافِ الْحَطَبِ
خَلُوفُ الْحَدِيثِ ضَعِيفِ النَّسَبِ
بِحَقٍّ وَلَمْ يَأْتَهُمْ بِالْكَذِبِ
بَنَى هَاشِمٍ وَبَنَى الْمَطْلَبِ
أَمْرٌ عَلَيْنَا كَعَقْدِ الْكَرْبِ
قَدْ مَضَى مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ
بَعْدَ الْأَنْوَفِ بِعَجَبِ الذَّنْبِ
بِأَمْرِ مُزَاحٍ وَحِلْمٍ عَزَبِ
عَلَى الْأَصْرَاتِ وَقُرْبِ النَّسَبِ
لِكَعْبَةِ مَكَّةَ ذَاتِ الْحُجُبِ
ظُبَاتِ الرَّمَّاحِ وَحَدِّ الْقَضَبِ
صُدُورِ الْعَوَالِي وَحَبْلِ عُصَبِ
قَصِيرِ الْحِزَامِ طَوِيلِ اللَّبِّ
طَوَاهَا الْمُقَانِعُ بَعْدَ الْحَلْبِ
هُمْ الْأَنْجَبُونَ مَعَ الْمُتَعَجِبِ

وقال أبو طالب في شأن الصحيفة حين رأى قومه لا يتناهون وقد رأوا فيها العلم من العلم ما رأوا :

(١) الصناديد : أى الأكابر والزعماء .

أَلَا مَنْ لَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مَنْصِبٌ
وَحَرْبُ آبِنَا مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
إِذَا مَا مُشِيرٌ قَامَ فِيهَا بِخُطَّةٍ
وَمَا ذَنْبٌ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى
وَقَدْ جَرَّبُوا فِيمَا مَضَى غِبَ أَمْرِهِمْ
وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عِبْرَةٌ
مَحَى اللَّهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعَقُوقَهُمْ
فَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا
وَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقًا
فَلَا تَحْسَبُوا يَا مُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
سَتَمْنَعُهُ مِنَّا يَدٌ هَاشِمِيَّةٌ
وَشُعْبُ الْعَصَا مِنْ قَوْمِكَ الْمُتَشَعَّبِ
مَتَى مَا تُزَاحِمُهَا الصَّحِيفَةُ تَحْرِبُ
الذُّوَابَةَ ذَنْبًا وَلَيْسَ بِمَذْنَبٍ
وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَأْرِبَ الشَّعْبُ يَأْرِبُ
وَمَا عَالَمُ أَمْرًا كَمَنْ لَمْ يُجَرَّبِ
مَتَى مَا يَخْبِرُ غَائِبَ الْقَوْمِ يُعْجَبُ
وَمَا نَقَمُوا مِنْ بَاطِلِ الْحَقِّ مُعْرَبٍ
وَمَنْ يَخْتَلِقُ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يُكْذَبُ
عَلَى سَخَطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبٍ
لِذِي غُرْبَةٍ مِنَّا وَلَا مُتَغَرَّبٍ
مَرَكِبُهَا فِي النَّاسِ خَيْرٌ مَرَكَبٍ

فلما بادأهم أبو طالب بالعداوة (١) ، وبادأهم بالحرب ، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وأذوه واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون ، وفر أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبي طالب ليمنعه ، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه ، فمنعهم ، فقالوا : يا أبا طالب منعنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟! فقال أبو طالب : أمنع ابن أختي مما أمنع ابن أخى ، فقال أبو لهب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ - : صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم ، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ، ورجا نصره والقيام معه ، فقال شعراً استجلبه بذلك :

(١) كان حق هذه الرواية أن تأتي سابقاً ، لأن الحديث عن انتهاء الصحيفة ، وفك الحصار من الشعب تم في الصفحة السابقة ، أما هذا الكلام وما بعده فكان حقه أن يأتي مقدماً مع غيره من الروايات في نفس الموضوع وهو خبر الصحيفة وإيذاء المشركين وحصار الرسول وأهله في الشعب ، وهذا دليل أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ببعضها ، وقد مر فيما سبق شيء من هذا .

وَأَنَّ امْرَأًا أَبْ—و عْتِيَّةَ عَمِّهِ لَفِي رَوْضَةٍ مِنْ أَنْ يَسَامِ الْمَظَالِمَا
أَقُولُ لَ—هَ وَأَيْنَ مِنِّي نَصِيحَتِي أَبَا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوَادُكَ قَائِمًا
وَلَا تُقْبِلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشْتَ خَطَّةَ تَسْبُّ بِهَا لَ—ا هَبَطَتْ الْمَوَاسِمَا
وَحَارِبَ فَإِنْ الْحَرْبَ نَصَفَ وَلَنْ تَرَى أَخَا الْحَرْبِ يُعْطَى الضَّيْمَ إِلَّا مُسَالِمًا
وَوَلَّى سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّكَ لَنْ تَلْحَقَ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمًا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إنه قام في نقض الصحيفة التي
تكاثبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، نفر من قريش ، ولم يبل أحد فيها
بلاء أحسن بلاء من هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن خزيمه بن نصر
ابن مالك بن حسيل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن نضلة بن هاشم بن
عبد مناف لأمه ، وكان عمرو ونضلة أخوين لأم ، وكان هشام لبنى هاشم واصلًا ،
وكان ذا شرف في قومه ، وكان فيما بلغني يأتي بنى المغيرة وبنى هاشم وبنى المطلب
في الشعب ليلاً ، قد أوقر جملاً طعامًا ، حتى إذا أقبله في الشعب حل خطامه من
رأسه ثم ضرب جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ويأتي به قد أوقره بُرًّا أو برا فيفعل به
مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وكانت أمة عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال لزهير : قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس
الثياب وتنكح النساء ، وإخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا
ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يأمنون ولا يؤمن عليهم ، أما إنني أحلف بالله لو
كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك
إليه أبداً ، قال : ويحك فما أصنع وأنا رجل واحد ؟! قال : فقال : قد وجدت
ثانيًا ، قال : ومن هو ؟ قال : أنا أقوم معك فقال له زهير : أبغنا ثالثًا ؛ قال :
وذهب إلى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له يا مطعم قد رضيت أن
تهلك بطن من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق عليه ، أما والله لئن
أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها سراعًا منكم ، فقال : ويحك فما أصنع إنما أنا
رجل واحد ؟! فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : فمن هو ؟ قال أنا ، قال : فابغنا
ثالثًا ، قال : قد فعلت ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : فابغنا

رابعاً يتكلم معنا ، قال : فذهب إلى أبي البختري بن هشام فذكر قرابتهم وحقهم ، فقال : هل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، المطعم بن عدى ، وزهير بن أبي أمية ، فقال : أبغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له زمعة : هل معك على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ فقال : نعم ثم سمي له القوم ، فتواعدوا عند خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، فقال زهير : أنا أبداً فأكون أولكم .

* حديث نقض الصحيفة :

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية فى حلة له فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكن لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، فقال أبو جهل ، كذبت والله - وهو فى ناحية المسجد - لا تشق هذه الصحيفة ، فقال زمعة بن الأسود : بل أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ، فقال أبو البختري : صدق زمعة بن الأسود ، لا نرضى بما كتب فيها ولا نعرفه ، فقال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبأ إلى الله عز وجل منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو مثل ما قالوا فى نقضها وردھا ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه - يعنى بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد يرى ما يصنع القوم ، ثم إن المطعم بن عدى قام إلى الصحيفة فشققها فوجد الأرضة قد أكلها ^(١) إلا باسمك اللهم ^(٢) وكان الذى كتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده فيما يزعمون ، والله أعلم .

فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فى ذلك مما كان فى أمر أولئك نفر فى نقضها يمدحهم :

(١) عند ابن هشام « أكلتها » .

(٢) فى أول الموضوع أنها لم تترك إلا الظلم .

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَعْدَاءَ رَافَةٌ رَبَّنَا عَلَى نَأْيِهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرُودٌ
فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزَّقَتْ وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدٌ
تَدَاعَى لَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجْمَعٌ وَكَمْ يَلْفٌ سِحْرٍ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقُرْبَةٍ فَطَائِرُهَا فِي وَسْطِهَا يَتَرَدَّدُ
أَلَمْ تَكُ حَقًّا وَقَعَةً صَيْلِمِيَّةً لِيَقْطَعَ فِيهَا سَاعِدٌ وَمُقْلَدٌ
وَيَظْعَنُ أَهْلُ مَاكْثُونَ فِيهِرَبُوا فَرَأَتْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ تَرَعَدُ

• عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وعمرو بن العاص بعد مبعث رسول الله ﷺ ، ومشى قريش بعمارة إلى أبي طالب قد خرجا تاجرين إلى أرض الحبشة ، وكانت لقريش ملجأ ووجهًا ، وهما على شركهما ، وكلاهما كان شاعرًا غازيًا فاتكا ، وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيماً ، يفتن النساء ، صاحب محادثة ، فركب البحر ، ومع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا سارا في البحر ليالى أصابا من خمر معهما ، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو قبليني ، فقال عمرو : قبلى ابن عمك ، فقبلته ، فألقاها عمارة بن الوليد فجعل يريدان عن نفسها ، فامتنعت منه ثم إن عمراً قعد على منجاف ^(١) . السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، فقال له عمارة : أما والله لو عرفت يا عمرو أنك تسبح ما طرحتك ، ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة ، فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو في نفسه ، وعرف أنه قد أراد قتله ومضيا في وجههما حتى قدما أرض الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاصي ابن وائل أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم ، وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته ، فلما قدم الكتاب على العاصي مشى إلى رجال من بني مخزوم ، ورجال من بني المغيرة فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث قد علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما : ولا أدري ما يكون ، إني أتبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعتهم ، فقالت له عند ذلك بنو المغيرة ورجال من بني مخزوم : وأنت تخاف عمراً على عمارة ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، فخل بين الرجلين ، فقال : قد فعلت ، فخلعوهما وتبرأ كل واحد من صاحبه ، وما جر عليهم .

(١) هو : مؤخرة السفينة الذي يحدد اتجاهها وتوجه به يميناً ويساراً .

فلما اطمأننا لم يلبث عمارة أن دب ^(١) لامرأة النجاشي ^(٢) ، وكان رجلاً جميلاً وسيماً ، فأدخلته فاختلف إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يحدث عمراً بما كان من أمره ، فجعل عمرو يقول : ما أصدقك إنك قدرت على هذا ، شأن المرأة أرفع من هذا ! فلما أكثر عليه عمارة ، وكان عمرو قد صدقه وعرف أنه قد دخل عليها ، ورأى من هيئته وما يصنع به والذهاب إذا أمسى وبيتوته عنه حتى يأتي من السحر ^(٣) ما عرف به في ذلك ، وكانا في منزل واحد ، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي ، فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها : إن كنت صادقاً أنك بلغت منها ما تقول ، فقل لها فلتدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره ، فإنني أعرفه ، واثنتي منه بشيء حتى أصدقك بما تقول ، قال : أفعل ، قال : فجاءه في بعض ما يدخل عليها ، فدهنته وأعطته منه شيئاً في قارورة ، فلما شمه عمرو عرفه ، وقال له عند ذلك أشهد أنك قد صدقت ، ولقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله ، امرأة الملك ، ما سمعنا مثل هذا ، وكانوا أهل جاهلية ، وكان ذلك في أنفسهم فضلاً لمن أصابه وقدر عليه ، ثم إنه سكت عنه حتى إذا اطمأن دخل عمرو على النجاشي فقال : أيها الملك معي سفيه من سفهاء قريش ، وقد خشيت أن يعزى ^(٤) عندك أمره ، وقد أردت أن أرفع إليك شأنه ولم أعلمك ذلك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نساءك فأكثر ، وهذا دهنك قد أعطته وادهن به ، فلما شم النجاشي الدهن ، قال : صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي ، ثم دعى بعمارة بن الوليد ، ودعا بالسواحر فجردنه من ثيابه ثم أمرهن فنفنخن في إحليله ، ثم خلى سبيله فخرج هارباً في الوحش ^(٥) ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فخرج إليه رجال من بنى المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجير ، فلما أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده بأرض الحبشة بماء كان يردّه مع الوحش ، فذكروا أنه أقبل في حمراً من حمرة الوحش يرد معها ، فلما

(١) أى : مشى رويداً يريد فتتها .

(٢) النجاشي : هو ملك الحبشة ، وكان ملكاً لا يظلم عنده أحد .

(٣) السحر : آخر الليل قبيل الفجر .

(٤) بمعنى يتشر ويتفشى .

(٥) أى في الصحراء مع الوحوش .

وجد ريح الإنس هرب حتى أجهدته العطش ، فورد فشرب حتى إذا امتلأ خرجوا في طلبه ، قال عبد الله بن أبي ربيعة : فسبقت إليه فالتزمته ، فجعل يقول : أى بجير أرسلنى فإنى أموت إن أمسكتنى ، قال عبد الله : فضبطته فمات فى يدى مكانه ، فواريته ثم انصرفنا ، وكان شعره فيها يزعمون قد غطى كل شيء منه ، فقال عمرو ، وهو يذكر ما صنع به وما أراد من امراته :

تَعْلَمُ عُمَارُ أَنْ مِنْ شَرِّ شَيْمَةٍ	بِمِثْلِكَ أَنْ يَدْعَا ابْنُ عَمِّ لَكَائِنْ مَا
أَنْ كُنْتُ ذَا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرَحَلًا	فَلَسْتُ تَرَى لَابْنَ عَمِّكَ مَحْرَمًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ	وَكَمْ يَنْهَ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَمَّا
قَضَى وَطَرًا مِنْهَا يَسِيرًا فَاصْبَحْتُ	إِذَا ذُكِرْتُ أَمْثَالَهُ تَمْلَأُ الْفَمَا
أَصَبْتُ مِنَ الْأَمْرِ الدَّقِيقِ جَلِيلُهُ	وَعَيْشًا إِذَا لَاقَيْتَ مَنْ قَدْ تَلَوَّمَا
أَلَا فَارْفَعْ عَنْ مَطَامِعِ خَشْيَةٍ	وَعَالِجِ أَمْرِ الْمَجْدِ لَا يَتَنَدَمَا
فَلَيْسَ الْفَتَى وَإِنْ أُنْمِتَ عُرُوقُهُ	بِذِي كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (١)

* سبب إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثني رجل من أسلم (٢) ، وكان واعية أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا ، فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى (٣) لقريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنص له ، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدّها شكيمة ، وكان يومئذ مشركاً على دين قومه ، فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته ، فقالت له : أبا عمار (٤) لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفاً قبيل ، وجده هاهنا فأذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته ، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت ، مُعداً لأبى جهل أن يقع به ،

(١) هو عم النبي ﷺ كان إسلامه في السنة الثانية من البعثة ، وكان إسلامه هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عزا ونصراً للإسلام في بدايته وكيداً للكافرين وتخفيفاً لأذاهم عن رسول الله وقد هاجر حمزة إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاء حسناً ، واستشهد ﷺ في غزوة أحد ، وقاتله وحشى ، وحزن النبي ﷺ لفراقه حزناً شديداً لدرجة أن وحشياً قاتله أسلم فيما بعد وجاء إلى الرسول فلم يطق النبي ﷺ رؤية قاتل عمه - رغم إسلامه - وطلب منه أن يعيش خارج المدينة ونفذ وحشى رغبة الرسول ﷺ .

(٢) أى من بنى أسلم .

(٣) النادى : المكان الذى يجتمع فيه القوم إذا أنهوا أعمالهم . فيلتقون فيه ويتسامرون ويتعرفون أخبار بعضهم ، وقد يطلق لفظ « نادى » ويراد به الناس المجتمعون فيه وليس المكان مثل قوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى فليدع قومه وعشيرته ، وهذا فى البلاغة يسمى مجازاً مرسلًا علاقته المحلية .

(٤) كان يكنى أبا عمار ، وقد سماه النبي ﷺ أسد الله لشجاعته وبسالته وبلائه

الحسن .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ، رفع القوس وضربه بها ضربة شججه بها شجرة منكورة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، فقالوا : ما تراك يا حمزة إلا قد صيأت ؟! فقال حمزة : وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك ، وأنا أشهد أنه رسول الله ، وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله .

* حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه :

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، فقال في ذلك شعراً حين ضرب أبا جهل وأسلم :

ذُقْ يَا أبا جَهْلٍ بِمَا عَسَيْتَ مِنْ أَمْرِكَ الظَّالِمِ إِذْ مَشَيْتَ
سَتَسْعَطُ الرِّغْمَ بِمَا أَتَيْتَ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ إِذْ نَهَيْتَ
عَنْ أَمْرِكَ الظَّالِمِ إِذْ عَتَيْتَ لَوْ كُنْتَ تَرْجُو اللَّهَ مَا شَقَيْتَ
وَلَا تَرَكْتَ الْحَقَّ إِذْ دُعَيْتَ وَلَا هَوَيْتَ بَعْدَ مَا هَوَيْتَ
تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَوَيْتَ مَا كُنْتَ حَبًّا بَعْدَ مَا غَدَرْتَ
فَحَتَّى تَذُوقَ الْحَزْنَ قَدْ لَقَيْتَ فَقَدْ شَفَيْتَ النَّفْسَ وَأَشْفَيْتَ

* الشيطان يوسوس لحمزة لترك الإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه ، الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابي ، وتركت دين آبائك ، للموت كان خير لك مما صنعت فأقبل على حمزة بثه ^(١) فقال : ما صنعت اللهم ، إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً ، فبات ليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلى على ما لا أدرى

(١) البث : الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه .

— ٢٤١ — ابن إسحاق

ما هو أرشد هو أم غي شديدة ؟ فحدثني حديثاً فقد اشتيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، قال : فألقى الله عز وجل في نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ، فقال أشهد أنك صادق ، شهادة الصدق العارف ، فأظهر يا ابن أخي دينك ^(١) ، فوالله ما أحب أن لي ما أظلت السماء وأنى على ديني الأول فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

* حمزة يحمد الله على إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال حمزة بن عبد المطلب :

حَمَدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي	إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْدِينِ الْحَنِيفِ
لَدِينِ جَاءَ مَنْ رَبِّ عَزِيزٍ	خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ
إِذَا تُلِيَتْ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا	تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْخَصِيفِ
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا	بِآيَاتٍ مُبِينَاتٍ الْحُرُوفِ
وَأَحْمَدُ مُصْطَفَى فِينَا مُطَاعٍ	فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِمُهُ لِقَاسُومٍ	وَلَمَّا نَقُضَ فِيهِمُ بِالسَّيْفِ
وَنَتْرَكَ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ	عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعُكُوفِ
وَقَدْ خَبِرْتُ مَا صَنَعْتَ ثَقِيفَ	بِهِ فَجَزَى الْقَبَائِلَ مِنْ ثَقِيفِ
إِلَهُ النَّاسِ شَرَّ جَزَاءِ قَوْمٍ	وَلَا أَسْقَاهُمْ صَوْبَ الْحَرِيفِ

* * *

(١) أى : أعلن الإسلام .

ما جاء في هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة

* الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومنع^(١) الله بأبي طالب رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة ، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم ، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب ، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم : إن بها ملكاً^(٢) لا يُظلم الناس ببلاده في أرض صدق فتحرروا عنده يأتكم الله عز وجل بفرج منه ، ويجعل لي ولكم مخرجاً ، فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفروا إلى الله عز وجل بدينهم ، واستخفى آخرون بإسلامهم^(٣) .

(١) أي أجاره وحماه .

(٢) هو النجاشي ، وكان يدين بالنصرانية ، وقد رحّب بالمسلمين المهاجرين أسى ترحيب ، وقبلهم في بلاده معززين مكرمين ، وعلم أنهم على حق ، وقال لهم : إن ما جاء به صاحبكم - يعني رسول الله ﷺ وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة - أي من أصل واحد . وقد أسلم النجاشي بعد هجرة الرسول ﷺ المدينة ، ولما مات النجاشي صلى عليه الرسول واستغفر له ، وكان موته في رجب سنة تسع ، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالقبع ، وقيل رُفِعَ إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٣) ذكر ابن هشام في سيرته أن ابن إسحاق قال : لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ - إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ص ٣٠٩ .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله عز وجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ﴾ (١) الآية ، فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون لله عز وجل سرّاً وعلانية ، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة ، وكانوا بها خائفين يمسون ويصباحون في السلاح ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : لن تعبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم ليس فيه حديد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ إلى آخر الآية لقول الرجل ولقول رسول الله ﷺ ، وقوله : ﴿ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٢) قال : ومن كفر بهذه النعمة ، ليس يقول : من كفر بالله (٣) ، وكانوا كذلك حتى قبض الله عز وجل رسوله ﷺ ، ثم كانوا كذلك في إمرة (٤) أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ثم غيروا (٥) فغير ما بهم ، كفروا بهذه النعمة فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف الذي كان قد وضعه عنهم .

نا يونس عن هشام بن سعيد بن زيد بن أسلم قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق : فرقة بالمدينة ، وفرقتين بمكة ، فرقة كانوا يؤذون بمكة عشر سنين فيعفون عن المشركين ، وفرقة كانوا إذا أودوا انتصروا منهم ، فأنزل الله عز وجل عليهم جميعاً ، فقال : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم ﴾ وهو الشرك ﴿ والفواحش ﴾ وهو الزنا : ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ هؤلاء الذين كانوا لا ينتصرون من المشركين : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾ الذين كانوا بالمدينة لم يكن عليهم أمير ، كان رسول الله ﷺ بمكة وهم بالمدينة ، يتشاورون في أمرهم : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ هؤلاء الذين انتصروا : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ الذين عفوا ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ ، إلى قوله : ﴿ في الأرض بغير الحق ﴾ المشركين الذين كانوا يظلمون الناس المسلمين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ (٦) .

* * *

(٢) سورة النور : الآية ٥٥ .

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٣) الكفر هنا بمعنى : الجحود والإنكار ، لأن من أسماء الكفر ، كفر الجحود ، وهو

لا يخرج من الملة أى لا يكفر صاحبه بعكس كفر العقيدة . (٤) أى فى خلافة .

(٦) سورة الشورى : الآيات ٣٦ - ٤٢ .

(٥) أى بدلوا ، وابتدعوا .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من مكة

* أوائل المهاجرين إلى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، قبل هجرة جعفر ^(١) وأصحابه من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان معه امرأته رقية ابنة رسول الله ، ^(٢) ، وأبو حذيفة بن عتبة بن عبد شمس معه امرأته سهلة ابنة سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل ، ولدت هناك محمد بن أبي حذيفة ^(٣) .
ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رثاب ^(٤) .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم من قيس عيلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

(١) لم يكن جعفر أول من هاجر إلى الحبشة ، وإنما سبقة عشرة من المسلمين وكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عثمان بن مظعون أميراً عليهم ، هكذا أورد ابن هشام في سيرته ، وأورد أيضاً أن ابن إسحاق قال : ثم خرج جعفر ابن أبي طالب عليه السلام ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها منهم من خرج أهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد . ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٨١ .

(٢) كان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه - أول من هاجر من المسلمين من بنى أمية ومعه زوجته بنت خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) وأبو حذيفة رضي الله عنه كان ممن هاجر إلى الحبشة من بنى عبد شمس بن عبد مناف ، ومن هاجر من بنى عبد شمس أيضاً : أبو موسى الأشعرى ، واسمه عبد الله ابن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة .

(٤) وهو من بنى أسد بن خزيمية ، وهاجر معه أخوه عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله وامراته بركة بنت يسار .

ومن بنى عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير ^(١) بن عبد بن قصى .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم ، والمقداد ، حليف لهم ^(٢) .
ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد ^(٣) معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية ^(٤) ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبس بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد ، والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبسها بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر - يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ، ومعتب بن عوف بن عامر بن خزاعة من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن عامر بن ربيعة ^(٥) ، حليفًا لهم ، مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة بن غانم .
ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، وابنه السائب ، وقدامة بن مظعون ^(٦) .

(١) عند ابن هشام « أبى كبير » انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٢) وأيضًا : عامر بن أبي وقاص ، وأبو وقاص هو : مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبييرة بن سعليل ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .
(٣) اسم أبى سلمة : عبد الله .

(٤) اسم أم سلمة : هند ، ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة .
(٥) وهو الذى يقال له : عيهامة ، وقال ابن هشام ، وهو الذى يقال له : معذب بن حمراء .

(٦) وهو أخوه ، وكذلك عبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن جمح ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وأخوه : خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب بن حذافة بن جمح ، وابناه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ومعهما أمهما حسنة ، وأخوهما من أمهما شرحبيل ابن حسنة .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ، وهشام بن العاصي بن وائل (١) .

ومن بنى عامر بن لؤي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وهو أول من هاجر ، فيما يقال ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته أم يقظة بنت علقمة ، ولدت له ، سليط بن سليط ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة ابنة زمعة (٢) .
ومن حلفائهم : سعيد بن خولة (٣) .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : أبو عبيدة بن الجراح ، وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبي شريح بن ربيعة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد .

* سورة النجم وما فعل الشيطان بالمشركين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فأقاموا حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا ، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ ، فقرأها رسول الله ﷺ ، فأنصت لها كل مسلم ومشرک ، وحتى انتهى إلى قوله : ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾ (٤) فأصاخوا له والمؤمنون يتصدقون (٥) ، وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان (٦) ، فقال : والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفا ، وعلم

(١) وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل .

(٢) أى تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاته ، وكانت زوجة من أمهات المؤمنين .

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام : سعد بن خولة : وهو من اليمن .

(٤) سورة النجم : الآية ١٩ .

(٥) أى : يصدقون .

(٦) وذلك أن الرسول ﷺ قرأ ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ وذلك أمام المسلمين والمشركين ، فلما بلغ : ﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ سها أو سكت ، وهنا استغل الشيطان اللعين هذه السكتة ، ونطق بلفظ أسمع الكفار وقرب صوته من صوت النبى ﷺ مقلداً نغمة النبى ﷺ قائلاً : « إن شفاعتهم ترتجى ، وإنهن الغرائق العلا » حتى التبس الأمر على المشركين ، فظنوها من قول النبى ﷺ ففرحوا بذلك وسجدوا وأشاعوها ، وقالوا : محمد قرأها وهذا أحد الأقوال وهناك أقوال أخرى تراجع فى تفسير الآلوسى تحقيق طه عبد الرؤوف سعد . ط . دار الغد العربى .

الشیطان بتيك^(١) الآيتين كل مشرك ، نزلت بها ألسنتهم ، وكبر ذلك^(٢) على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام ، فشكا إليه هاتين الآيتين وما لقي من الناس فيهما ، فتبرأ جبريل عليه السلام منهما وقال : لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله ﷺ^(٣) حزناً شديداً ، وخاف ، فأنزل الله عز وجل تعزية له : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ﴾^(٤) ألقى الشيطان في أمنيته ﴿^(٥) إلى قوله : ﴿ عليم حكيم ﴾^(٦) .

* رجوع بعض المهاجرين إلى مكة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما بلغ من بالحبشة من المسلمين سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ أقبلوا ، أو من شاء الله عز وجل منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا رسول الله ﷺ فلما دنوا من مكة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا إلى أرض الحبشة ، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار ، فمكثوا على ذلك حتى دخل كل رجل منهم بجوار^(٧) من بعض أهل مكة^(٨) ، وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بجوار من أبي طالب ، وكان خاله ، وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب .

* عثمان بن مظعون يطلب من الوليد أن يرد عليه جواره :

فأما عثمان بن مظعون فكان من خبره أن يونس بن بكير : نا عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن حدثه قال : لما رأى عثمان ما يلقي رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى ، وهو يغدو ويروح

(١) أى بهاتين . (٢) أى شق عليه ، وحزن لذلك .

(٣) أى لهذه الشبهة وما أشاعه المشركون ، وقال ﷺ : « إن ذلك من الشيطان » .

(٤) تمنى : أى قرأ وتلا . (٥) أمنيته : أى قراءته وتلاوته .

(٦) سورة الحج : الآية ٥٢ راجع أقوالاً أخرى فى تفسير الألوسى .

(٧) أى فى حماية ومنعة .

(٨) أى فى جوار أحد من المشركين .

بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان : والله إن غدوى ورواحى آمننا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل بيتى يلقون من البلاء والأذى فى الله عز وجل ما لا يصيبنى لنقص كثير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو فى المسجد ، فقال : يا أبا عبد شمس وقت ذمتك ، قد كنت فى جوارك ، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ ، ولى به وبأصحابه أسوة ، قال الوليد : فلعلك يا ابن أخى أوديت ، أو انتهكت ؟ فقال : لا ولكنى أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية ، فقال : أنطلق قال : فخرجنا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد على جوارى ، فقال عثمان : صدق ، وقد وجدته وقياً كريم الجوار ، وقد أحببت ألا أستجير بغير الله ، وقد رددت عليه جواره .

* عثمان يؤذى فى سبيل الله ويصبر :

ثم انصرف عثمان بن مظعون وليد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسى فى مجلس قریش ، فجلس معهم عثمان ، فقال ليد وهو ينشدهم :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال عثمان : صدقت ، فقال ليد :

وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

فقال عثمان : كذبت ، فالتفت إليه القوم وقالوا لليد : أعد علينا ، فأعاد ليد ، وعاد له عثمان بتصديقه مرة وتكذيبه مرة ، وإنما يعنى عثمان إذ قال : كذبت ، يعنى نعيم الجنة لا يزول ، فقال ليد : والله يا معشر قریش ما كانت مجالسكم هكذا! فقام سفيه منهم إلى عثمان ولطم عينه فاخضرت ، فقال له من حوله : والله يا عثمان لقد كنت فى ذمة منيعة ، وكانت عينك غنية عما لقيت ! فقال عثمان : جوار الله آمن وأعز ، وعينى الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولى برسول الله ﷺ أسوة ، وبمن معه أسوة ، فقال الوليد : هل لك فى جوارى ؟ قال عثمان : لا إرب لى (١) فى جوار أحد إلا جوار الله ، ثم قال عثمان فى ذلك :

(١) أى لا حاجة لى .

لا إربَ لى يا ابنَ المغيرةِ فى الذى
 رسولٌ عَظِيمُ الشَّانِ يَتْلُو كِتَابَهُ
 مُحِبٌّ عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ طَلَاوَةٌ
 فَيَا رَبُّ إِنِّى مُؤْمِنٌ لِمَحَمَّدٍ
 وَمَا نَزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ
 مِنَ الْخُوفِ مِمَّا يُنذِرُ اللَّهُ خَلْقَهُ
 تَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَقَدْ ضَلَّ سَعِيهِ
 تَقُولُ وَلَكِنِّى بِأَحْمَدٍ وَاثِقُ
 لَهُ كُلُّ مَنْ يَبْغَى التَّلَاوَةَ وَامِقُ
 وَإِنْ قَالَ قَوْلًا فَالَّذِى قَالَ صَادِقُ
 وَجِبْرِيلَ إِذْ جِبْرِيلُ بِالْوَحَى طَارِقُ
 لَهَا كُلُّ قَلْبٍ حِينَ يَذْكُرُ خَافِقُ
 إِذَا صَدَّ عَنْ آيَاتِ ذِى الْعَرْشِ وَامِقُ
 وَبِالْخَيْرِ مَغْبُونٌ وَبِالشَّرِّ سَابِقُ

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

* متى أسلم عمر رضي الله عنه :

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال كان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلي قالت : كان عمر ابن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، جاءني عمر بن الخطاب وأنا على بعيري نريد أن نتوجه ، فقال : أين يا أم عبد الله ؟ فقلت له : أذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذي في عبادة الله ، فقال : صحبكم الله ، فذهب ، ثم جاءني زوجي عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال : أترجين يسلم ؟ فقلت : نعم ، فقال : والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب (١) .

* عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن قريشاً بعثت عمر بن الخطاب - وهو يومئذ مشرك - في طلب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ في دار في أصل الصفا (٢) ، ولقيه النحام وهو نعيم بن عبد بن أسد ، أخو بني عدي بن كعب ، قد أسلم قبل ذلك ، وعمر متقلد سيفه ، فقال : يا عمر أين تراك تعمد (٣) ؟ فقال : أعمد إلى محمد هذا الذي سفّه أحلام قريش ، وسفّه آلهتها ، وخالف جماعتها ، فقال له النحام : والله لبئست الممشى مشيت يا عمر ، ولقد فرطت وأردت

(١) هذه العبارة دليلاً على أنه استبعد إسلام عمر وجعله مستحيلاً لما كان عليه عمر من البأس وإيذائه للمسلمين ، وهذه العبارة تبين منتهى اليأس من إسلام عمر بسبب غلظته وقسوته بالمسلمين ولكن أراد الله - ولا راد لمشيئته - أن يعز الإسلام بعمر .

(٢) وهي دار عبد الله بن الأرقم المخزومي التي اتخذها الرسول ﷺ مدرسة لتعليم صحابته قواعد الإسلام وقراءة القرآن عليهم .

(٣) أي تذهب .

هلكة بنى عدى بن كعب ، أو تراك تنفلت من بنى هاشم ، وبنى زهرة وقد قتلت محمداً - ﷺ ؟! فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال له عمر : إني لأظنك قد صبأت (١) ، ولو أعلم ذلك لبداً بك فلما رأى النحام أنه غير منته قال : فإنني أخبرك ، إن أهلك وأهل ختنك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك ، فلما سمع عمر تلك المقالة يقولها قال : فأيهم ؟ قال : ختنك (٢) وابن عمك وأختك ، فانطلق عمر حتى أتى أخته (٣) .

* الرسول ﷺ يدعو أن يعز الله الإسلام بعمر :

وكان رسول الله ﷺ إذا أتته الطائفة من أصحابه من ذوى الحاجة نظر إلى أولى السعة فيقول : عندك فلان فليكن إليك ، فوافق ذلك ابن عم عمر وأخته زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فدفع إليه رسول الله ﷺ خطاب بن الأرت ، مولى ثابت بن أم أنمار حليف بنى زهرة ، وقد أنزل الله عز وجل : ﴿ طه ﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى ﴿ وكان رسول الله ﷺ دعا ليلة الخميس فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام (٤) ، فقال ابن عم عمر وأخته : نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لعمر ، فكانت .

* سبب إسلام عمر :

فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب أخته ليغير عليها ما بلغه من إسلامها ، فإذا خطاب بن الأرت عند أخت عمر يدرس عليها طه (٥) ، ويدرس عليها إذا الشمس كورت ، وكان المشركون يدعون الدراسة الهينة (٦) ، فدخل عمر فلما أبصرته أخته عرفت الشر في وجهه فخبأت الصحيفة (٧) ، وراغ خطاب فدخل البيت (٨) ، فقال عمر لأخته : ما هذه الهينة في بيتك ؟ قالت : ما أعددنا حديثاً نتحدث به بيننا ، فعذله وحلف ألا يخرج حتى تبين شأنها ، فقال له زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : إنك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك يا عمر وإن كان الحق سواه ،

(١) يقصد تركت دين آبائك ، وأسلمت مع محمد والصابي الخارج من دين إلى دين .

(٢) أى زوج أختك وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) هى : فاطمة بنت الخطاب . (٤) هو أبو جهل - لعنه الله .

(٥) أى يعلمها هى وزوجها ويقرأ عليهما . (٦) الهينة : صوت الكلام الذى لا يفهم .

(٧) التى فيها القرآن . (٨) أى اختبأ .

فبطش به عمر فوطئه (١) وطئاً شديداً وهو غضبان ، فقامت إليه أخته تحجره عن زوجها فنفعها (٢) عمر بيده فشجها ، فلما رأت الدم قالت : هل تسمع يا عمر ، أرايت كل شيء بلغك عنى مما يذكر من تركي آلهتك وكفري باللات والعزى فهو حق ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فائتمر أمرك ، واقض مما أنت قاض ، فلما رأى ذلك عمر سقط فى يديه ، فقال عمر لأخته ، أرايت ما كنت تدرسين أعطيك موثقاً من الله لا أمحوها حتى أردّها إليك ، ولا أريك فيها ، فلما رأت ذلك أخته ، ورأت حرصه على الكتاب رجّت أن تكون دعوة رسول الله ﷺ له ، فقالت : إنك نجس ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ (٣) ، ولست آمنك على ذلك ، فاغتسل غسلك من الجنابة ، وأعطنى موثقاً تطمئن إليه نفسى ففعل عمر ، فدفعت إليه الصحيفة ، وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى إذا بلغ ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ إلى قوله ﴿ فتردى ﴾ (٤) وقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ حتى بلغ ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ (٥) فأسلم عند ذلك عمر (٦) ، فقال لأخته ، وختته : كيف الإسلام ؟ قالا : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد (٧) ، وتكفر باللات والعزى ، ففعل ذلك عمر ، وخرج خباب ، وكان فى البيت داخلاً ، فكبر خباب وقال : أبشر يا عمر بكرامة الله فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك أن يعز الله الإسلام بك ، قال عمر : فدلونى على المنزل الذى فيه رسول الله ﷺ فقال له خباب بن الارت : أنا أخبرك ، فأخبره أنه فى الدار التى فى أصل الصفا .

* ذهاب عمر للرسول ﷺ معلناً إسلامه :

فأقبل عمر ، وهو حريص على أن يلقي رسول الله ﷺ ، وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه إسلامه ، فلما انتهى عمر إلى الدار استفتح ، فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ عمر متقلداً بالسيف ، أشفقوا

(١) أى : ضربه . (٢) أى : لطمها .

(٣) سورة الواقعة : الآية ٧٩ . (٤) سورة طه : الآيات ١ - ١٦ .

(٥) سورة التكوين : الآيات ١ - ١٤ .

(٦) أى ألقى الله فى قلبه الإيمان ، وعلم أن هذا هو الحق من عند الله .

(٧) أى : تترك عبادة الأصنام التى تجعلهم شركاء لله .

— ابن إسحاق — ٢٥٣ —

منه (١) ، فلما رأى رسول الله ﷺ وَجَلَ القوم قال : افتـحوا له فإن كان الله عز وجل يريد بعمر خيراً اتبع الإسلام وصدق الرسول ، وإن كان يريد غير ذلك لم يكن قتله علينا هينا ، فابتدره رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يوحى إليه ، فخرج رسول الله ﷺ حين سمع صوت عمر ، وليس عليه رداء ، حتى أخذ بمجمع قميص عمر (٢) ، ورداءه فقال له رسول الله ﷺ : ما أراك منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الرجز (٣) ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، ثم قال : اللهم اهد عمر ، فضحك عمر . فقال : يا نبي الله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فكبر أهل الإسلام تكبيرة واحدة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

* عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول وأصحابه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : قال : قال عمر حين أسلم :

الحمدُ لله ذى المنِّ الذى وجبتُ له عَليْنا أَيْادى ما لَها غيرُ
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا صدق الحديث نبي عنده الخبرُ
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطاب ثم هدَى ربى عشية قالوا قد صَبَا عمرُ
وقد ندمتُ على ما كان من زكلى بظلمها حين تُتلى عندها السورُ
لما دعت ربها ذا العرش جَاهدة والدمع من عينيها عجلان يبتدر
أيقنتُ أن الذى تدعوه خالقها فكاد يسبقنى من عبْرَةٍ دُررُ
فقلتُ أشهدُ أن الله خالقنا وأن أحمداً فىنا اليوم مشتهرُ
نَبىٌ صدقٍ أتى بالحق من ثِقَةٍ وآفى الأمانة ما فى عوده خورُ

* عمر يخرج بالمسلمين إلى الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال عمر عند ذلك : والله لنحن بالإسلام أحق أن ننادى منا بالكفر ، فليظهروا لمكة دين الله ، فإن أراد قومنا بغياً

(١) أى : خافوا منه . (٢) أى موضع شد الإزار . (٣) أى الزجر والوعيد .

علينا ناجزناهم ، وإن قومنا أنصفونا قبلنا منهم ، فخرج عمر وأصحابه ، فجلسوا في المسجد ^(١) ، فلما رأت قريش إسلام عمر سقط في أيديهم ^(٢) .

* ثبات عمر في إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني نافع عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي أهل مكة أنقل للحديث ؟ قالوا : جميل بن معمر الجمحي ، فخرج عمر ، وخرجت وراء أبي وأنا غليم ^(٣) أعقل كلما رأيت حتى أتاه ، فقال : يا جميل هل علمت أني أسلمت ؟ فوالله ما راجعه الكلام . حتى قام يجر رداءه ، وخرج عمر معه ، وأنا مع أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش إن عمر قد صبا ، فقال عمر : كذبت ولكني أسلمت ، فبادروه فقاتلهم وقتلوه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وبلح ^(٤) ، فجلس وعرشوا على رأسه قياماً وهو يقول : اصنعوا ما بدا لكم فأقسم بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم ، فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص قومي ^(٥) ، فقال : مه ^(٦) ؟ فقالوا : خيراً ، عمر بن الخطاب صبا ، فقال فمه ؟! رجل اختار لنفسه ديناً أترون بني عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! عن الرجل فوالله لكأنما كان ثوب كشف عنه ، فلما قدمنا المدينة قلت : يا أبة ^(٧) من الرجل صاحب الحلة الذي صرف القوم عنك ؟ قال : ذاك العاص بن وائل السهمي ^(٨) .

(١) أي بفناء الكعبة المشرفة .

(٢) قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

(٣) تصغير غلام ، أي طفل صغير .

(٤) عند ابن هشام « وطلح » أي تعب وأعياء وكذا في تاريخ الإسلام للذهبي .

(٥) عند ابن هشام « وقميص موسى » ، والحبرة : نوع من برود وثياب اليمن .

(٦) مه : أي أكفف .

(٧) أي يا أبت ، ومثلها يا أمه : أي يا أمي ، وكلاهما صحيح .

(٨) هو والد عمرو بن العاص .

— ابن إسحاق — ٢٥٥ —

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني المنكدر أن أعرابياً من بني الدئل قال حيث بلغه أمر رسول الله ﷺ وظهوره واختلاف الناس بها قال : فما فعل الأصلع الطوال الأعسر ، مع أي الحزبين هو ، فوالله ليملأنها غداً خيراً أو شراً ، يعني عمر بن الخطاب .

نا يونس عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : اللهم أيد الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فأصبح عمر فغدا على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم خرج فصلى في المسجد ظاهراً .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كان إسلام عمر بن الخطاب فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، وما استطعنا أن نصلى ظاهرين عند الكعبة حتى أسلم عمر رحمه الله .

* عبد الله بن مسعود أول من جهر في مكة بالقرآن :

نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله ابن مسعود ، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قریش هذا القرآن يجهر لها به قط ^(١) ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود ^(٢) : أنا قالوا : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه ، فقال : دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني ، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقریش في أنديتها ^(٣) حتى قام عند المقام رافعاً صوته : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ ^(٤) فاستقبلها فقراها ، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد ^(٥) ، ثم قالوا : إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا

(١) أي أبداً .

(٢) وكان ﷺ نحيفاً خفيفاً ، لدرجة أنه يروى أنه طلع ذات يوم فوق شجرة الأراك ليأتى بسواك فقامت عاصفة شديدة فألقته الرياح من فوق الشجرة لشدة خفته ونحافة جسمه .

(٣) أي أماكن تجمعها .

(٤) سورة الرحمن : ١ ، ٢ وقد روى عن سيدنا علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ،

: « لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن » .

(٥) أي عبد الله بن مسعود ، وكذلك إذا قيل عبد الله فهو ابن مسعود عادة .

فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه (١) ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا (٢) ، قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن المطعم قال : كان أول من أفضى القرآن بمكة وعذب في رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

آخر الجزء الثالث

يتلوه إن شاء الله من عذاب في الله بمكة من المؤمنين
وحسبنا الله وصى الله على سيدنا النبي محمد وآله وسلم .

* * *

(١) أى ترك الضرب أثراً في وجهه .

(٢) روى أن عبد الله بن مسعود لما جهر بالقرآن عند الكعبة وضربه المشركون ، أمسك أبو جهل - لعنه الله - بأذن ابن مسعود فقطعها - أو قطع جزءاً منها - فلما ذهب ابن مسعود للرسول ضحك رسول الله ﷺ فلما سأله ابن مسعود علام تضحك يا رسول الله لم يجبه النبي ﷺ ، ومرت الأيام وجاءت غزوة بدر وإذا بعبد الله بن مسعود يقتل أبا جهل ويقطع رأسه ويأتى بها إلى النبي ﷺ ففرح رسول الله ﷺ وقال له : أذن بأذن والرأس زيادة ، وذكره بضحكه يوم جهر بالقرآن .

القسم الرابع

أسم
رضو
نا يو
سفيا
باللي
صا-
الطر
لاوة
إلى
بعض
رجل
الطرا

jabir.abbas@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توكلت على الله من عذاب في الله بمكة من المؤمنين

« قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ :

أنا (١) الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقر البزار قراءة عليه ، وأنا أسمع قال : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردى قال : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : نا الزهرى قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلا (٢) لا يعلم بمكان صاحبه (٣) ، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر ، تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا (٤) ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا لو راكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

« الأخنس يستفهم عما سمعه :

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ،

(١) رمز من رموز الحديث بمعنى أخبرنا . (٢) عند ابن هشام : « وكل »

(٣) أى أنهم اختبثوا من بعضهم بحيث لا يرى أحد منهم أحداً .

(٤) أى لام بعضهم بعضاً .

فقال : حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت له ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم : ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحي من السماء ، فمتى تدرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق .

* عدوان المشركين وفتنة المستضعفين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يعذبونهم .

* تعذيب بلال :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمر ببلال ^(١) وهو يعذب على الإسلام ، وهو يقول أَحَدٌ ، أَحَدٌ ^(٢) ، فيقول ورقة : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ، والله يا بلال لن تقنى ، ثم يقبل على من يفعل ذلك به من بنى جمع وعلى أمية فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً ^(٣) .

* عمار يمدح أبا بكر لإعتاقه بلالاً :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغني أن عمار بن ياسر قال : وهو يذكر بلال بن رباح ، وأمه حمامة ^(٤) ، وأصحابه ، وما كانوا فيه من البلاء ، وعتاقة أبي بكر رضى الله عنه إياهم ، فقال :

(١) هو : بلال بن رباح كان عبداً مولداً من مولدى بنى جمع ، وكان صادق الإسلام أعلن إسلامه ولم يخف من الكفار وتحمل الأذى فى سبيل الله .

(٢) أى الله واحدٌ أحد لا شريك له .

(٣) أى إذا مات أجعل قبره متبركاً به ، وهذا يدل على تعاطف ورقة بن نوفل مع المسلمين وشفقته عليهم لعلمه أنهم على الحق . (٤) أى أم بلال .

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنْ بِلَالٍ وَصَحْبِهِ عَتِيقًا ^(١) وَأَخْزَى فَاكْهًا وَأَبَا جَهْلٍ
 عَشِيَّةَ هَمُّوا فِي بِلَالٍ بِسَوْءٍ وَلَمْ يَحْذَرُوا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُو الْعَقْلِ
 بِتَوْحِيدِهِ رَبِّ الْأَنَامِ وَقَوْلُهُ : شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبِّي عَلَى مَهْلٍ
 فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي وَلَمْ أَكُنْ لِأَشْرِكِ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ
 فَيَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدَ يُونُسَ وَمُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِي ثُمَّ لَا تَمْلَى
 لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الْغَىَّ مَنْ آلٍ غَالِبٍ عَلَى غَيْرِ بَرٍ كَانَ مِنْهُ وَلَا عَدْلٍ
 * مِنْ أَعْتَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله عز وجل سبعة ، أعتق : بلالا ^(٢) ، وعامر بن فُهيرة ، والزُّبيرة ، وجارية بنى عمرو ابن مؤمل ^(٣) ، والهندية ^(٤) وابنتها ، وأم عبيس ، وذكر أنه مر بالهندية ومولاتها تعذبها ، تقول والله لا أعتقك حتى تعتقك حياتك ، فقال أبو بكر : أجل ^(٥) يا أم فلان ، قالت : فأعتقها إذا فإنها على دينك ، قال أبو بكر فباكتن ^(٦) ؟ قالت : بكذا وكذا ، فقال : قد أخذتها وأعتقتها ، ردى عليها طحينها ، قالت : دعنى أطحنه لها ^(٧) .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذهب بصر الزُّبيرة ، وكانت ممن

- (١) عتيق : لقب سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
 (٢) ذكر ابن هشام في سيرته أن ابن إسحاق قال : كان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في البلاء : أحد أحد . وهو دليل على الثبات على الحق وتحمل الأذى في سبيل الله .
 (٣) بنى مؤمل حى من بنى كعب ، وهذه الجارية كان عمر بن الخطاب وهو مشرك يعذبها لاعتناقها الإسلام .
 (٤) عند ابن هشام : « النهدية » ونلاحظ أنها هنا ذكرت في نفس السطر « النهدية » وهذا دليل على صوابها .
 (٥) عند ابن هشام « حل » أى تحلى من يمينك ، وكانت هذه المرأة المشتركة من بنى عبد الدار .
 (٦) عند ابن هشام « فيكم » .
 (٧) جاءت هذه القصة عند ابن هشام أن أبا بكر مر بالهندية وابنتها وهما يعذبان فأعتقهما .

— ٢٦٢ — ابن إسحاق —

تعدَّب في الله عز وجل على الإسلام ، فتأبى إلا الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللأت والعزى ، فقالت : كذا (١) ١٢ والله ما هو كذلك ، فرد الله عليها بصرها .

* أبو قحافة يلوم أبا بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني أبو عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : لما جعل أبو بكر يعتق أولئك الضعفاء بمكة قال له قحافة (٢) : أى بنى لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جُلدا (٣) يمنعونك ويقومون معك ، فقال له : يا أبة (٤) (إنما أريد ما أريد الله عز وجل) (٥) قال : فيحدث أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر : ﴿ فإما من أعطى واتقى ﴾ وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى ﴿ (٦) إلى آخر السورة .

* تعذيب آل ياسر :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم على الإسلام وهى تأبى غيره حتى قتلوها ، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وبأمه وهم يعذبون بالأبطح فى رمضان (٧) مكة ، فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ياسر عبداً لبنى بكر من بنى الأشجع بن ليث فاشتروه منهم ، فزوجوه سمية أم عمار ، فولدت عماراً ، وكانت سمية أمة لهم ، فأعتقوا سمية ، وعماراً ، وياسراً (٨) .

(١) عند ابن هشام « كذبوا » وهو المناسب والأليق .

(٢) عند ابن هشام « أبو قحافة » وهو الصواب .

(٣) أى : أقوياء . (٤) أى يا أبت .

(٥) زيادة من سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٩ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٦) سورة الليل ٥ - ٧ .

(٧) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة .

(٨) وقد قتل المشركون سمية أم عمار وماتت بغيرها وهى تأبى إلا الإسلام ، وما

استطاعوا أن يزحزحوا عقيدتها .

نا يونس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال : مر رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكي بذلك عنيه فقال له رسول الله ﷺ : مالك ، أخذك الكفار ، فغطوك في الماء ، فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا لك فقل كما قلت (١) .

*** مدى فتنة المسلمين :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : يا أبا (٢) عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعدرون به في ترك دينهم ؟ فقال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى أنه ليعطيهم ما سأله من الفتنة وحتى يقولوا : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، وحتى أن الجعل ليمر بهم فيقولون أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء منهم لما يبلغون من جهده (٣) .

*** خالد بن الوليد يهجو اللات والعزى :**

نا يونس عن العيزار بن حريث قال : مر خالد بن الوليد على اللات والعزى فقال :

كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ثم مضى .

*** ثبات بلال رضي الله عنه :**

نا يونس عن حبيب بن حسان الأسدي عن مسلم بن صبيح قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا قد كثرتنا ، فلو أمرت كل عشرة منا فأتوا رجلاً من صناديد

(١) وذلك كان دأب المشركين اللعناء ويروى أن أبا جهل الكافر كان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفن حلمك ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال له : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ، وإذا كان ضعيفاً ضربه وأهزى به .

(٢) في بعض النسخ : يا ابن

(٣) وهذا يسمى بالمدارة وهو عكس المداهنة ، وهو أن الإنسان إذا اضطر لنطق كلمة الكفر حتى لا يقتله الأعداء نطقها بلسانه وهو مؤمن بقلبه إيماناً ثابتاً بلا شك ، وقد ورد أن ياسر أبا عمار كان واحداً من هؤلاء فذهب إلى الرسول ﷺ وهي يبكي لخوفه من الذنب وقال له هلكت يا رسول الله ، قال الرسول ﷺ ، كيف ؟ فحكى له ما حدث ، فطمأنه الرسول ﷺ وقال له : وإن عادوا فعد ، وتلا عليه قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُوبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ .

قريش ليلاً وأخذوه فقتلوه ، فتصبح البلاد لنا ؟ فسر النبي ﷺ بذلك حتى رأى في وجهه (١) ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله أبناءنا ، آبائنا ، إخواننا ، فما زال عثمان يردد ذلك حتى سلم (٢) رسول الله ﷺ قولهم الأول ورؤى في وجهه ، حتى رفض ذلك ، وأخذنا المشركون حين أمسينا فما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا قد أعطى الفتنة (٣) غير بلال فإنه قال : الأحد الأحد (٤) .

* ملاقاه مصعب بن عمير من بلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا قومًا يصيبنا صلف العيش (٥) بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ، وصبرنا له ، وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة (٦) ، وأجوده حلة مع أبيه ، ثم لقد رأيت جهده في الإسلام جهداً شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحية عنها حتى إن كنا لنعرضه على قسينا (٧) فنحمله مما به من الجهد ، وما يقصر عن شيء بلغناه ، ثم أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أحد .

* شفقة الرسول ﷺ على مصعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثني من سمع على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بُردة له مرقوعة بفرو (٨) ، قال : فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من

(١) أي ظهر السرور والارتياح على وجهه .

(٢) لعلها : سئم أي كره ، لأنها المناسبة للسياق أو ساء القول الأول .

(٣) أي فتن في دينه وعذب حتى يترك دينه ورأيه .

(٤) أي أنه ثبت ولم ينطق كلمة الكفر وظل يقول : أحد أحد .

(٥) أي : خشونة المعيشة وشدتها .

(٦) كان مصعب قبل إسلامه فتى مدللاً ، ويمشى وعليه أبهة ، وكان يتعطر بأفخم أنواع

المسك وكان مسكه يُشم على أمتار فيعلم المار أن مصعب قادم ، وعذبت أمه على إسلامه فتركها وترك رينة الدنيا الخادعة ولازم الرسول ﷺ وتحمل الأذى في سبيل الدعوة رضي الله عنه وكان أول سفير في الإسلام - أرسله الرسول إلى المدينة قبل الهجرة ليعلم من أسلموا القرآن ، وشهد بدرًا وأحداً ، وأبلى بلاء حسناً .

(٧) قسى جمع قوس مثل : أقواس والفوس : آلة تشبه الهلال ترمى بها السهام وكانت

قديمًا تستخدم في الحرب . (٨) أي كساء مرقعة - مقطوعة وموصولة بجلد شاة .

النعمة وما لهو فيه اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : كيف بك إذا غدا أحدكم في حُلَّة وراح في حُلَّة ، ووضعت بين يديه صحيفة^(١) ورفعت أخرى وستر قم^(٢) جذر بيوتكم كما تستر الكعبة ، فقالوا : يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفي المؤنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير منكم يومئذ .

* نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول فإذا أنا أسمع قعقة^(٣) شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرفضتها^(٤) بين حجرين ثم استفتتها ، فشربت عليها من الماء ، ففويت عليها ثلاثاً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثني من سمع على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : خرجت في يوم شات^(٥) من بيت رسول الله ﷺ ولقد أخذت إهاباً^(٦) معطوناً فخويت وسطه فأدخلته في عنقي ، وشدت وسطى وحزمته بخوص^(٧) النخل ، وإنني لشديد الجوع فلو كان في بيت رسول الله ﷺ طعام لطعمت منه ، فخرجت ألتمس شيئاً ، فمررت بيهودي في مال له وهو يستقي ببكرة له^(٨) ، فاطلعت عليه من ثلثة في الحائط^(٩) فقال : مالك يا عربى ، هل لك في كل دلو بتمرة ؟ فقلت : نعم ، فافتح حتى أدخل ، ففتح فدخلت فأعطاني دلو فلما نزع دلو أعطاني ثمرة ، حتى إذا امتلأت كفى أرسلت الدلو وقلت : حسبي ، فأكلتها ، ثم نزع في الماء فشربت ، ثم جئت المسجد فوجدت رسول الله ﷺ .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان ضجاع^(١٠) رسول الله ﷺ أدما حشوه ليف .

- (١) هي إناء يوضع فيه الطعام - الطبق .
- (٢) لعلها خطأ من الناسخ فالصواب « وسترتم »
- (٣) القعقة : هي إحداث صوت عند التحريك أو التحرك . انظر المعجم الوجيز ص ٥١٠ .
- (٤) أى دقها .
- (٥) يوم شات : أى اشتد برده .
- (٦) الإهاب : هو جلد البقر أو الغنم ، والإهاب المعطون : أى مدبوغ .
- (٧) أى سعف النخل .
- (٨) أى يخرج الماء من البئر بالدلو .
- (٩) الحائط : البستان المسور .
- (١٠) أى وسادته التى ينام عليها ﷺ وهذا منتهى الزهد في الدنيا ، وهو الذى طلب منه ملك الجبال أن لو شاء لحول له الجبل ذهباً فأبى ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن أبي ثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خصفة ^(١) وإن بعضه لفي التراب ، متوسداً ^(٢) وسادة آدم محشوة ليفاً ، فوق رأسه إهاب معطون ^(٣) معلق في سقف العلية ، وفي زاوية البيت شيء من قرظ .

نا يونس عن أبي معشر المدني عن سعيد المقبري قال : كان لرسول الله ﷺ حصير يفرشه بالنهار حتى إذا كان الليل احتجره في المسجد فصلى فيه .

نا يونس عن المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : اضطجع رسول الله ﷺ ذات يوم على حصير فقام وقد أثر بجلده ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : ألا أذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً يقيك منه ، فقال رسول الله ﷺ : وما أنا والدنيا ، ما أنا والدنيا ، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ^(٤) .

* فزع أبي جهل وهيبته من رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي قال : قدم رجل من إراش ^(٥) بابل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله ^(٦) بأثمانها ، وأقبل الإراشي حتى وقف على نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فقال : يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب ابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ^(٧) ، وأنا غريب ابن سبيل ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك الرجل - وهم يهزؤون به ، إلى رسول الله ﷺ ، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يؤدبك عليه ^(٨) ، فأقبل

(١) الخصفة : قطعة مما تخصف به النعل . (٢) أي متخذاً وسادة .

(٣) أي إهاب مدبوغ

(٤) وهذا دليل على زهده ﷺ الشديد في الدنيا وورد أن عمر بن الخطاب دخل عليه ذات مرة فوجده نائماً على حصير قد أثر فيه فقال : يا رسول الله ملوك الفرس والروم تنام على الحرير وأنت تنام على الأرض ، فقال له ﷺ فيما معناه « ألا يرضيك يا عمر أن تكون لهم الدنيا الفانية ولنا الآخرة الباقية » .

(٥) قبيلة خارج مكة . (٦) أي ماطله ، ورفض إعطاءه الثمن .

(٧) أي ظلمني ولم يعطني حقي .

(٨) قال المشركون ذلك استهزاء بالرجل وبالرسول ، فهم يرون أن الرسول ضعيف لا يستطيع أخذ الحق للرجل من أبي جهل - وهو الزعيم في قومه - لكن الله خيب ظنهم وكادهم وغازطهم ، وألقى الرعب والذعر في قلب أبي جهل ، واستجاب لأمر الرسول وأعطى الرجل حقه ، وكله خوف من رسول الله ﷺ وهذا من سلسلة تأييد الله لرسوله ونصره له .

— ابن إسحاق — ٢٦٧ —

الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبلكه ^(١) ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه ، يأخذ لي حتى منه فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حتى منه ، رحمك الله ؛ فقال رسول الله ﷺ : انطلق إليه ، وقام معه ، فلما رآه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع ، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ^(٢) ، فقال : من هذا ؟ فقال : محمد فاخرج إلى ، فخرج إليه وما في وجهه رائحة ، قد امتقع لونه ^(٣) ، فقال له : أعط هذا الرجل حقه ، فقال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل ، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي : الحق بشأنك .

فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد أخذ الذي لي ، وجاء الرجل الذي بعثوا معه ، فقالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ فقال : عجباً من العجب ، والله إلا ^(٤) أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه ^(٥) فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال : نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه ؛ ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فمُلْتُ رعباً ثم خرجت إليه وإن فوق رأسي ^(٦) لفحل من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ^(٧) ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني .

* * *

(١) قبله : أى عنده .

(٢) أى طرق بابه .

(٣) أى تغير لونه من شدة الخوف والذعر والرعب من رسول الله ﷺ .

(٤) فى شرح السهيلي : « والله ما هو إلا » .

(٥) هذه مبالغة فى القول وهى أشد دليل على فزع أبى جهل وخوفه ورعبه من

الرسول ﷺ .

(٦) فى إحدى الروايات : « فوق رأسه » أى فوق رأس الرسول ﷺ . وهذا

أقرب للصواب .

(٧) أصل عنقه .

حديث النبي ﷺ حيثُ خاصمهُ المشركون

* زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني شيخ من أهل مكة قديم منذ بضع (١) وأربعين سنة عن عكرمة (٢) عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث أخا بني عبد الدار ، وأبا البختري أخا بني أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أمية ، وأمّية بن خلف ، والعاصي بن وائل ، ونبيه ومنبه ابني الحجاج السهميين اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم في أمره بداء (٣) ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عتتهم (٤) ، حتى جلس إليهم فقالوا له : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعذّر فيك (٥) ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، ولقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفّهت الأحلام وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سوّدناك علينا (٦) ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رأي (٧) تراه قد غلب عليك -

(١) البضع في العدد : من الثلاث إلى التسع .

(٢) عكرمة : من التابعين - أي الذين رأوا الصحابة ولم يروا الرسول ، وكان مولى

لابن عباس ، وروى عنه جلّ أحاديثه ، وكان من تلامذة ابن عباس .

(٣) أي قد ظهر لهم شيء ، ويقصد أنه ظن أنهم فكروا في الدخول في الإسلام .

(٤) أي تكبرهم وعنادهم . (٥) أي يكون لنا العذر إذا فعلنا أي شيء ضدك .

(٦) أي جعلناك سيداً علينا .

(٧) ظاهر كلامهم أنهم تحيروا من أمره ، وأعياهم التفكير ولم يعرفوا لماذا يفعل محمد

هذا ، ولذلك عرضوا عليه هذا العرض وفي رأي الشخصى أنهم ليسوا بصادقين لسببين :

أولاً : أنهم كانوا يوقنون أنه على حق فيما يدعو إليه وفيما يقول ، وكانوا متأكدين من ذلك

لكن الكبر منعهم من الإسلام ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾

جحدوا الرسالة والنبوة تكبراً .

وكانوا يسمون التابع من الجن رؤيا ، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أدرى ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال رسول الله ﷺ .

* زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيى الله قصي بن كلاب ، ويسير الجبال عنهم وغير ذلك :

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ولييسر لنا بلادنا ، وليجرى فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا فيهم قصي بن كلاب (٢) فإنه كان شيخا صدوقا ، نسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت إنما جئتمكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

فقالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث معك ملكا

= ثانيًا : لو أنهم لم يوقنوا أنه نبي لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذه العروض حتى يترك ما عليه وذلك لاحتمالين : الأول : عناية الله لنبه وحفظه وإلقاء الرعب في قلوب المشركين ، ولو لم يكن نبيا لسهل عليهم قتله واستراحوا منه .

الثاني : لو كان رجلا عاديا لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذا ، إذ لا يعقل أنهم يطلبون من رجل عادى أن يجعلوه سيدهم وملكا عليهم وهم المشهورون بحب الزعامة والسيادة والقتال عليها . هذا والله أعلم وأستغفر الله إن أخطأت الرأي .

(١) أي يوسع .

(٢) اسمه : زيد ، وسمى قصيا لأنه كان بعيدا عن بلده مكة ، كانت له ولاية الكعبة ،

ورعامة مكة .

يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش ^(١) كما نلتمسه ، وحتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ولا بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء كما رعمت أن ربك إن شاء فعل فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك إليه إن شاء فعل ذلك بكم ؛ قالوا : يا محمد فأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ^(٢) ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً ، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، ابن عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوكم لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم إن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك ^(٣) منشور ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ، وإيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ، ثم انصرف عن

(١) أي المعيشة والسعي والعمل والكد .

(٢) يقصدون مسيلمة الكذاب ، وكان قد ادعى النبوة باليمامة ، وادعى أن الوحي ينزل عليه ، وسمى رحمن اليمامة ، تزوج بامرأة تسمى سجاح كانت تدعى النبوة أيضاً ، قتله وحشى - قاتل حمزة - في معركة اليمامة ، وقال وحشى بعدما قتله : قتلت بحربتي خير الناس - يعني حمزة عم الرسول - وقتلت بها شر الناس - يعني مسيلمة .

(٣) أي بوثيقة أو كتاب أو شهادة .

— ابن إسحاق — ٢٧١ —

رسول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان فيه يطمع من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباحدتهم إياه .
* أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ :

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهمتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت ^(١) به رأسه ، فأسلموني عند ذلك وامنعوني ^(٢) فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام وكان إذا صلى صلى بين الركنتين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل الحجر ^(٣) ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع متهيئاً منتقماً قد تغير لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، ولما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ^(٤) والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بأن ياكلنى .
* حفظ الله لنبيه ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه .

* النضر بن الحارث ينصح قريشاً :

نا يونس قال : ثم رجع الحديث إلى الأول قال : فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال : يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم ^(٥) له نبلة بعد ، لقد كان محمد

(١) عند ابن هشام : « نضخت » أى كسرت .

(٢) عند ابن هشام « أو امنعوني » . (٣) أى احتمل أبو جهل الحجر .

(٤) أى ذكر قوى من الإبل .

(٥) عند ابن هشام : « قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد » .

فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ^(١) ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ^(٢) وجاءكم بما جاءكم قلتم ، ساحر ، ولا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن ، ولا والله ما هو بكاهن ، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، ولا والله ما هو بشاعر ولقد رويانا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون ، ولا والله ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا في شأنكم ، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم .

* أذى النضر الرسول :

وكان النضر من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة ^(٣) ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس ^(٤) ، وأحاديث رستم ^(٥) ، وأسفندباذ وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً يذكر فيه بالله ويحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه ^(٦) إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلّموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفندباذ ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني .

* ما نزل في النضر من قرآن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : أنزل الله في النضر ثمانى آيات ، قول الله تعالى : ﴿ إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ ^(٧) وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن ^(٨) .

(١) والمراد هنا أحبه إليكم .

(٢) أى أصبح مكتمل الرجولة والرزانة وبلغ الأربعين .

(٣) أى يعلن عداوته له .

(٤) لأنها تتبع ملك الفرس ، وملكها هو النعمان بن المنذر .

(٥) أحد ملوك الفرس . (٦) أى تحدث بعده . (٧) سورة المطففين : الآية ١٣ .

(٨) مثل ما جاء في هذه السور : الأنعام : ٢٥ ، الأنفال : ٣١ ، النحل : ٢٤ ،

المؤمنون : ٨٣ ، الفرقان : ٥ ، النمل : ٦٨ ، الأحقاف : ١٧ ، القلم : ١٥ .

* قریش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ :

فلما قال النضر ذلك بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط ^(١) إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهما : سلوهم عن محمد ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجوا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره ، وأخبروه ببعض قوله ، وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فرأوا ^(٢) فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

* قریش تسأل والرسول يجيب :

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قریش فقالوا : يا معشر قریش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم عما سألتهم عنه غداً ، ولم يستثن ^(٣) فأنصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله تعالى إليه في ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، حتى حزن ^(٤) رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ^(٥) ، يقول الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ^(٦) .

(١) كان عقبة بن أبي معيط من أشد الكفار أذى للمسلمين وللرسول ﷺ بالقول

(٢) فعل أمر من رأى ، أى افعلوا به ما ترون .

والفعل .

(٣) أى لم يقدم المشيئة لم يقل : إن شاء الله .

(٤) بمعنى أحزن . (٥) وهو ذو القرنين .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

— ٢٧٤ — ابن إسحاق —

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح
السورة فقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ يعنى محمد إنك رسول
منى ، تحقيقاً لما سأله عنه من نبوته : ﴿ ولم يجعل له عوجاً * قيماً ﴾ أى معتدلاً لا
اختلاف فيه : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ﴾ ^(١) قال : عاجل عقوبة فى الدنيا ،
وعذابه فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولا .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) سورة الكهف : الآيات ١ - ٢ .

باب أحاديث الأخبار وأهل الكتاب

بصفة النبي ﷺ

* الرسول يُسئل عن الروح وإجابته :

نا يونس عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله ^(١) قال كنت مع رسول الله ﷺ فهو يمشى في حرث ومعه عسيب ^(٢) يتوكأ عليه فمر على ناس من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، فقام إليه بعضهم فقال : أخبرنا يا محمد عن الروح ما هو ؟ فقام رسول الله ﷺ ساكناً لا يتكلم ، فعرفت أنه يوحى إليه ، وكنت وراءه فتأخرت ، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿ قليلاً ﴾ فقالوا : أليس قد نهيناكم أن تسألوه ؟!

* قلة علم البشر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني رجل بمكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أخبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة : يا محمد أرأيت قولك : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ : كلا ^(٤) ، فقالوا : ألسنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه ، فأنزل الله عز وجل فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ إلى قوله : ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾ ^(٥) إني أرى التوراة في علم الله قليل .

(١) هو ابن مسعود ؛ لأنه إذا قيل عبد الله فقط فهو ابن مسعود غالباً ، أما عبد الله بن عباس فتارة يذكر : عبد الله بن عباس ، وتارة يذكر : ابن عباس ، وكذلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود .

(٢) العسيب : جريدة النخل المستقيمة المكشوط خوصها .

(٣) سورة الإسراء : ٨٥ . (٤) أي كلاهما أو كلا منكما .

(٥) سورة لقمان : ٢٧ .

* الحديث عن ذى القرنين :

نا يونس عن بسام مولى على بن الطفيل قال : قام على بن أبى طالب على المنبر فقال : سلونى قبل ألا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى ؛ فقام ابن الكواء (١) فقال : يا أمير المؤمنين ما ذو القرنين أنبى أو ملك ؟ فقال : ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه وناصح الله بنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعته ، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله .

نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن رجل من بنى أسد قال : سأل رجل علياً : أرأيت ذا القرنين (٢) كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب ؟ فقال : سخر له السحاب ومد له فى الأسباب (٣) وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء .

* استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، فحال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا (٤) على الله وتركوا أمره عياناً ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ ، أى اجعلوه لعباً وباطلاً ، واتخذوه هزواً ، أى لعلكم تغلبون ، تغلبونه بذلك ، فإنكم إن

(١) ابن الكواء هذا كان من الخوارج وكان يسأل لى يجادل .

(٢) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليونانى من ولد يوتان بن يافث بن نوح ، وذكر ابن هشام أن اسمه : الإسكندر ، وقال : وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه . انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٠ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان الكلاعى : أن رسول الله ﷺ سئل عن ذى القرنين ، فقال : « ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب » انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٩٦ ط دار المنار .

(٤) بمعنى تكبروا .

وافقتموه وناصفتموه غلبكم ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون أن يسمعوا له ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استتر واستمع دونهم ، فرقاً منهم ، فإن رأى أنهم عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذين يستمعون أنهم لم يسمعوا من قراءته شيئاً وسمع هو دونهم أشاح^(١) له ليستمع منه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلى يسترق السمع دونهم فرقاً منهم ، ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذى يستمع أنهم لم يسمعوا شيئاً من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾^(٢) .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قالت : نزلت فى الدعاء .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن رجل عن مجاهد فى قول الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾^(٣) قال : أمر رسول الله ﷺ أن يجهر بالقرآن بمكة .

نا يونس عن يونس بن عمرو الهمداني عن أبيه عن سعد بن عياض اليماني قال ، كان رسول الله ﷺ من أقل الناس منطقاً^(٤) ، فلما أمر بالقتال شمر ، فكان من أشد الناس بأساً^(٥) .

(١) عند ابن هشام : « أصاخ » .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ .

(٤) أى تكلماً .

(٥) أى قوة ، وورد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب كأنه منذر جيش .

* عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا ؟ - وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون - فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم فكلّمه ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة (١) في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفّتهم به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا (٢) حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك ، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً (٣) تراه ، ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، ولعل هذا الذي تأتى به شعر جاش به صدرك ، فإنكم لعمرى يا بني عبد المطلب تقدرّون منه على ما لا يقدر عليه أحد ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع مني ، قال : أفعل ، فقال رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ﴾ (٤) فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

(١) أى الشرف وعلو المكانة .

(٢) أى جعلناك سيداً علينا .

(٣) الرئى : ما يظهر للناس من الجن وهذا الموضع كرره ابن إسحاق .

(٤) سورة فصلت : الآيات ١ - ٣ .

بغير

ورائى

ولا ا

ما هـ

كفيت

الناس

فاصن

حتى

استط

أبى .

المشر

لحلاو

* عتبة يعترف للمشركين بأن محمداً على حق ويأمرهم بتركه :

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، فقال : هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم (١) .

* قريش تفتن ضعفة المسلمين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الإسلام جعل يفشو (٢) بمكة حتى كثر فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن (٣) من استطاعت فتنته من الناس ، فقال أبو طالب يمدح عتبة بن ربيعة حين رد على أبى جهل ، فقال : ما تنكر أن يكون محمد نبياً ؟ ! .

عَجِبْتُ لِحِلْمِ يَا ابْنَ شَيْبَةَ وَأَحْلَامُ أَقْوَامٍ لَدَيْكَ سِخَافِ
يَقُولُونَ شَايِعٌ مَنْ أَرَادَ مُحَمَّدًا بِسَوْءٍ وَقَمٍ فِي أَمْرِهِ بِخِلَافِ
فَلَا تَرْكِبَنَّ الدَّهْرَ مِنِّي ظَلَامَةً وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عِبْدِ مَنْأَفِ
وَلَا تَتْرَكْنَهُ مَا حَيَّيْتُ لِمَطْمَعِ وَكَنَ رَجُلًا ذَا نَجْدَةٍ وَعَفَافِ
تَدُورُ الْعَدَى عَنْ دَوْرَةِ هَاشِمِيَّةِ أَلَا فَهَمٌ فِي النَّاسِ خَيْرَ آلَافِ
فَإِنْ لَهُ قُرْبًا لَدَيْكَ قَرِيبَةً وَلَيْسَ بِذِي حَلْفٍ وَلَا بِمُضَافِ

(١) وهذه شهادة من مشرك ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وهذا يؤكد أن من المشركين من كان يعلم أنه على حق ، وورد أيضاً أن عتبة قال لهم : لقد سمعت كلاماً إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

(٢) أى ينتشر .

(٣) تفتن أى ترد وتمنع من أراد الإسلام .

ولكن من هاشم في صميمها
وزأحم جميع الناس فيه وكن له
فإن غضبت فيه قريش فقل لهم :
فما بالكم تغشون منا ظلامه
وما قومنا بالقوم يغشون ظلمنا
ولكننا أهل الحفاظ والنهي
* الرسول يأمر قريشاً باتباعه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ قال : يا معشر قريش اتبعوني وأطيعوا أمري فإنه الهدى ودين الحق يعززكم ويمنعكم من الناس :
﴿ ويمدكم بأموال وبنين ﴾ (٢) فقالت قريش : « إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » فأنزل الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ إلى قوله : ﴿ أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٣) .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث قال : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أدعو قريشاً لتملك بتلك برأً وبحراً ، وقد جعلوا طعامي كطعام الحجلة ، يا معشر قريش أطيعوني يظأ الناس أعقابكم إلى يوم القيامة ، قال أبو جهل : والله لئن بايعناك يا ابن أخي لا تبائعك مضر ولا ربيعة ، قال : بلى والله طوعاً وكرهاً ، وفارس والروم .

* شفقة الرسول ﷺ على المشركين :

نا يونس عن محمد بن أبي حميد المدني عن محمد بن المنكدر قال : أتى رسول الله ﷺ فقيل له : إن قريشاً يتواعدونك ليقتلوك ، فخرج رسول الله ﷺ من باب الصفا حتى وقف عندها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله قد أمر السماء أن تطيعك ، والأرض أن تطيعك ، وأمر الجبال أن تطيعك ، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذاباً منها ، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم ، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم .

(١) أى نصيراً . (٢) سورة نوح : الآية ١١ . (٣) سورة القصص : الآية ٥٧ .

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي المنهال عن سعيد وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : لما أتى موسى قومه فأمرهم بالزكاة جمعهم قارون فقال : هذا جاءكم بالصوم والصلاة وأشياء تحملونها ، أفتحملون أن تعطوه أموالكم ؟ قالوا : ما نحتمل أن نعطيهم أموالنا فما ترى ؟ قال : أرى أن ترسلوا إليه بغى بنى إسرائيل فتأمروها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها ، فرمت موسى على رؤوس الناس بأنه قد أرادها على نفسها ، فدعا الله عليهم ، فأمر الله الأرض أن تطيعه ، فقال للأرض : خذهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذهم فأخذتهم إلى حُجْزهم^(١) ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذهم ، فأخذتهم فغيبتهم فيها ، فأوحى الله إليه أن يا موسى سألك عبادى وتضرعوا إليك فلم تجبهم ، لو إياى دعوا لأجبتهم^(٢) .

* الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام :

نا يونس عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ ، إنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة^(٣) إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل : يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله ، إنى أدعوك إلى الله ، فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت متته عن سب آلهمنا ، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حقاً ما تبعتك ، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل على فقال : والله إنى لأعلم أن ما يقول حق ولكن بنى قُصَى قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ؛ قالوا : فينا الندوة ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا اللواء ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا السقاية : قلنا : نعم ؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تماكت الركب^(٤) قالوا : منا نبى فلا والله لا أفعل .

* * *

(١) الحُجْز : موضع شد الإزار من الوسط . انظر المعجم الوجيز ١٣٦ .

(٢) وهذا خير دليل على رحمة الله حتى بالعصاة والمذنبين فما بالنا بالمطيعين ؟

(٣) أى طرقات . (٤) يقصد تساوا .

* فرعون أمة محمد :

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل أمة فرعوننا ، فإن فرعون هذه الأمة أبو جهل .

* ما نزل في القرآن زجراً لأبي جهل :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه تلا : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ (١) قال : يقول المذمومة نزلت في أبي جهل بن هشام .

* دعاء الرسول ﷺ على صناديد الكفر :

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن ميمون الأودي قال : نا عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، فقال أبو جهل لأصحابه ، وهم جلوس عنده : من يذهب فيأتينا بسلى الجزور (٢) عند بني فلان ، فقام غاو منهم فجاء به فقيل له : إذا رأيت محمداً ساجداً فضعه بين كتفيه ، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، فلم يتحلل حتى فرغ من سجوده ، وبلغ فاطمة (٣) فجاءت وهي جارية (٤) فأخذته وجعلت تمسح عن ظهر رسول الله ﷺ ثم أقبلت عليهم تشتمهم واستضحكوا حتى صرعوا فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته استقبل الكعبة ورفع يديه فدعا عليهم : اللهم عليك بعمر بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة وعمارة بن الوليد ، وأميمة بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، قال عبد الله بن مسعود : وأنا يومئذ غلام غير ذي منعة في القوم ، فوالذي أنزل الكتاب على محمد لقد رأيتهم صرعى في الطوى طوى بدر (٥) .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد قال عمر بن الخطاب فيما يزعمون

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) سلى الجزور : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه .

(٣) هي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنة أعظم الخلق محمد ﷺ وزوجة عظيم من

الصحابه على كرم الله وجهه ، وأم أعظم شهيدين الحسن والحسين ، سيدى شباب أهل الجنة ﷺ .

(٤) يعنى صبية لم تبلغ مبلغ الشباب .

(٥) وأنزل الله على نبيه ﷺ في شأن أبي جهل : ﴿ أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا

صلى ﴾ إلى آخر الآيات زجراً ووعيداً له وبيان جزائه عند الله .

بعد إسلامه يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله ﷺ ، وقائل يقول قالها أبو طالب ^(١) ، فالله أعلم بمن قالها :

أَفِيقُوا بَنِي غَالِبٍ وَأَنْتَهُوا عَنْ الْبَغْيِ فِي بَعْضِ ذَا الْمَنْطِقِ
وَالَا فَإِنِّي إِذَا خَائِفٌ بِوَاتِقٍ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي
تَكُونُ لَغَابِرِكُمْ عِبْرَةٌ وَرَبِّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ
كَمَا ذَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ثَمُودَ وَعَادَ فَمَنْ ذَا بَقَى
غَدَاةَ أَتَاهُمْ بِهَا صَرَصَرًا وَنَاقَةَ ذِي الْعَرْشِ إِذْ تَسْتَقِي
فَحَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَا سُخْطَةٌ مِنْ اللَّهِ فِي ضَرْبَةِ الْأَزْرَقِ
غَدَاةَ يَعْضُ بِعِرْقُوبِهَا حُسَامَ مِنَ الْهِنْدِ ذُو رَوْنَقِ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَمْرِكُمْ عَجَائِبَ فِي الْحَجَرِ الْمَلْصَقِ
بَكَفٌ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَقِي
فَأَيَسُّهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ عَلَى رَغْمِ ذَا الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ
أَحْيَمُ مَخْزُومِكُمْ إِذْ غَوَى بَغْيَ الْغَوَاةِ وَلَمْ يَصْدُقِ

* هلاك من عاند الرسول ﷺ :

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : أيها الناس انظروني ، وقريشاً فإن غلبوني فسترون ذاكم ، وإن غلبهم الله لي فانتظروا ، فكف ناس وقالوا : صدق إن غلب قريشاً فما ذاك إلا من الله ليس من هذا فكفوا ^(٢) عن قتاله ، وأبى آخرون فهلكوا .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن حكيم بن الديلم عن الضحاك بن مزاحم عن

(١) ربما يكون هذا الرأي أقرب للصواب - والله أعلم - وذلك لورود شعر كثير له في مواطن متعددة ، أما عمر فلم يرد عنه شعر إلا نادراً جداً .
(٢) كفوا : أي امتنعوا .

— ٢٨٤ — ابن إسحاق —

عبد الله بن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ^(١) قال : كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي ألم تر إلى البعير يكون في الإبل فتراه يخطر بذنبه شائعاً .

* * *

†

jabir.abbas@yahoo.com

(١) سورة النجم : ٦١ ، وسامدون : أى لاهون معرضون ، وقد ذكر النحاس أن الرسول ﷺ عندما قرأ : ﴿ أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تُبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ لم ير ضاحكا إلا متبسما حتى مات ﷺ . انظر تفسير القرطبي ٩ / ٦٥٢٤ ط . دار الغد العربي .

حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة (١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة توثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة (٢) من قومه وعمه (٣) لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده (٤) ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمناً على ديننا ، ولم نخش منه ظملاً (٥) .

* قريش ترسل لملك الحبشة كي يرد المسلمين :

فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأمناً أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص (٦) ، وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقه (٧) ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هياؤا له هدية على ذي حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، وإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا (٨) .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا له هديته وكلموه

(١) تقدم الحديث عن هذا الموضوع في الفصل السابق ، لكن هنا روايات مختلفة عما

مضى .

- (٢) أي في حفظ وحماية .
- (٣) أي : أبي طالب .
- (٤) هو النجاشي .
- (٥) وهذا تأكيد على عدالة النجاشي وحسن ضيافته لهم .
- (٦) ولم يكن قد أسلم بعد لأنه أسلم بعد الهجرة للمدينة .
- (٧) أي قواده .
- (٨) يلاحظ أن الراوى يقدم ويؤخر في سرد الأحداث .

وقالوا له : إنا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم ، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل ، ثم قدما إلى النجاشى هداياه ، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم ^(١) ، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ^(٢) ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائهم : آبائهم ، وأعمامهم ، وقومهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، فقالت بطارقتة : صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عينا ، فإنهم لم يدخلوا فى دينك فتمنعهم بذلك ، فغضب ثم قال : لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، وأكلمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوارى غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم ، ولم أنعمهم عينا ^(٣) .

• استدعاء النجاشى المهاجرين وما دار بينهم من حوار :

فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شئ أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم ، فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقال : وماذا تقول ، نقول والله ما نعرف ، وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا كائن فى ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب ^(٤) ، فقال له النجاشى : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ، فارقتم دين قومكم ، ولا تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية ، فما هذا الدين ؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك : نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ،

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان النجاشى يدين بالنصرانية ، وقالوا له هذا ليستعطفوه حتى يقسو عليهم .

(٣) وفى هذا نرى مدى عدالة النجاشى ، لا يتأثر برأى من حوله حتى يعلم الحقيقة

بنفسه وهكذا يكون عدل الملوك والحكام .

(٤) تحدث نيابة عنهم .

ونسىء الجوار ، ونستحل المحارم ^(١) بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ، ونحسن الجوار ، ونصلى ونصوم ، ولا نعبد غيره ، فقال : هل معك شيء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله ؟ فقال جعفر : نعم ، قال : هلم فأتنا على ما جاء به ، فقرأ عليه صدرًا ^(٢) من ﴿ كهيعص ﴾ ^(٣) فبكى والله النجاشى حتى أخضل لحيته ^(٤) ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذى جاء بها موسى ^(٥) ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عيناً ، فخرجنا من عنده ، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله ابن أبى ربيعة ، فقال له عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يعبد - عيسى ابن مريم - عبد ، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولم حقاً ، فقال : والله لأفعلن ^(٦) .

* المهاجرون يشرحون للنجاشى رأى الإسلام فى عيسى عليه السلام :
فلما كان الغد دخل عليه ^(٧) فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولاً

(١) أي ننتهك المحارم . (٢) أي بداية سورة مريم .

(٣) سورة مريم : الآية ١ . (٤) أي ابتلت .

(٥) عند ابن هشام : « جاء به عيسى » وهو الصواب ، لأن النجاشى يدين بالنصرانية ويؤمن بعيسى ، وقيل غير ذلك .

(٦) وهذا يبين مدى ما كان عليه عمرو فى جاهليته من حقد على الإسلام لكنه لما فكر بعد ذلك بجدية وجد أن الإسلام حق فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من عظماء وأبطال المسلمين ، وإليه يرجع الفضل فى إسلام المصريين فهو الذى فتح مصر ، وحررها من رق عبودية الرومان إلى عدالة الإسلام وكان ذلك عام ٢٣ هـ أيام خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعين عمرو والياً على مصر ، وبنى بها أول وأقدم مسجد فى مصر وإفريقيا ، وهو مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط « مصر القديمة الآن » وقد ورد أنه قد أمّ الصلاة فيه ثمانين من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم .

(٧) أي عمرو بن العاص .

الوا
يليه
بشي
مكا

عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عنه ، فبعث إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله فيه ، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقتة ، فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول : هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول فدلّى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقتة ، فقال : وإن تناخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ، والشيوم ^(١) : الآمنون ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ثلاثاً ، ما أحب أن لى دبيراً ^(٢) ، وأنى آذيت رجلاً منكم ، والدبير بلسانهم الذهب ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ^(٣) ، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها ، وأخرجنا من بلادى ، فخرجنا مقبوحين مردود عليهما ما جاء به .

عر
الر
فيه
سد
من
الحب
رج

* فرح المسلمين بانتصار النجاشي :

فأقمنا مع خير جار في خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ^(٤) ، فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد منه ، فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف ، فجعلنا ندعوا الله ، ونستنصره للنجاشي ، فخرج إليه سائراً ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من رجل يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون فقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً ^(٥) : أنا ، فنفعوا له قربة ، فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر

اخت
فلا
هذ
مك
بلاد
فخ
دره
فخ

(١) يقول السهيلي : يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، أو مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته لأنه الآمن غمد عنه السيف . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

١٩٢ / ٢ .

(٢) عند ابن هشام : « دبراً » .

(٣) وهذا دليل على أن الشرفاء قبل الإسلام كانوا يرفضون الرشوة ولا يقبلونها .

(٤) أى أراد أحد الأحباش أن يتولى الملك ويخلع النجاشي .

(٥) أى أصغرهم سناً .

الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر ^(١) النجاشى عليه ، فجاءنا الزبير فجعل يليح إلينا بردائه ويقول : ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشى فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشى ، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة ، وأقام من أقام .

* قصة تملك النجاشى على الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال الزهرى : فحدثت بهذا الحديث عروة بن الزبير عن سلمة ، فقال عروة : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى ، فأخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه ؟ فقال الزهرى : لا ، ما حدثنى ذاك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أم سلمة ، فقال عروة ^(٢) : فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ ، من صلبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكن لأبى النجاشى ولد غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإن له اثني عشر رجلاً من صلبه فيتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلاً لا يكون بينها اختلاف ، فغدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه ، فدخل النجاشى لعمه حتى غلب عليه فلا يدير أمره غيره ، وكان ليبياً فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : لقد غلب هذا الغلام على أمر عمه ، فما نأمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه وجعلناه مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملكه علينا فيقتلنا ، فإما أن نقتله وإما أن نخرجه من بلادنا ، فقال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجوه من بلادكم ، فخرجوا به فوقفوه بالسوق فباعوه من تاجر من التجار ، فقذفه فى سفينته ، بستمائة درهم أو سبعمائة درهم ، فانطلق به ، فلما كان العشى هاجت سخائب الخريف ، فخرج عمه ، يتمطر ^(٣) تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ^(٤) ليس فى أحد منهم خير ، فمرج على الحبشة أمرهم ^(٥) ، فقال بعضهم

(١) أى انتصر .

(٢) كانت السيدة عائشة رضي الله عنها - خالته .

(٣) بمعنى يستمطر : أى يطلب المطر .

(٤) أى حمقى لا يصلحون للرياسة .

(٥) أى اختلط أمرهم وانتشرت الفوضى .

لبعض : تعلمن والله إن ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه حتى أدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره ^(١) وملكوه ، فقال التاجر ردوا على مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك ، فقال : إذا والله أكلمه ، فقالوا : وإن ؛ فمشى إليه فقال : أيها الملك إنى ابتعت غلاماً فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فتزعوه من يدى ولم يردوا على مالى ، فكان أول ما اختبر من صلابة حكمه وعدله أن قال : لتردن عليه ماله أو ليعلن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء ؟ فقالوا : بل نعطه ماله ، فأعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة فأخذ الرشوة فيه حين رد إلى ملكى ، ولا أطاع الناس فى فأطيعهم فيه ^(٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : إنما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وليس كذلك ، إنما كان يكلمه جعفر بن أبى طالب ^(٣) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن فتية من الحبشة قد رأوا رقية بنت رسول الله ﷺ وهى هناك مع زوجها عثمان بن عفان ، وكانت فيما يقال أجمل وأحسن البشر ، وكانوا يقفون إليها ينظرون إليها ويدركلون لها إذ رأوها عجباً منها حتى آذاها ذلك من أمرهم ، وهم يتقون أن يؤذوا أحداً منهم للغربة ، ولما رأوا من حسن جوارهم ، فلما سار النجاشى إلى عدوه ، ساروا معه فقتلهم الله جميعاً لم يفلت منهم أحد .

* قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى ، حين ظهر خبره من الحبشة

(١) أى كرسى الحكم والسلطنة .

(٢) فأطيعهم فيه : استفهام معناه فأطيعهم فيه .

(٣) وهو ما جاء فى كتب السيرة والتاريخ .

فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه فكلّموه وسألوه ، ورجال من قریش فى أُنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قریش فقالوا : خيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمأن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم ، فصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركباً أحق منكم ، أو كما قالوا لهم ؛ فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا نألو أنفسنا خيراً ، ويقال إن نفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان ، ويقال - والله أعلم - إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ إلى قوله : ﴿ لا نبتغى الجاهلين ﴾ (١) .

نا يونس عن أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن ، فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين ، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين ، ففيهم ، أنزل الله : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ (٢) إلى آخر الآية .

* إسلام النجاشي :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت الزهري عن الآيات : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﴿ إلى قوله : ﴿ مع الشاهدين ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ (٤) فقال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون نزلت فى النجاشي وأصحابه .

(١) سورة القصص : الآيات ٥٢ - ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٣ .

(٣) سورة المائدة : الآيات ٨٢ - ٨٣ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

* الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : خرج بنا رسول الله ﷺ إلى المصلي ، فصفنا خلفه ، وكبر بنا أربعاً ، فلما انصرف قلنا : يا رسول الله على من صليت ؟ فقال على أخيكم النجاشي ، مات اليوم (١) .

نا يونس عن عبد الله بن عمر بن شهاب قال : كبر رسول الله ﷺ على النجاشي أربعاً .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : ما كان يزال يرى على قبر النجاشي نور .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان اسم النجاشي أصحمة وهو بالعربية عطية ، وإنما النجاشي اسم الملك ، كقولك كسرى وهرقل .

نا أحمد : نا يونس عن يونس الإيلي عن الزهري قال : قال ابن عمر لرجل جالس معه تمنه فقال : لا أفعل ، فقال ابن عمر : لكني لوددت أن لي مثل أحد ذهباً أحصى وزنه وأودى زكاته .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه عز وجل (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال : رأيت أبا نيزر بن النجاشي فما رأيت رجلاً قط عربياً ولا عجمياً أعظم ولا أطول ولا أوسم منه ، وجده علي بن أبي طالب مع تاجر بمكة فابتاعه منه وأعتقه مكافأة للنجاشي لما كان ولي من أمر جعفر وأصحابه ، فقلت لأبي : أكان (أبو) (٣) نيزر أسود كسواد الحبشة ؟ فقال : لو رأيته لقلت رجل من العرب .

(١) كان موت النجاشي في رجب سنة تسع ، ونعاه الرسول ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع واستغفر له ، وتسمى صلاة الغائب - وورد أن سرير النجاشي (نعشه) وكان بأرض الحبشة رفع للنبي ﷺ وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٢) أي يسأل كريماً بوجود بالخير على عباده ، وورد أن الرسول ﷺ قال : « إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة . . . وفوقه عرش الرحمن » .

(٣) ما بين الحاصرتين زائدة عن الأصل لعلها طمست ، والمعنى لا يستقيم بدونها .

* رفض أبي نيزر ملك الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن الحسن أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته قالت : قدم على أبي نيزر بن النجاشي - وكان على أعتقه - ناس من الحبشة فأقاموا عنده شهراً ينحروا لهم على بن أبي طالب ويصنع لهم الطعام فقالوا له : إن أمر الحبشة قد مرج عليهم ، فانطلق معنا نملكك عليهم ، وإنك ابن من قد علمت ، فقال : أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل ، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه ، وكان أيما رجل غير أنه كان رجلاً يتلمز ويصيب الخمر (١) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مما قيل في الحبشة من الشعر أن عبد المطلب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، حين آمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي ، وعبدوا الله لا يخافون على دينهم أحداً ، وكان قد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال :

يا راكباً أبلغاً عني مغلغلة من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد بطن مكنة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة ولا خزي الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله فاطرحوا قول النبي وغالوا في الموازين
فاجعل عذابك في القوم الذين بغوا وعائد بك أن يعلوا فيطغوني
وقال أيضاً يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومهم في ذلك

فقال :

أبت كبدى لا أكذبك قتالهم على وتآباه على أنامل
وكيف قتالى معشر يادبونهم على الحق ألا ياشبوه بباطل
نفيتم عباد الله من حر أرضهم فأضحوا على أمر كثير البلبل
فإن تك كانت في عدى أمانة عدى بن كعب من يفى ويواسل
فقد كنت أحسب أن ذلك فيكم بحمد الذي لا يطبا بالجعائل
فبدلت شبل شبل كل كتيبة بذى فخرها مأوى الضعاف الأرامل

(١) أى عياب ويشرب الخمر .

وقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم ، وما نشبوا فيه ، أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم فقال ^(١) :

ألا ليت شعري كيف فى النأى جعفر
وهل نال أفعال النجاشي جعفرا
تعلم - أبيت اللعن - أنك ماجد
تعلم بأن الله زادك بسطة ^(٢)
فلنك فيض ذو سجال غزيرة
وقال أبو طالب أيضاً :

تعلم خيار الناس أن محمداً
أتى بهدى مثل الذى أتيا به
وأنكم تتلونه فى كتابكم
وأنك ما يأتك منا عصاة
* فضل مهاجرى الحبشة :

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن أسماء بنت عميس أنها انطلقت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ناساً من المهاجرين يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله ﷺ : لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مدهنون بمكة ، وهاجرتم بعد ، وكانوا قدموا عليه خبير .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن الزهرى عن قيسبة بن ذؤيب عن أبى سلمة بن عبد الأسد ، وكان ابن عمه رسول الله ﷺ ، وأول من هاجر بظيعته ^(٣) إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة ، وكانت تحته أم سلمة التى هاجر بها ، فلما توفى عنها تزوجها رسول الله ﷺ بعده .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : كنا نسير مع عثمان بن عفان فى طريق مكة إذ رأى عبد الرحمن بن عوف فقال : ما يستطيع أحد أن يعيد ^(٤) على هذا الشيخ فضلاً فى الهجرتين جميعاً - يعنى هجرته إلى الحبشة وهجرته إلى المدينة .

(١) كان حق هذه الأبيات أن تأتى فى أول الفصل فهناك مكانها نظراً لتسلسل الأحداث . (٢) أى قوة وسعة . (٣) يقصد زوجته . (٤) قد تكون بمعنى ينكر والله أعلم .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة (١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : هذه تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من شهد بدرًا ، ومن تخلف حتى قدوم (٢) بعد بدر منهم ، ومن تخلف حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري ، فجعلهم في سفينة ثم بعث بهم إليه فقدموا عام الحديبية سنة سبع ؛ وكان من قدم عليه وشهد معه بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ، ضرب له رسول الله ﷺ في بدر بسهمه وأجره ، وكان يخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت معه بأرض الحبشة ، وله عقب . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل يوم اليمامة (٣) شهيدًا ، وكانت معه امرأته بأرض الحبشة سهلة بنت سهيل بن عمرو أخى بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة ، لا عقب له (٤) .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير .

ومن بنى زهرة : عبد الرحمن بن عوف .

ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص : عثمان بن مظعون .

ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة .

(١) مرغالية هذا الفصل فيما سبق ، وبعضه إعادة لما سبق ، وهذا جعل بعض الباحثين يؤكد أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ولا يرتبها ولا ينسقها ولا يجعلها في موضوعها وإنما تتناثر في أكثر من مكان وأثبتناها كما وجدناها .

(٢) هكذا بالأصل والصواب « قدم » .

(٣) هي حرب الردة وكانت في بداية خلافة أبي بكر الصديق .

(٤) أى لم ينجب ، ليس له ذرية .

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، ويقال : بل هو أبوه ^(١) حاطب بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ، ويقال : بل هو كان أول من قدمها ^(٢) .

ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن ربيعة بن هلال ابن أهيب ، وكانوا هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغنى .

ثم جعفر بن أبي طالب .
ومن بنى نوفل بن عبد مناف بن قصي : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب ، حليف لهم ، رجل ، وله عقب .

ومن بنى عبد الدار : سويط بن سعد بن حرمة بن مالك بن عميلة بن السباق ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم ^(٣) حرمة بنت الأسود بن خزيمه بن أقيش بن عامر بن بياضة بن تبيع بن خيثمة ^(٤) بن خزاعة ، وابناه عمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقه بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير ^(٥) بن عبد بن قصي ، رجل لا عقب له .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف له عقب ، وعلقمة بن أبي وقاص ، ووقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ،

(١) هكذا بالأصل والصواب أن كلمة (أبوه) زائدة لأن حاطب ليس بأبيه ، وقد ورد عند ابن هشام ذكر الاثنين كلاً على حدة ولم يذكر أن حاطب أبوه ولو كان أباه لذكر ابن هشام ذلك انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٥ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) أي حاطب بن عبد شمس من باب عود الضمير على أقرب مذكور .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام ، وربما يكون سقط بالأصل أو طمس ولم يشر النساخ إليه ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٤) عند ابن هشام : « سبيع بن جعثمة » .

(٥) ذكر قبل ذلك « أبي كثير » وجاء عند ابن هشام « أبي كبير » وهو الصواب .

والمطلب ابن أزهري بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود ^(١) وأخوه عتبة بن مسعود .

ومن بهراء : المقداد بن عمرو ، وكان يقال المقداد بن الأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه كان تبناه ، وحالفه ، ستة نفر .

ومن بنى مخزوم : شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرم بن عمر بن مخزوم ، وكان اسم شماس ^(٢) عثمان ، ولا عقب له ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة .

ومن حلفائهم : معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف ، وهو الذي يدعى عيهلة ^(٣) ، بن فليت بن سلول بن كعب بن خزاعة .

ومن بنى عامر بن لؤي ^(٤) : عبد الله بن سهيل بن عمرو ، وله عقب ، وأبو سبرة بن أبي رهم معه امرأته أم كلثوم ابنة سهيل بن عمرو ، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس ابن عبد شمس بن لؤي ، ومعه امرأته عمرة بنت السعدى وسعيد حليف لهم .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص : عثمان بن مظعون ، وابنه السائب بن عثمان ، لا عقب لهما ، وأخوه قدامة بن مظعون ، له عقب ، وحاطب بن الحارث ابن المغيرة بن حبيب بن حذافة ، معه امرأته فاطمة بنت المحجل بن عبد الله ، وابناه

(١) وهو الصحابي المشهور ، وقد روى كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ، وكان يجيد قراءة وتلاوة القرآن ، وورد أن الرسول ﷺ قال له : « اقرأ على » فقال له : « اقرأ عليك وعليك أنزل ، فقال له الرسول ﷺ : « اقرأ على فإني أحب أن أسمع من غيري » فقرأ عليه من سورة النساء حتى قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فبكى الرسول ﷺ ، وقال له : أمسك .

(٢) اسمه عثمان وإنما سمي شماساً ، لأن شماساً من الشامسة قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس بن عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان .

(٣) قيل : يدعى عيهامة .

(٤) مرفى الصفحة السابقة طرُقاً من هذا ، لكن هنا تفصيل أكثر .

ابن إسحاق —

محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لابنة المحجل ، وابنه الحارث بن حاطب معه امرأته فُكَيْهَة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، معه أبنائوه جابر ابن سفيان ، وجُنَادَة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرْحَبِيل بن حَسَنَة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان ، أحد عشر رجلاً .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص : خُنَيْس بن حُذَافَة ، قتل يوم بدر شهيداً لم يكن له عقب إلا امرأته ، وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خلف عليها رسول الله ﷺ بعده ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وهشام بن العاصي ابن وائل ، وأبو قيس بن الحارث ، والحجاج بن الحارث ، ومعمر بن الحارث ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعمران بن رثاب ^(١) بن حُذَيْفَة ؛ ومحمية بن جزء حليف لهم من بنى زبيد ، اثنا عشر رجلاً .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح هلك ^(٢) بعمواس ^(٣) من أرض الشام أميراً لعمر بن الخطاب ، لا عقب له . وسُهَيْل ابن بيضاء ، وهو سُهَيْل ابن بيضاء بن سهيل بن وهب ، والبيضاء أمه - كذا فى الأصل - وهو سُهَيْل بن وهب بن ربيعة ، ولا عقب له ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها وهى دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب ، وكانت تدعى البيضاء ، قتل يوم بدر شهيداً ، وعياض بن زهير بن أبى شديد بن ربيعة لا عقب له ، ويقال ابن ربيعة بن هلال بن مالك ، والحارث بن عبد قيس بن عامر بن أمية ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال ، ثمانية نفر .

ثم تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها منهم من خرج بنفسه وأهله معه .

(١) جاء فى سيرة ابن هشام : « عمير بن رثاب بن حذيفة » .

(٢) كره فريق من العلماء لفظة « هلك » للمسلم عند موته ، واستحبوا أن يقال : مات ، أو استشهد ، أما « هلك » فالأفضل أنها تقال للكافر مثل : هلك أبو جهل : أى مات وفنى ، وهذا رأى له وجهته وحكمته .

(٣) هو طاعون عمواس .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب ، قتل يوم مؤته (١) شهيداً ، أميراً لرسول الله ﷺ ، له عقب ، وكان يقال إنه أول من عقر من المسلمين دابته له عند الحرب ، معه امرأته أسماء بنت عميس بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد عن رجل من بنى مرة بن رباب ، ويقال ابن ذبيان ، قال كأني أنظر إلى جعفر حين لحمته الحرب (٢) عقر فرساً له شقراء (٣) ، ثم قاتل حتى قتل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس : خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من بنى سبيع بن خثعمة من خزاعة ، ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة ابنة خالد ، فتزوج أمة الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير ، قتل خالد يوم مرج الصفر (٤) بأرض الشام ، وعمرو بن سعيد بن العاصي ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن شفى بن محارب بن شفى الكنانى ، قتل يوم أجنادين (٥) ، ولعمرو يقول أبو سعيد :

بكيتُ بشعري عنك يا عمرو
سائلاً إذا شبَّ واشتدت بدماء تبليجا
أتركُ أمر القوم فيه بلابل وتكشف غيظا كان فى الصدر موهجا
ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش ، معه امرأته بركة بنت يسار ، ومعيقب بن أبى فاطمة ، وهو أبوه سعيد بن العاصي ، وله عقب (٦) .
ومن بنى عبد الدار بن قصي : جهم من قيس بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن وهب .
ومن بنى عبد بن قصي : طليب بن عمير بن أبى كبير ، لا عقب له .

(١) غزوة مؤتة كانت بين المسلمين والروم ، واستشهد فيها أيضاً زيد بن حارثة أبو أسامة .
(٢) أى دخل فى الحرب .

(٣) فرساً بيضاء تميل إلى الحمرة .

(٤) كانت موقعة أيام خلافة أبى بكر الصديق عام ١٣ هـ .

(٥) كانت أيضاً عام ١٣ هـ ، وهما من معارك فتوح الشام .

(٦) جاء فى سيرة ابن هشام : « وهؤلاء آل سعيد بن العاص » .

ابن إسحاق —

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن نوفل بن خويلد . ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وهو مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وله عقب ، وعتبة بن مسعود بن الحارث .

ومن بنى تيم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن ربيعة ابن تيم بن مرة ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث من بنى تيم ، ولدت له بأرض الحبشة : موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث . . . وعمر بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم ، رجلان .

* عدد مهاجري الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم ، أو ولدوا بها نيفاً وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فقالت هند بنت عتبة ، تهجو أبا حذيفة حين أسلم :

الأحول الأبلق المقلوبُ كليتهُ أبو حذيفة شر الناس في الدين
مَآذَا جَزَيْتَ أَبَا رَبَّاكَ مِنْ صَغَرٍ ثَمَّتَ غَذَاكَ غِذَاءَ غَيْرِ مُحْجُونَ

* كتاب النبي ﷺ للنجاحشى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وهذا كتاب النبي ﷺ إلى النجاحشى :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاحشى الأصحم ، عظيم الحبشة (١) .

(١) نلاحظ هنا مدى ما كان يتمتع به النبي ﷺ من أدب جم وخلق رفيع ، وأسلوب حسن في تعامله مع الناس ، وأنه كان ينزل الناس منازلهم ، أى يوقرهم لمكانتهم ، وقد أمرنا ﷺ بذلك ، وقال فيما معناه أيضاً : « ليس منا - أى فى هدينا وسنتنا - من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعطى لعالمنا حقه » ، وهذا درس فى أدب التعامل والمعاملات نستفيد منه من خير الخلق ﷺ فصدق من قال : ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ وصدق ﷺ حين قال : « أدبى ربى فأحسن تأديبى » .

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولم يتخذ صاحبة ، ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم : ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ (١) فإن أبيت فعليك إثم النصارى قومك .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال عبد الله بن الحارث السهمي يذكر نفى (٢) قريش إياهم :

تلك قريشٌ تجحدُ اللهَ حقَّه	كما جحدت عادٌ ومدينٌ والحجرُ
فإن أنا لم أبرق فلا يسعني	من الأرضِ برٌّ ذو قضاءٍ ولا بحرُ
بأرضٍ بها عبدُ الإله محمدٌ	أبين ما في النفس إذ بلغ الثغر

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٢) أى طرد وإبعاد .

حديث ما لقي رسول الله ﷺ من أذى قومه * أشد ما أودى به الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصي : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فقالوا فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سقاه أحلامنا وشتم آبائنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قال : فبيناهم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول (١) ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ (٢) ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها في وجهه ، فمضى ، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح (٣) ، فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع ، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لتلقاه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما أنت بجهول ، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ، فيينا هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل ، وأحاطوا به يقولون أنت الذي يقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : نعم ، أنا الذي أقول ذلك ، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكي ويقول : ويلكم ﴿ أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾ (٤) ! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض آل أم كلثوم بنت

(١) أي تكلموا كلاماً مستهزئاً به ، ويسخرون منه .

(٢) أي ظهر على وجهه الأسى والحزن والتأسف لما سمعه منهم .

(٣) يعرض ﷺ بهلاكهم . (٤) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٥) وهذا يبين مدى ما لاقاه الرسول ﷺ في سبيل تبليغ الدعوة من أذى المشركين

والصبر عليهم .

أبى بكر أنها كانت تقول : لقد رجع أبو بكر ذلك اليوم ، ولقد صدعوا فرض رأسه بما جذبوه ، وكان رجلاً كثير الشعر .

* إيذاء أبى جهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس البكري قال : كان رسول الله ﷺ يصلى فلما سجد جاءه أبو جهل فوطىء عنقه ، فأنزل الله فيه : ﴿ أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى ﴾ أبو جهل : ﴿ أرأيت إن كان على الهدى ﴾ محمداً : ﴿ أرأيت إن كذب وتولى ﴾ أبو جهل : ﴿ كلا لئن لم ينته ﴾ أبو جهل : ﴿ سندع الزبانية ﴾ (١) ، قال : هم تسعة عشر خزنة النار ، فقال رسول الله ﷺ : والله لئن عاد لتأخذنه الزبانية ، فانتهى فلم يعد .

نايونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : بات جهلة قوم رسول الله ﷺ عامة ليلة يقولون له : يا محمد ، تكفر آبائك وتراد أمرهم ، وتفعل وتفعل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أفغير الله تأمروننى أعبد أيها الجاهلون ﴾ إلى قوله : ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ (٢) .

* ابن أم مكتوم وسورة عبس :

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال : كان رسول الله ﷺ جالساً وعنده عتبة بن ربيعة (٣) ، وابن أم مكتوم (٤) الأعمى ، فقال : يا رسول الله علمنى القرآن ، فعبس (٥) رسول الله ﷺ فى وجهه وصرفه (٦) عنه كراهية أن يزهد إقباله

(١) سورة العلق : الآيات ٩ - ١٨ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ .

(٣) ورد فى رواية أخرى أنه الوليد بن المغيرة وكان رسول ﷺ يطمع فى إسلامه .

(٤) هو سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ، وكان كفيفاً ، وكان يؤذن الأذان الثانى للفجر ، وهو الذى قال عنه النبى ﷺ : « إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » ، وهذا الحديث عن الصيام وذلك أن بلالاً كان يؤذن الأذان الأول للفجر وابن أم مكتوم كان يؤذن الأذان الصادق الذى به يجب الإمساك .

(٥) عبس أى تجهّم وظهر على ملامح وجهه الغضب والتضجر .

(٦) أى أعرض عنه وتركه .

— ٣٠٤ — ابن إسحاق —
 عليه عتبة في الإسلام ^(١) ، يقول : إنما يتبع هذا ^(٢) العميان والمساكين ، فأنزل الله تعالى : ﴿ عبس وتولى ﴾ إلى قوله : ﴿ فأنت له تصدى ﴾ عتبة : ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ وهو يخشى ^(٣) ، ابن أم مكتوم ، فلم يعذر رسول الله ﷺ بمثل ذلك ^(٤) .

* الرسول يدعو إلى التوحيد :

نا يونس عن مسعر بن كدام عن أشعث بن أبي الشعثاء عن رجل من كنانة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

* * *

(١) فعل الرسول ﷺ ذلك لأنه كان حريصاً على إسلام عتبة .

(٢) أي محمداً ﷺ .

(٣) سورة عبس : الآيات ١ - ٩ .

(٤) وذلك لأن هذه الآيات كلها عتاب من الله تعالى لنبيه ﷺ وورد أن الرسول ﷺ بعد ذلك كان إذ لقي ابن أم مكتوم رحب به وألان له الحديث وقال له « مرحباً بمن عاتبنى ربي فيه » أو معناه .

قصة النبي لما عرض نفسه على العرب

* الرسول يدعو القبائل في المواسم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فكان رسول الله ﷺ على مثل ذلك من أمره يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، يعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله تعالى من الهدى والرحمة .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري قال : أتى رسول الله ﷺ ناساً من كندة في مياه لهم ، وفيهم سيد لهم فقال ^(١) له فليح ^(٢) ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه . ثم أتى حياً من كلب يقال لهم بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أيكم ، فلم يقبلوا ، فأعرض عنه ^(٣) .

نا يونس عن يزيد بن زياد عن أبي الجعدى عن جامع بن شداد عن طارق قال : رأيت رسول الله ﷺ مرتين : رأيته بسوق ذي المجاز وأنا في بيعة لى ، فمر وعليه حلة حمراء فسمعتة يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه ، وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب ، فقلت : من هذا ؟ ف قيل هذا غلام من بنى عبد المطلب ، فقلت من هذا الذى يرميه بالحجارة ؟ ف قيل : عمه عبد العزى ، أبو لهب ، بن عبد المطلب ، فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ومعنا طعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينما نحن قعود إذا أنا برجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال : من أين أقبل القوم ؟ فقلت : من الربذة ، ومعنا جمل أحمر ، فقال : تبيعون الجمل ؟ فقلنا : نعم ، فقال : بكم ؟ فقلنا : بكذا وكذا صاعاً من تمر ، فقال : قد أخذته وما استنقصنا ، وأخذ بخطام الجمل فذهب به حتى توأرى بحيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض : أتعرفون الرجل ؟ فلم يكن منا أحد يعرفه ، فلام القوم بعضهم بعضاً وقالوا : تعطون

(١) الصواب : يقال كما جاء فى ابن هشام .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام . مليح .

(٣) أى فأعرض الرسول ﷺ عن الحى ، وعند ابن هشام : « ما عرض عليهم » .

جملكم من لا تعرفون ! فقالت الطعينة : فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشى أتانا رجل فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، أنتم الذين جئتم من الربذة ؟ فقلنا : نعم ، فقال : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا ، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا ، ثم قدمنا المدينة من الغد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر ، فسمعتة يقول : يد المعطى العليا ، وأبدأ بمن تعول (١) : أمك وأباك وأختك وأخاك ، وأدناك أدناك ، وثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانا في الجاهلية فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول الله ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال : لا تجنى أم على ولد ، لا تجنى أم على ولد (٢) .

يونس عن يونس بن عمرو عن أبي السفيان سعيد بن أحمد الثوري قال : بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال : أطعمني من عنب جنتك ، وأبو بكر الصديق جالس عند رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : ﴿ إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ (٣) .

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : ولما سمع أبو سفيان بإسلام خفاف بن إيماء ابن رخصة قال : لقد صبأ (٤) الليلة سيد بني كنانة . نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يعقوب بن عتبة عن سالم ابن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل من قريش بمكة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ألم يبلغني أنك تنهى عن السبأ ، يقول عن سبأ العرب ، فقال رسول الله ﷺ : بلى ، فتحول الرجل فكشف عن استه (٥) في وجه رسول الله ﷺ (كذا) ،

(١) بمن تعول : أى من يلزمك ويجب عليك نفقتهم .

(٢) وهذا أمر من الرسول ﷺ ولفظ الجنابة عام يشمل الضرب وغيره ، وقد ورد أن النبی ﷺ نهى أن يدعو الأب أو الأم على الابن فقال : « لا يدعو أحدكم على ولده فتوافق ساعة الإجابة » أو معناه ، أو الدعاء على الأبناء تجنى عليهم .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٠ .

(٤) صبأ : أى ترك دين إلى دين آخر .

(٥) الاست : مقعدة الإنسان أو فتحة الشرج .

— ابن إسحاق — ٣٠٧ —

فلعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ ^(١) فأسلم الرجل بعد ذلك وحسن إسلامه .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه قال : شَجَّ غلام من قريش فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهى غادية ، فنادت يا آل عبد شمس ، فخرج أبو سفيان ، وخرج أبو جهل فقال : يا أبا سفيان هذه يدى فرجع .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبي أنه سئل عن الزنيم ^(٢) ، فقال هو الرجل تكون له الزنمة من الشر يعرف بها ، وهو الأخنس بن شريق الثقفى نزلت فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار عن رجال من بنى سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العزى ^(٣) ، أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، على رسول الله ﷺ بمكة ، فقالت له قريش حين أنزلت عليه ألا تسمع يا حار ^(٤) ما يقول ابنك هذا ! قال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من أطاعه ، وقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا ، فأتاه فقال : أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟! فقال رسول الله ﷺ : نعم ، أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبة ^(٥) لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهري عن عروة عن عائشة

(١) سورة آل عمران : ١٢٨ .

(٢) من معانى الزنيم أيضاً : الدعى فى القوم وليس منهم ، وكان الأخنس حليف

بنى زهرة .

(٣) هو زوج السيدة حليلة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ .

(٤) أى يا حارث فرخم بحذف الحرف الأخير . (٥) أى يا أبت .

قالت كان لأبى بكر مسجد ^(١) بفناء داره ، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاء كبيراً ، فاجتمع إليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رفته ^(٢) ، وقد كان استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة حين أودوا بمكة ، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى كان من مكة على يومين لقيه ابن الدغنة ، رجل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان سيد الأحابيش ، فقال له : أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذانى قومى وأخرجونى من بلادى ، فأود أن أؤم بلدًا أكون فيه ، أستريح من أذاهم ، وآمن منهم ، فقال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدم ، ارجع فأنت فى جوارى ، فرجع ، فلما دخل مكة قام فصرخ بمكة : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبى قحافة ، فلا يؤذيه أحد ، وكانوا إذا عقدوا فنخ ^(٣) ، وكف عنه هذا الحى من قريش ، وكان إذا صلى فى مصلاه ذلك بمكة كان من أمره ما وصفت ، فمشى إليه رجال من قريش ، فقالوا : يا ابن الدغنة إن هذا الرجل الذى أجرت ، رجل له حال ما هو لغيره ، إنه إذا تلا ما جاء به محمد بكى بكاء لا يبيكه أحد ^(٤) ، فيرق لذلك منه ضعفًا ونساؤنا وخدمنا ، فمره فليكف عنا ، يتخذ مصلى غير هذا فى بيته ، فمشى إليه ابن الدغنة فقال : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذى قومك ، فاتخذ مصلى غير هذا ، فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله فقال : نعم ، فقال أبو بكر : لقد رددت عليك جوارك ، فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش إن أبا بكر قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

* * *

(١) المسجد : هو موضع السجود ، والمكان المخصص للصلاة ، ويظهر من هذا أن أبا بكر كان يخصص فى بيته مكانا للصلاة ، ومن هنا استحَب فريق من العلماء أن يكون بالبيت مكان مخصص بالصلاة يسمى « مسجد البيت » يصلى فيه أهله النفل والتطوع والتهجد وقيام الليل وتصلى فيه النساء وليتعود الأطفال على الصلاة إذا رأوا الأب والأم يصليان . وهذا رأى وجيه .

(٢) ورد أنه كان رجلاً أسيفاً أى رقيق القلب كثير البكاء ﷺ . (٣) أى منع .

(٤) وهذا دليل رقة أبى بكر وشدة إيمانه ومدى تأثره عند تدبر القرآن أثناء التلاوة .

وفاة أبي طالب وما جاء فيه

* المشركون يطلبون من أبي طالب عهداً بينهم وبين ابن أخيه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال أبو جهل وعُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة ، والعاصي بن سعيد ، وأمّية بن خلف : يا معشر قريش إن هذا الأمر يزداد وإن أبا طالب ذو رأى وشرف وسن ، وهو على دينكم — وهو اليوم مدنف (مريض) ، فامشوا إليه فأعطوه السواء يأخذ لكم وعليكم في ابن أخيه ، فإنكم إن خلوتهم بعمر بن الخطاب وبحمزة بن عبد المطلب وقد خالفا دينكم تكون الحرب بينكم وبين قومكم ، فأقبلوا يمشون إلى أبي طالب ^(١) حتى جاءوه فقالوا : أنت سيدنا وأنصفنا في أنفسنا ، وقد رأيت الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك ، من تركهم ألهتنا وطعنهم في ديننا ، وقد فرق بيننا محمد وأكفر ألهتنا وسب آبائنا ، فأرسل إلى ابن أخيك ، فأنت بيننا عدل .

* الرسول يرد على عمه أبي طالب :

قال : فأرسل أبو طالب إلى رسول الله ، ، فاتاه ، فقال : هؤلاء قومك وذووا أسنانهم وأهل الشرف منهم ، وهم يعطونك السواء ، فلا تمل عليهم كل الميل ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا أسمع قولكم ، فقال أبو جهل بن هشام : ترفضنا من ذكرك ، ولا تلزمنا ولا من ألهتنا ، في شيء فندعك وربك ، فقال رسول الله ﷺ : إن أعطيتكم ما سألتكم ، أمعطي أتم كلمة واحدة لكم فيها خير ، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فقال أبو جهل ، وهو مستهزئ نعم لله أبوك كلمة نعطيكمها وعشرة أمثالها ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فنفروا من كلامه وخرجوا مفارقينه وقالوا : ﴿ امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ﴾ ^(٢) . وكان ممشاهم إلى أبي طالب لما لقوا من عمر ^(٣) ، وسمعوا منه .

(١) أي ليطلبوا منه أن يأخذ على ابن أخيه عهداً ، وذلك قبل موته .

(٢) سورة ص : الآيات ٦ - ٨ .

(٣) أي بعد إسلام عمر وإظهار الإسلام .

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : فلما رأى رسول الله ﷺ تكذيبهم بالحق قال : لقد دعوت قومي إلى أمر ما اشتطت في القول ، فقال عمه : أجل لم تشتط ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك - وأعجبه قول عمه - يا عم بك على كرامة ويدك عندي حسنة ، ولست أجد اليوم ما أجزيك به ، غير أني أسألك كلمة واحدة تحمل لي بها الشفاعة عند ربى ، أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تصيب بها الكرامة عند الممات ، فقد حيل بينك وبين الدنيا ، وتنزل بكلمتك هذه الشرف الأعلى في الآخرة ، فقال له عمه : والله يا ابن أخى لولا رهبة أن ترى قريش إنما ذعرنى الجزع ، وتعهدك بعدى سبة تكون عليك وعلى بنى أيبك غضاضة لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لما أرى من شدة وجدك ونصحك لى . .

* أبو طالب يأمر بنى المطلب باتباع محمد :

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره ، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا ، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : تأمرهم بالنصيحة وتدعها لنفسك ؟! فقال له عمه : أجل لو سألتنى هذه الكلمة وأنا صحيح لها لاتبعتك على الذى تقول ، ولكنى أكره الجزع عند الموت وترى قريش أنى أخذتها عند الموت ، وتركتها وأنا صحيح ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالهتدين ﴾ (١) .

* ما حدث عند وفاة أبى طالب :

نا يونس عن محمد بن أبى أنيسة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأبى طالب : يا عماء ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب (٢) عن ملة عبد المطلب ؟ ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال له أبو طالب ، آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، ويأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما

(١) سورة القصص : الآية ٥٦ .

(٢) المعنى أترك وتبعد .

— ابن إسحاق — ٣١١ —

لم أنه ^(١) عنك ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ ^(٢) ، وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ياسر قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ ^(٣) نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما يجيء به أن يتبعه .

* الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن إسحاق قال : لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه فقال له : يا عم قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة ، قال : والله يا ابن أخي لولا أن تكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدى يرون أنني قتلها جزعاً حين نزل بي الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها ^(٤) فلما ثقل أبو طالب روى يحرك شفتيه ، فأصغى إليه العباس ليسمع قوله ، فرفع العباس عنه فقال : يا رسول الله قد والله قال الكلمة التي سألته ^(٥) ، فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

* الرسول يسأل عن جزاء عمه بعد موته :

نا يونس عن سنان بن إسماعيل الحنفى عن يزيد الرقاشى قال : قيل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أبو طالب ونصرتك لك وحيطته عليك أين منزلته؟ فقال رسول الله ﷺ : هو في ضحضاح ^(٦) من نار ، فقيل : وإن فيها لضحضاحاً وغمرًا؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، إن أدنى أهل النار منزلة لمن يحذى له نعلان

(١) أى ما لم ينهني ربي عن ذلك .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

(٤) أى لتفرح بها ويحدث لك السرور .

(٥) أى شهد أن لا إله إلا الله .

(٦) أى يصل إلى كعبه لا يفرقه .

من نار يغلى من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه ، قال سنان : فبلغنى أنه يُنادى ترى ألا يعذب أحد عذابه من شدة ما هو فيه ؟!

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب قال : لما مات أبو طالب أتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن أبا طالب ، عمك الكافر ، قد مات ، فقال رسول الله ﷺ اذهب فواره (١) فقلت : والله لا أواريه ، قال : فمن يواريه إن لم تواره ، فانطلق فواره ثم لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني ، فانطلقت فواريته ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقال انطلق فاغتسل ثم ائتني ، ففعلت ثم أتيت ، فلما أن أتيت دعا لى بدعوات ما أحب أن لى بهن ما على الأرض من شيء .

* اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : مازالت قریش كاعين (٢) عنى حتى مات أبو طالب .
نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال علي بن أبي طالب يرثى أباه لما مات :

—خى بنعى والرئيس المسوداً
وذا الحلم لا جلفاً ولم يكُ قعددا
بنو هاشم أو تستباح وتضهدا
وكست أرى حياً لشيء مخلدا
ستوردهم يوماً من الغنى موردا
وإن يفتروا بهتاً عليه وجحدا
صدور العوالى والصفیح المهندا
إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
ولما تروا سلم العشيرة أرشدا

أرقت لنوح آخر الليل غرداً لشيء
أبا طالب مآوى الصعاليك ذا الندى
أخا الهلك خلا ثلمه سيشدها
فأمتت قریش يفرحون لفقده
أرادوا أموراً ريتهم حلومهم
يرجون تكذيب النبى وقتله
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم
ويبدو منا منظر ذو كربهة
فلما تبیدونا ولما نبیدكم

(١) أى ادفنه (واره التراب) .

(٢) أى مانعين عنى أذاهم .

وإلا فإن الحي دون محمد بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له منكم من الله ناصراً وكستُ بلاقٍ صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحى بحظه فسماهُ ربِّي في الكتاب مُحمدا
أغر كضوء الشمس صورة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتعددا
أمين على ما استودع الله قلبه وإن قال قولاً كان فيه مُسددا

آخر الجزء الرابع بحمد الله

بعده وفاة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

jabir.abbas@yahoo.com

القسم الخامس

jabir.abbas@yahoo.com

قال
رضو
قال
ماتا
طالب

صَلَّى
عَلَيْهِ
صَحْبَ

نصيرير
وكانت
عضدا
والمعرا
له ان ا
بعنايته

يقر ويا
عنه

عن عا
والقص
هشام ا

jabir.abbas@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقر البزاز قراءة عليه وأنا أسمع
قال : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبي الحسين
رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي
قال : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب
ماتا في عام واحد (١) فتتبع على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وأبي
طالب ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام ، كان يسكن (٢) إليها .

* جزاء الله خديجة رضي الله عنها :

نا يونس عن فايد بن عبد الرحمن العبدى عن عبد الله بن أوفى أن رسول الله
ﷺ قال : أتاني آت من الله عز وجل يبشر (٣) خديجة ببيت في الجنة من قصب لا
صخب فيه ولا نصب .

(١) سمى ذلك العام عام الحزن ؛ وذلك لشدة حزن النبي ﷺ على فقد أعظم
نصيرين له ، وذلك أن خديجة رضي الله عنها ضربت أروع الأمثلة على عظمة الزوجة الحنون الشفوق
وكانت خير زوجة وخير أم وخير من نصر الرسول وآزره وأعانه ، وأبو طالب كان للرسول
عضداً ، ومنعة وناصرًا ، وكان وفاتها قبل هجرته ﷺ بثلاث سنين ، وكانت رحلة الإسراء
والمعراج بعد وفاتها لكي يخفف الله عن رسوله ﷺ ما فيه من هم وحزن وضيق ولكي يبين
له أن أهل الأرض إذا كانوا قد تخلوا عنك فإن رب الأرض والسماء معك يعينك ويأيدك ويرعاك
بعنايته .

(٢) عند ابن هشام : « يشكو إليها » والاثنا صواب ، فكان ﷺ يسكن إليها : أى
يقر ويطمئن بها ، وأيضاً كان يشكو إليها فعل المشركين به وأذاهم له فكانت تهدئه وتخفف
عنه .

(٣) ذكر ابن هشام في سيرته حديثاً آخر مرسلًا رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة قال ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب »
والقصب : اللؤلؤ المجوف ، النصب : التعب فكان جزاؤها من جنس عملها انظر سيرة ابن
هشام ١ / ٢٢٥ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت ^(١) على خديجة عما كنت أسمع من ذكره لها ^(٢) ، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين ، ولقد أمره ربه أن يبشرها بيت في الجنة من قصب لا نصب ولا صخب ^(٣) .

* غيرة السيدة عائشة من حديث الرسول عن خديجة :

نايونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي قال : نا أبو نجيح أبو عبد الله ابن أبي نجيح قال : أهدى لرسول الله ﷺ جزور ولحم ، فأخذ عظمًا منها فناوله الرسول ^(٤) بيده فقال له : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت له عائشة : لم غمرت يدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن خديجة أوصتني بها ، فغارت عائشة ، وقالت : لكانه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ! فقام رسول الله ﷺ مغضبًا ، فلبث ما شاء الله ، ثم رجع فإذا أم رومان ^(٥) ، فقالت : يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حدث ^(٦) وأنت أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بشدق عائشة وقال : ألسن القائلة كأنه ليس على الأرض امرأة إلا خديجة ؟! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد ^(٧) وحرمتموه ^(٨) .

(١) أي مثل غيرتي .

(٢) ورد أن الرسول ﷺ من شدة حبه للسيدة خديجة رضي الله عنها كان دائما يذكرها بعد موتها بكل خير وطيب - والحق أنها تستحق ذلك - وورد أيضًا أن النبي ﷺ كان يصل أقاربها ومن كانت تصلهم في حياتها ، وذلك لشدة حبه لها ، وإخلاصه ﷺ لها حتى بعد موتها .

(٣) أي لا نصب ولا صخب فيه .

(٤) أي : رسول رسول الله ﷺ وهو المرسال الذي أرسله باللحم .

(٥) هي أم السيدة عائشة رضي الله عنها - ويتضح لنا هنا كيف أن الأم في ذلك العصر كانت تلقى اللوم على ابنتها إذا فعلت ما يغضب الزوج ، وكانت تصلح بينهما وتتدخل للـم الشمل وليس للإفساد .

(٦) أي صغيرة السن .

(٧) أي الأولاد ، ولفظ الولد يطلق على الذكر والأنثى .

(٨) وفي رواية أخرى فيما معناه : « لقد آمنت بي حين كفر الناس ، وواستني بمالها » .

* مكانة السيدة خديجة :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير بناتها (١) مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد .

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ﷺ .

نا يونس قال : كل شيء من ذكر أزواج النبي ﷺ فهو إماء ابن إسحاق حرفًا حرفًا .

* ذكر أبناء الرسول ﷺ وبناته :

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي (٢) ، وتزوج خديجة قبل رسول الله ﷺ - وهى بكر - عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له امرأة ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباشي بن زرارة أحد بنى عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له رجلاً وامرأة ، ثم هلك عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له بناته الأربع : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وولدت بعد البنات : القاسم ، والطاهر ، والطيب ، فذهب الغلمة جميعاً وهم يرضعون .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية .

نا يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر عن محمد بن علي قال : كان

(١) أى خير بنات الدنيا .

(٢) كان عمرها أربعين سنة وكان عمر الرسول ﷺ خمسة وعشرين عاماً ، أو يقرب

من ذلك .

القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجبية ؛ فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص (١) : لقد أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ عوضاً ، يا محمد من مصيبتك بالقاسم : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ * إن شئت لك هو الأبر (٢) .

نا أحمد عن يونس عن ابن إسحاق قال : وعاشت رقية حتى تزوجها عثمان ابن عفان ، فلما ماتت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم ، ويزعمون أنه قد ولد له من رقية غلام ، فذهب وهو صغير رضيع ، وبه كان يكنى عثمان ، أبا عبد الله .

أنا أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت زينب عند (٣) أبي العاصي ابن الربيع ، فولدت له أمامة ، وعلياً ، فذهب على وهو غلام ، وبقيت أمامة حتى تزوجها على (٤) بعد فاطمة ، فتزوجت بعد قتل على المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فهلك عند (٥) .

* * *

(١) الصواب أنه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو كما جاءت الروايات الصحيحة بذلك .

(٢) سورة الكوثر : الآيات ١ - ٣ . (٣) أي زوجته .

(٤) أي على بن أبي طالب - كرم الله وجهه .

(٥) أي ماتت ﷺ .

تزويج فاطمة (١) رضي الله عنها

أنا (أخبرنا) أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خطبت (٢) فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لي مولاة لي : هلا سمعت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ (٣) ؟ فقلت : لا ، قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت : وعندي شيء أتزوج به (٤) فقلت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ فزوجك فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، وكان لرسول الله ﷺ جلال وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أفحمت (٥) ، فوالله ما استطعت أن أتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ فقلت : نعم ، فقال : وهل عندك من شيء تستحلها به (٦) ؟ فقلت : لا والله يا رسول الله ، فقال : ما فعلت درع سلّحتكها (٧) ، فوالذي نفس على بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم ، فقلت : عندي ، فقال : قد زوجتكها فابعث بها إليها فاستحلها بها ، فإن كانت لصدّاق فاطمة ابنة رسول الله ﷺ (٨) .

(١) هي السيدة الفاضلة فاطمة الزهراء أم الإمامين الشهيدين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وزوجة الإمام علي بن أبي طالب ، وكانت السيدة فاطمة أحب بنات الرسول إلى نفسه ، حتى إنها كانت إذا دخلت عليه قام لها ﷺ انظر كتاب « عقيلة آل البيت » تأليف المحققين ط . مكتبه العلم والإيمان بالحسين .

(٢) ورد أيضاً أن عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة تقدم كل منهم على حدة لرسول الله ﷺ لخطبة فاطمة فلم يرد الرسول بالرفض ولا بالقبول ، وبعد أيام ألح عمر على علي أن يتقدم لخطبة فاطمة ، فتقدم .

(٣) أي تقدم الرجال لخطبتها .

(٤) أي هل عندي شيء أتزوج به ؟ ! جملة استفهامية الغرض منها التعجب .

(٥) لم يستطع أن يتكلم لحياثه وخجله من الرسول ﷺ .

(٦) أي المهر . (٧) أي سلّحتك بها .

(٨) مهر ابنة أشرف الخلق أربعة دراهم ، ياليت أولياء الأمور يتأسون ويقتدون برسول الله ﷺ : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » وليس معنى ذلك ألا يأخذوا مهراً ولكن على حسب مقدرة الزوج إن كان غنياً أخذوا ما يناسبهم =

أنا يونس عن عباد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح قال : لما خطب على فاطمة أتاها رسول الله ﷺ فقال : إن علياً قد ذكرك ، فسكتت ، فخرج رسول الله ﷺ فزوجها (١) .

أنا أحمد : أنا يونس قال : سمعت ابن إسحاق قال : فولدت فاطمة لعلي الحسن ، والحسين ، ومحسن ، فذهب مُحسن صغيراً (٢) ، وولدت له : أم كلثوم وزينب (٣) .

أنا يونس عن عمرو بن عمرو عن أبيه عن هانئ بن هانئ عن علي قال لما ولد حسن سميته حرباً ، قال : فجاء رسول الله ﷺ فقال : أروني بُنى ، ماذا سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً ، فقال رسول الله ﷺ : لله عليه ، لا ولكن اسمه حسن (٤) ، فلما ولدت حُسيناً سميته حرباً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال :

= ولا يرهقونه ، وإن كان فقيراً أخذوا ما قدر الزوج على دفعه والأهم من ذلك كله هو معيار الدين والخلق لقول رسول الله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » وما كثر الزنا إلا بسبب المغالة في المهور ، فيا ليت الآباء والأمهات يعقلون ذلك ويتعظون .

(١) ورد فيما معناه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عند زواجها : « لقد أتاني ملك الجبال ، وقال لي : لو شئت لجعلت لك أحد - أي جبل أحد - ذهباً ليكون مهرًا لفاطمة فما رأيك ، فقالت السيدة العفيفة الشريفة الزاهدة التقية الورعة كلمات قلائل لكن معناها كبير وعظيم ، ولا يقولها إلا شخص حكيم كلمات نورانية خرجت من قلب كله إيمان وزهد في الدنيا وتطلع لما عند الله ، قالت له : (يا أبت إن الدنيا دار من لا دار له ، وعلم من لا علم له ، ولها يجمع من لا عقل له) صدقت يا سيدتي ، ونعم من رباك ، بهذه الكلمات رسمت أروع صورة لأعظم نموذج نسائي فريد ، تربي في بيت النبوة وأنجبت زينة الشباب وأفضلهم وسيدى الشهداء في الجنة ﷺ جميعاً وجعلنا معهم - آمين يا رب العالمين .

(٢) أي مات صغيراً .

(٣) أم كلثوم وزينب : سمتهما بأسماء أخواتها .

(٤) وهو الذي قال عنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح « إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري ، ولقد تحقق ذلك عندما تنازل سيدنا الحسن لمعاوية بعد موت أبيه سيدنا علي ، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية ، وسمى « عام الجماعة » وذلك سنة أربعين من الهجرة ، انظر قواعد أصول الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ص ٢٨٣ .

— ابن إسحاق — ٣٢٣ —

أرونى ابنى (١) ما سميتموه ؟ فقلت : سميتاه حرباً ، فقال : لا ولكن اسمه حسين فلما ولدت الثالث سميتاه حرباً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أرونى ابنى ماذا سميتموه ؟ فقلنا : سميناه حرباً ، فقال : لا ولكن اسمه مُحسن ، ثم قال : إبنى سميتهم بنى هرون ، شبره وشُبيراً ، يقول حسن وحُسين .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) كان ﷺ يقول للحسن والحسين ابنى .

تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه (١)

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وتزوج أم كلثوم ابنة علي من فاطمة ابنة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فولدت له زيد بن عمر وامرأة معه ، فمات عمر عنها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم وكانت لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فاعتل علي عليه (٢) ، وقال : هي صغيرة ، فقال عمر : لا والله ما ذاك بك ولكن أردت منعي ، فإن كان كما تقول فابعثها إلي ، فرجع علي فدعاها فأعطاه حلة فقال : انطلقى بهذه إلى أمير المؤمنين فقولى : يقول لك أبي كيف ترى هذه الحلة ، فأتته بها ، فقالت له ذلك ، فأخذ بدرعها (٣) فاجتذتها منه ، وقالت : أرسل ، فأرسلها وقال : حصان كريم ، انطلقى فقولى له : ما أحسنها وأجملها ، ليست والله كما قلت ، فزوجها إياه .

نا يونس عن خالد بن صالح عن واقد بن محمد بن عبد الله بن عمر عن بعض أهله قال : خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال له علي : إن علي فيها أمراء حتى استأذنهم ، فأتى ولد (٤) فاطمة ، فذكر ذلك لهم فقالوا : زوجة ، فدعا أم كلثوم وهي يومئذ صبية فقال (٥) : انطلقى إلى أمير المؤمنين فقولى : إن أبي يقرئك السلام ويقول لك

(١) كان ذلك في أواخر حياة عمر رضي الله عنه .

(٢) أى تعلل له ، ولم يظهر موافقة سريعة .

(٣) أى قميصها .

(٤) أى أتى أبناءه ، وهنا يعلمنا على درسا في الشورى في تربية الأولاد .

(٥) لو كان أحد غير عمر خطبها لما أرسلها على إليه ، ولكنه أرسلها إلى عمر لتبلغه موافقة أبيها : لأن عمر هو أمير المؤمنين وحاكم المسلمين ولما يتمتع به عمر من ورع وإيمان لا يخاف منه وقد تخطى سن المراهقة فهو أكبر من أبيها سنا ثم إنه تقدم لخطبتها فوافق أبوها وأرسلها إليه تعلمه موافقته ، والزواج إيجاب وقبول وقد تم الاثنان .

إنا
إلى
قال
سبب

الح
رس
باله
يقو

أنه
نبي
عش
ابنة

كله
ولد

الش

إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت ، فأخذها عمر فضمها إليه وقال (١) : إني خطبتها إلى أبيها فزوجنيها ، فقيل : يا أمير المؤمنين ما كنت تريد إليها وهي صبية صغيرة ؟ قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب (٢) منقطع يوم القيامة إلا سببي (٣) ، فأردت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب صهر .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني أبو جعفر عن أبيه علي بن الحسين قال : لما تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة علي أتى مجلساً في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر للمهاجرين لم يكن يجلس فيه غيرهم ، فدعوا له بالبركة فقال : أما والله ما دعاني إلى تزويجها إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من نسبي وسببي .

أنا يونس عن هشام بن سعد القرشي عن عطاء الخراساني عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا تغالوا في مهور النساء فإنه لو كان تقوى لله أو مكرمة في الدنيا كان نبيكم أولاًكم بذلك ، ما أصدق (٤) أحداً من نسائه ولا أصدق بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية أربعمئة وثمانون درهماً . ثم إن عمر بن الخطاب بعد خطب أم كلثوم ابنة علي ابن أبي طالب فأصدقها أربعين ألفاً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مات عمر بن الخطاب عن أم كلثوم ابنة علي تزوجت عون بن جعفر (٥) ، فهلك (٦) عنها عون ولم يصب منها ولداً .

* * *

(١) وهذا إعلان من عمر لزوجته منها حتى لا يظن به أحد ظن سوء ولكي يتقوى

الشبهات .

(٢) أي الوصلة .

(٣) أي نسبي .

(٤) الصداق : هو المهر .

(٥) أي جعفر بن أبي طالب ابن عمها .

(٦) أي : مات .

مة
ت

ادة
مة
لا

لمى
بى
'
نها

ض
مها

'
مئذ
لك

تبلغه
إيمان
أبوها

تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار عن حسن بن حسن عن علي بن أبي طالب أنه قال : لما أيمت ^(١) أم كلثوم ابنة علي من عمر بن الخطاب دخل عليها حسن وحسين أخوها فقالا لها : إنك من قد عرفت سيدة نساء المسلمين وابنة سيدتهن وإنك والله لئن أمكنت علياً من زمتك لينكحكك بعض أيتامه ، ولئن أردت أن تصيبن بنفسك مالا عظيماً لتصيينه ، فوالله ما قاما حتى طلع علي متوكياً ^(٢) على عصاه ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ وقال : قد عرفتم منزلتكم يا بني فاطمة وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه ، فقالوا : صدقت رحمك الله وجزاك عنا خيراً ، فقال : أي بنية ^(٣) إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك فأنا أحب أن تجعله بيدي ، فقالت : أي أبة ، والله إنني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء ، وأحب أن أصيب ما تصيبه النساء من الدنيا ، فأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي ، فقال : لا والله يا بنية ما هذا من رأيك ، ما هو إلا من رأى هذين ^(٤) ، ثم قام فقال : والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين ، فأخذا بشيابه فقالا : اجلس يا أبة فوالله ما على هجرتك من صبر ^(٥) ، اجعلي أمرك بيده ، فقالت : قد فعلت ، قال : فإنني قد زوجتك عون بن جعفر ^(٦) ، وإنه لغلام ، ثم رجع إلى بيته فبعث

- (١) مات عنها زوجها .
 (٢) أي متوكناً مستنداً على عصاه .
 (٣) هنا يخاطب ابنته أم كلثوم . (٤) أي الحسن والحسين .
 (٥) أي لا نقدر على غضبك منا وانصرافك عنا - وهذا من أدبهم العظيم الذي تعلموه من رسول الله ﷺ .

(٦) وهذا دليل على أن الصالحين كان يخطبون لبناتهم ، وكانوا يختارون لهم الزوج الصالح ، ويعرضون عليه الزواج من بناتهم ، وليس هذا عيباً كما يعتقد بعض الآباء الآن ، لكنه غاية في العقل لأن نبي الله ﷺ شعيب عرض على سيدنا موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه لما رأى أنه رجل صالح ، وغيره كثير في التاريخ ، وقليل نادر من الآباء العظماء اليوم من يفعل ذلك وأكثر ، فيا ليت الآباء يعرفون أن هذا هو خير وسيلة للقضاء على ظاهرة تأخر البنات عن الزواج وتقدم السن بهن ، فهذا للأسف أصبح ظاهرة عامة بين المسلمين اليوم .

إليها بأربعة آلاف ، وبعث إلى ابن أخيه فأدخله عليها ، قال حسن : فوالله ما سمعت بمثل عشق منها له منذ خلقتك الله ، فما نشب عون أن هلك ، فرجع إليها على فقال : أي بنيه اجعلني أمرك بيدى ففعلت ، فزوجها محمد بن جعفر ثم خرج فبعث إليها بأربعة آلاف درهم ثم أدخله عليها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمات عون بن جعفر عن أم كلثوم ابنة علي فتزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب ^(١) فمات عنها ولم يصب منها (أولادا) .

* * *

(١) أخو عون زوجها السابق .

تزويج زينب بنت علي

ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كانت زينب ابنة علي تحت (١) عبد الله ، بن جعفر بن أبي طالب ؛ فولدت له علي بن عبد الله بن جعفر ، وأم أبيها ، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها فتزوجها علي بن عبد الله بن عباس .

نا يونس عن ثابت بن دينار عن أبي جعفر قال : خطب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة علي وأمها فاطمة ؛ وقال له معاوية : أقضى عنك دينك ، فوعده ، فقال عبد الله : إن علياً أميراً لست أستطيع أن أزوجه حتى استأمره ، فقال له معاوية : فاستأمره ، وأتى حسين بن علي (٢) ، وقال : إن معاوية خطب إلى ابنتي ووعدني قضاء ديني ، وإنما أنت والد ، أنت خالها فما ترى ؟ قال له : أحب أن تجعل أمرها بيدي ، قال : هو بيدك ، قال : فدخل حسين بن علي على الجارية (٣) فقال : إن أباك قد جعل أمرك بيدي فاجعل أمرك بيدي (٤) ، فقالت : هو بيدك ، فخرج حسين فقال : اللهم أقدر لها خير من تعلم ، فلقى شاباً منهم (٥) فقال : يا فلان اجعل أمرك بيدي ، فقال : هو بيدك .

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة : إنني خطبت إلى أبي جعفر ابنته فاشتراط رضي حسين فادعه إليك حتى يسلم ، فجمع مروان الناس وجاء بالدف (٦) والسكر ، ودعا حسيناً فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر ، واشتراط رضاك ، فسلم له ، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال : أشهدكم أنني قد زوجتها فلانا يعني الشاب الذي لقيه ، فقال مروان « أبيتم يا بني هاشم إلا غدرا ، فقال له حسين : نشدتك بالله (٧) هل تعلم أن الحسن بن علي

(١) أي روجة . (٢) وهو أخو زوجته زينب رضي الله عنها .

(٣) أي علي ابنة أخته ، والجارية تطلق على الفتاة الصغيرة .

(٤) أي فوضيني ووكليني بتزويجك . (٥) أي من بني هاشم .

(٦) أي الطبل . (٧) أي استحلفك بالله .

— ابن إسحاق — ٣٢٩ —

خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن ، وحضر الحسن لذلك ، فجئت أنت فخطبت ثم زوجها غيره ؟ فقال : نعم ، قال الحسين : فمن الغادر نحن أم أنتم ، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البغيغة فباعها ^(١) من معاوية بألفي ألف ، وأعطى الشاب الذي زوج أرضاً له أخرى قُومت ^(٢) ألفي ألف ، وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) أى اشتراها معاوية .

(٢) أى كان ثمنها .

ما جاء في تزويج عثمان بن عفان رضي الله عنه

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن قال : أتى رسول الله ﷺ على عثمان وهو مهموم ، فقال له رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : خطبت إلى عمر فردني ^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أدلك على ختن ^(٢) خير لك من عمر ، وأدل عمر على ختن خير له منك ، فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ابنة عمر وزوج النبي ﷺ ابنته ^(٣) عثمان بن عفان .

نا يونس عن هشام بن سنبر عن يحيى بن أبي كثير عن المهاجر بن عكرمة المخزومي قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينكح امرأة من بناته جلس عند خدرها ^(٤) فقال : إن فلاناً يريد فلانة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غير شديدة ، وكان لا ينكح بناته على ضرة .

أنا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لامرأة عثمان : أي بنية إنها لا امرأة لرجل ^(٥) لم تأت ما يهوى ودمه في وجهه وإن أمرها أن تنقل من جبل أسود إلى جبل أحمر ، أو من جبل أحمر إلى جبل أسود فاستصلحى زوجها ^(٦) .
* غير الرسول ﷺ لفاطمة :

أنا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال ^(٧) : خطب على ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث ، فاستأمر رسول الله ﷺ ، فقال : عن أي شأنها تسلني ، عن حسبها ؟ قال : لا ولكن تأمرني بها ، فقال : فاطمة مضغة مني ^(٨) ولا أحب أن تجزع ، فقال : لا آتي شيئاً تكرهه ^(٩) .

* * *

(١) أي تقدم لخطبة ابنته فرفض . (٢) أي نسب وصهر .

(٣) هي السيدة رقية رضي الله عنها .

(٤) هو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت . انظر المعجم الوجيز ص ١٨٧ .

(٥) أي لا تصلح المرأة أن تكون زوجة لرجل .

(٦) وهذا توجيه نبوي كريم من الرسول ﷺ لابنته وكل بنات المسلمين ينصحهن

ﷺ بأن يظعن أزواجهن ، وأن يكن زوجات صالحات لأزواجهن .

(٧) كان حق هذه الرواية أن تأتي في موضع تزويج فاطمة رضي الله عنها . (٨) أي بضعة مني .

(٩) وهذا أدب جم من سيدنا على كرم الله وجهه .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ

أنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل مهاجر النبي ﷺ بثلاث سنين ^(١) ، لم يتزوج رسول الله ﷺ عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة ، ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، أخى سهيل بن عمرو وكان ابن عمها تزوجها وهي بكر ، فهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلماً بمكة . فتزوجها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً حتى مات .

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ قال لسودة ابنة زمعة : اعتدى ^(٢) فتعرضت له في طريقه فقالت له : نشدتك بالله ألا راجعتنى ولك يومى أجعله لأي نسائك شئت فإنما أريد أن أحشر من أزواجك يوم القيامة فراجعها رسول الله ﷺ .

* * *

(١) أى قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاثة أعوام ، وهو عام الحزن الذى مات فيه أيضاً عمه أبو طالب .
(٢) كناية عن طلاقها .

تزويجُ النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال : لما دخلت (١) سودة في السن جعلت يومها (٢) لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم به لها .

قال ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زمعة عائشة بنت أبي بكر وهي بكر ، لم يتزوج بكراً غيرها ولم يصب منها ولداً حتى مات .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال تزوج رسول الله ﷺ عائشة (٣) بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبني (٤) بها رسول الله ﷺ وهي ابنة تسع سنين ، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانين عشرة سنة .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « أريتك (٥) في المنام مرتين ، أرى أن رجلاً يحملك في سرقة (٦) حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشف فأقول إن كان هذا من عند الله يمضه » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت أمي تعالجني (٧) تريد لتسمني بعض السمن لتدخلني على رسول الله ﷺ فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلت التمر بالقثاء ، فسمنت عليه كأحسن ما يكون من السمن .

نا يونس قال : تحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : إني لألعب

(١) أي كبر سنها .

(٢) أي يومها الشرعي الذي خصصه لها النبي ﷺ .

(٣) أي عقد عليها . (٤) أي دخل بها .

(٥) الخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها أريتك : أراني الله إياك .

(٦) أي قطعة حرير . (٧) أي تهتم بأكلها .

— ابن إسحاق — ٣٣٣ —

مع جوارى من الأنصار فى أرجوحة بين نخلتين إذ أتت أمى فأخذت يدي ما أدري ما
تصنع بى فجعلت أضع يدي على بطنى لأرد نفسى لكى ترى ما بى ، فذهبت بى أمى
ونطقتنى وأدخلتنى ^(١) على رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عباد
ابن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدمنا مهاجرين سلطنا فى ثنية صعبة
فنفر ^(٢) بى جمل كنت عليه ، قوى منكر ، فوالله ما أنسى قول أمى : واعروساه ،
فركب بى رأسه فسمعت قائلاً يقول : والله ما أراه ألقى خطامه ، فألقىته فقام يستدير
عليه كأنما إنسان جالس تحته يمسه .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) كان ذلك بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة .

(٢) أى فزع .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ

حَفْصَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد عائشة حفصة ^(١) بنت عمر ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة ، أحد بني سهم فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا يونس عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر ^(٢) قال : دخل عمر على أختي حفصة وهي تبكي ، فقال لها : ما يبكيك ، لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك ، والله إن كان طلقك أخرى لا أكلمك كلمة أبداً ^(٣) .

* * *

(١) ورد أن عمر بن الخطاب عرض على أبي بكر الزواج من ابنته حفصة فلم يبد موافقة ، فحزن عمر ، ثم عرض على عثمان فلم يبد موافقة فحزن حزنا شديداً فرآه الرسول ﷺ فسأله عن حزنه فأخبره ، فقال له لعل الله يجعل لها خيراً أو معناه - ثم بعد ذلك خطبها النبي ﷺ من عمر وتزوجها .

(٢) هو سيدنا عبد الله بن عمر ، كان من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ روى كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ .

(٣) كان بكاءها - والله أعلم - بسبب هجر الرسول ﷺ لها ولنسائه كلهن وذلك لأن السيدة عائشة والسيدة حفصة تظاهرتا على الرسول ﷺ بسبب شربه العسل عند السيدة زينب بنت جحش ، وتواطأتا على أن أيتهما يدخل عليها الرسول ﷺ بعدما يأتي من عند زينب ، فلتقل له : إني أجد منك ريح مغاير ، فدخل على حفصة فقالت له ذلك ، فقال ﷺ : بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له ، وأسر ذلك ، فأنزل الله عز وجل معاتباً نبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ، ومعاتباً حفصة وعائشة : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴾ وفي رواية لابن عباس أن الرسول ﷺ دخل بأم ولده مارية في بيت حفصة وكانت عند أبيها - فجاءت حفصة فوجدت الرسول ﷺ مع مارية ، فقال لها ﷺ : « لا تذكرى هذا لعائشة فهي أرى مارية على حرام إن قربتها » وطلب منها ألا تذكره لأحد ، فذكرته لعائشة ، فاعتزلهن النبي ﷺ شهراً فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ انظر تفسير القرطبي ١٠ / ٦٩٠٣ ط . دار الفد العربي .

زينه
أو
نساء
عن
واله

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة زينب ابنة خزيمة الهلالية ، أمُّ المساكين ^(١) ، وكانت قبله عند الحصين بن الحارث أو عند أخيه الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ماتت بالمدينة ، أول نسائه موتاً ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولداً .

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : قلن النسوة لرسول الله ﷺ : أينما أسرع بك لحوقاً ^(٢) ؟ قال : فقال أطولكن يداً ^(٣) ، فأخذن ستنازعن عن أطولهن يداً ، فلما توفيت زينب علموا أنها كانت أطولهن يداً في الخير والصدقة .

* * *

-
- (١) لُقِّبَتْ بهذا اللقب لشدة عطفها وإحسانها على الفقراء والمساكين رضي الله عنها .
 (٢) أى موتاً بعدك .
 (٣) وهذا من باب المجاز .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد زينب أم حبيبة بنت أبي سفيان ، كانت قبله عند عبيد الله بن جحش بن رثاب ، أحد بني أسد أخى عبد الله بن جحش ، كان تزوجها وهى بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبيد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة وقد تنصر بعد إسلامه ، وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة ، فلم يصب رسول الله ﷺ منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني أبو جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبي سفيان وساق عنه أربعمئة دينار (١) .

* * *

(١) دفعها لها مهراً .

ح

ابن

المد

فوا

قال

وية

ولان

قال

حيه

لها

إلى

يا د

الله

عليه

وأما

الس

ترك

رسو

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة أم سلمة هند بنت أبي أمية ، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، كان تزوجها وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب ، ولم يصب رسول الله ، منها ولداً .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان رسول الله ﷺ يخطب أم سلمة يجلس على إسكفة الباب ويضع ثوبه ويتكىء عليه ويقول عليه السلام : إن كان إنما بك أن أزيدك فى الصداق زدتك ، وإن أردت أزد النسوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : كان لرسول الله ﷺ فى كل يوم من سعد بن عباد جفنة طعام يدور بها معه حيث دار ، وكان رسول الله ﷺ إذا خطب امرأة عرض عليها ما أراد أن يسمى لها (١) ، ثم يقول : وجفنة سعد بن عباد تأتيك كل غداة .

نا يونس عن أبي معشر المدنى عن سعيد المقبرى قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة يخطبها ، فقالت : إني فى خصال (٢) لا أقدر على أن أتزوجك يا رسول الله ، إني امرأة كبيرة ، وأنا أغار على زوجى وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ ، وأنا امرأة مخسوسة سهمى ، وأنا مفضل ذات عيال ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فإنه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منك ، وأما ما تذكرين من الغيرة فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك ديناً أو عيالا فعلى الله وعلى رسوله فتزوجها رسول الله ﷺ .

(٢) أى صفات

(١) أى من المهر

(٢٢ - ابن إسحاق ج ١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ،
وعبد الرحمن بن الحارث ومن لا أتهم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : كان
الذي زوج رسول الله ﷺ أم سلمة ابنها سلمة ، فزوجه رسول الله ﷺ ابنة
حمزة وهما صبيان صغيران ، فلم يجتمعا حتى ماتا ، فقال رسول الله ﷺ : هل
جزيت سلمة بتزويجه إياي أمه .

سلم

وكأن

ﷺ

ابن

عند

ثم ط

أطلق

الله عا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال : تزوج رسول الله ﷺ ، أم سلمة
في سؤال وجمعها في سؤال فقالت له : سبّع عندي ، فقال رسول الله ﷺ إن
شئت فعلت وسبعت عند صواحبك ، وإن شئت فتلاث ^(١) ثم أدور عليهن في
يومك ، فقالت : لا بل ثلاث .

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ أولم ^(٢) على أم
سلمة بتمر وسويق .

* * *

(١) وهكذا يفعل مع الثيب .

(٢) أي أقام وليمة لزوجته من أم سلمة .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ زَيْنَبُ ابْنَةِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة زينب ابنة جَحْشٍ أخت عبد الله بن جَحْشٍ إحدى نساء بني أسد بن خزيمه ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، زَوْجَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا (١) ، فمات رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولداً ، وهى أم الحكم .

نا يونس عن أبى سلمة الهمداني مولى الشَّعْبِيِّ عن الشَّعْبِيِّ قال : مرض زيد ابن حارثة فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده ، وزينب ابنة جَحْشٍ امرأته جالسة عند رأس زيد ، فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر إليها رسول الله ﷺ { كذا } ، ثم طأطأ رأسه (٢) فقال : سبحان الله مقلَّب القلوب والأبصار ، فقال زيد : أطلقها لك يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ (٣) .

* * *

(١) أى زَوْجَ اللَّهِ رَسُوْلَهُ إِيَّاهَا .

(٢) أى خفض رأسه وغض بصره .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ راجع (روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع

المثانى) عند تفسيره لهذه الآية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد / ط دار الغد العربى .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تزوج رسول الله ﷺ بعد زينب بنت جحش جوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ ، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له ابن ذى الشفر ، فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة أنها قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبأيا بنى المصطلق (١) وقعت جوَيْرِيَةُ ابْنَةُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَابْنِ عَمٍّ لَهُ ، فكَاتَبَتْهُ (٢) عَلَى نَفْسِهَا ، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت : سيرى منها مثلما رأيت (٣) ، فلما دخلت عليه قالت : يا رسول الله أنا جوَيْرِيَةُ ابْنَةُ الْحَارِثِ ، سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعنى على كتابتي ، فقال رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك ، أودى (٤) عنك كتابتك وأتزوجك فقالت : نعم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بنى المصطلق ، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها .

* * *

(١) كانت غزوة بنى المصطلق في السنة الخامسة للهجرة .

(٢) أى كتبت بينها وبينه اتفاقاً على مال معلوم تقسطه له فإذا ما دفعته كله صارت

حرة .

(٣) وهذا دليل على غير السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على رسول الله ﷺ .

(٤) أى أدفع ما كاتبت عليه .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : كانت جويرية من ملك يمين (١) رسول الله ﷺ فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بنى المصطلق .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية صفية ابنة حَيٍّ ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فمات عنها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال لما افتتح رسول الله ﷺ حصن ابن أبي الحقيق أتى بصفية ابنة حَيٍّ ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهما التي مع صفية صكت (٢) وجهها ، وصاحت وحثت التراب على رأسها ، فقال رسول الله ﷺ غربوا (٣) هذه الشيطانة عني ، وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه ، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله ﷺ لبلال ، حيث رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال نزع منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما ، وقد كانت صفية رأته قبل ذلك ، أن قمراً وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها (٤) فضرب وجهها ضربة أثر فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فأخبرته خبره .

يونس عن هشام بن أبي عبد الله عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك قال : أعتق رسول الله ﷺ صفية وجعل عتقها صداقها .

نا يونس عن عبد الله بن عبد الله الأزدي عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ صفية ابنة حَيٍّ دعا الناس على مأدبته وهي يومئذ بالحيس والتمر . يونس عن سليمان الأعمش قال : بلغني رسول الله ﷺ أولم على بعض نسائه بقدر من جشيشة (٥) .

(١) أي جارية له . (٢) أي لطمت . (٣) أي ابعادوا .

(٤) قيل إنها ذكرت ذلك لزوجها .

(٥) الجشيشة هي الحب المجروش يُلقى عليه لحم أو تمر فيطبخ - انظر المعجم الوجيز

ص ١٠٦ .

ب
له

بير
(١)

لى
الله

:

ابنة

لى
(٤)

أن

فى

علم

ارت

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ

ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد صفية ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت قبله عند أبي رهم بن أبي قيس أحد بني مالك بن حسل من بني عامر بن لؤي ، مات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني ثقة عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو مُحْرِمٌ ^(١) ، وكذب ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فحل ^(٢) ، فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ^(٣) ذلك على الناس .

نا يونس عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ^(٤) ، بعث إليها الفضل بن عباس ورجلاً معه فزوجاها إياه .

نا يونس عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الأصم أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال بسرف ^(٥) ، وبني بها ^(٦) وهو حلال في قبة لها ، فماتت فيها ^(٧) .

نا يونس عن عبد الله بن محرز عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو مُحْرِمٌ .

نا يونس عن زكريا بن أبي رائدة عن الشعبي قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو مُحْرِمٌ ^(٨) .

* * *

-
- (١) أي محرم مرتدى ملابس الإحرام . (٢) أي تحلل من الإحرام .
 (٣) أي تشابه والتبس . (٤) أي ليس مُحْرِمًا .
 (٥) سرف : موضع يبعد عن مكة بأميال قليلة .
 (٦) أي دخل بها .
 (٧) أي ماتت فيما بعد بسرف وذلك لأن الرسول ﷺ مات قبلها .
 (٨) كان ذلك بعد فتح مكة .

تزويج النبي أسماء بنت كعب الجونية

وعمرة بنت يزيد

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء ابنة كعب الجونية ، ولم يدخل بها حتى طلقها ، وتزوج عمرة ابنة يزيد إحدى نساء بني كلاب ثم بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن العباس بن عبد المطلب فطلقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

بد
و
.
ب
و
ح
:
لا
ج
ج
م

تزويج النبي امرأة من غفار

نا يونس عن أبي يحيى عن جميل بن زيد الطائي عن سعد بن زيد الأنصاري قال : تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غفار ، فدخل بها فأمرها فتزعت ثوبها فرأى بها بياضا من برص عند ثديها فانماز ^(١) رسول الله ﷺ وقال : خذي ثوبك والحقي بأهلك ، وأكمل لها صداقها .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن عثمان بن كعب القرظي أن أختا لتميمة ابنة وهب ذكر أختاً له لرسول الله ﷺ ، وذكر حالها ، فقال لها رسول الله ﷺ : أتُحِبِّينَ أَنْ أَتَزَوِّجَكَ ، فقالت : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فقال رسول الله ﷺ : منع الله عائذة .

نا أحمد : نا يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أم حبيب ابنة عباس وهي بدر ^(٢) بين يديه فقال رسول الله ﷺ : لئن بلغت هذه وأنا حي لأتزوجنها ، فقبض ^(٣) رسول الله ﷺ قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة ، فولدت له رزق بن الأسود ولبابة ابنة الأسود ، سمتها باسمها أم الفضل وكان اسمها لبابة .

* * *

(١) بمعنى ابتعد .

(٢) أي جميلة كالبدر ، وكانت طفلة صغيرة .

(٣) أي انتقل إلى الرفيق الأعلى .

عَدَدُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ

نا يونس عن زكريا بن أبي رائدة عن الشعبي قال : وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن ، فدخل ببعضهن ، وأرجأ^(١) بعض فلم يقربهن حتى توفي ، ولم ينكحن بعده ، فيهن أم شريك ، فذلك قوله : ﴿ تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكَ ﴾^(٢) .

نا أحمد قال : نا أبي عن جرير بن عبد الحميد عن منصور بن أبي رزین فی قول الله تعالى : ﴿ تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ ﴾ فكان فيمن أرجأ رسول الله ﷺ سودة ، وأم حبيبة ، وميمونة^(٣) ، فأراد فراقهن فقلن لا تفارقنا ودعنا على حالنا واقسم لنا ما شئت من نفسك ومالك ، قال : فتركهن على حالهن وقسم لهن ما شاء ، قال : وكان ممن آوى : عائشة ، وأم سلمة ، وزينب ، وحفصة ، وكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أغارُ ، فقلت لامرأة ممن وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها بغير صداق ، وكان رسول الله ﷺ قد اعتزل بعضهن ، وكنت على رجاء فلما نزل : ﴿ تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ أيسأتُ وقلت : إني لأرى ربك يسارع لك في هواك .

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له . نا يونس عن أبي سلمة الهمداني عن الشعبي : نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾^(٤) إلى آخر

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥١ .

(١) أى أجَّل .

(٣) أرجأهم بعد أن كبرن فلم يقسم لهن أيامهن وكان معهن كما يشاء وهذا قولاً ذكره

ابن إسحاق وإن كان فيه ما فيه .

(٤) سورة الأحزاب : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

— ٣٤٦ — ابن إسحاق —

الآيتين ، فخيرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فشكر الله
لهن ذلك وأنزل الله عليه : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ (١) .

* * *

من
البوا
حبيب
ملك
أم
من

ابن
يصل

عمرة

مارية
الجنة

عبد

فوجد

عليه

القلب

الذكر

(١) سورة الاحزاب : الآية ٥٢ .

ما اتَّخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّرَارَى

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومات رسول الله ﷺ عن التسع من نسائه ولم تمت قبله غير خديجة ابنة خويلد ورينب أم المساكين ، ومات عن التسع البواقي ^(١) ، ولم يهاجر منهن إلى أرض الحبشة غيرها ولا الثلاث : أم سلمة وأم حبيبة وفلانة ، ولم يصب الولد إلا من خديجة ، وكان عند رسول الله ﷺ في ملك يمينه : ريحانة ابنة عمرو بن حذافة ، فلم يصب منها ولداً حتى مات ، ومارية أم إبراهيم ^(٢) القبطية ، ولدت له إبراهيم فلم يصب رسول الله ﷺ الولد ^(٣) إلا من خديجة ومارية .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن طلحة عن يزيد ابن ركانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصل عليه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة بمثله .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحاكم عن مقسم عن ابن عباس قال ولدت مارية القبطية لرسول الله ﷺ إبراهيم ، فقال رسول الله ﷺ : إن له لمرضعة في الجنة ، ولو بقي لكان صديقاً نبياً ، ولو بقي لأعتق كل قبطي .

نا يونس عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء بن جابر عن عبد الرحمن بن عوف قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأنطلق بي إلى النخل ، فوجد فيه إبراهيم ابن النبي ﷺ ، فأخذه فوضعه في حجره ، فذرفت عيناه ، ثم

(١) يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه الإحياء : لا يغررك كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كما جاء في الحديث : « كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى » .

(٢) وهو الذي حزن ﷺ لموته حزناً شديداً وبكى ، وقال : « إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » والبكاء نوع من الحنان القلبي .

(٣) الولد بمعنى الأولاد وليس الولد الذكر فكل مولود ولد ، إذن كلمة ولد تطلق على الذكر والأنثى .

قال يا بنى ما أملك لك من الله شيئاً ، فقلت له : يا رسول الله تبكى ، ألم تنه عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن النوح ^(١) ، عن صوتين أحققين فاجرين ؛ صوت عند نغمة لعب ولهو ، ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة ، خمش وجوه ، وشق جيوب ورنه شيطان ^(٢) ، وهذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأنها سبيل مآتية ^(٣) لا بد منها حتى يلحق آخرنا أولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب .

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ولد لى البارحة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إبراهيم بن محمد بن على ابن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : دعانى رسول الله ﷺ وقد كان كبير على مارية أم إبراهيم فى ابن عم لها يزورها ويختلف إليها قبطى ، قال خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله ، فقلت يا رسول الله أكون فى أمر كالمشكة المحماة لا يثنى شئ حتى أمضى لما أمرتنى به ، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأقبلت متوشحاً السيف فأجده عندها ، فلما رآنى اخترطت سيفى فعرف أنى أريده ، اشتد فى نخلة فرقا فيها حتى إذا كان فى نصفها ودنوت منه رمى بنفسه على ظهره ، ثم شغل برجله فإذا إنه لا مسح أجب ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت ^(٤) السيف ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال : الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت .

* * *

(١) أى النواح : وهو الصراخ والعيول .

(٢) ورد أن الرسول ﷺ - قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

(٣) أى أن الموت حق علينا سيأتينا جميعاً .

(٤) أى أدخله فى غمده وهو غلافه .

ما عَوَّضَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَبْنَائِهِ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن زومان قال : كان العاصي ^(١) بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله ﷺ قال : دعوه فإنما هو رجل أبتَر ^(٢) لا عقب له ^(٣) ، لو قد هلك قد انقطع ذكره ، فاسترحتم منه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ حتى قضى السورة ، إنا قد أعطيناك الكوثر ^(٤) ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، أو الكوثر العظيم من الأمر ، ﴿ إِن شَأْنُكَ ﴾ ^(٥) هو الأبتَر ^(٦) العاص بن وائل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم الزهري قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل لرسول الله ﷺ : ما الكوثر الذي أعطاك ربك ؟ فقال : نهر كمثل ما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام ، آيته أكثر من عدد نجوم السماء ، يرده طير لها أعناق كأعناق البخت ^(٧) فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله إنها لناعمة ؟ فقال رسول الله ﷺ : أكلها أنعم منها .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن عبد الله بن أبي نجيح عن أنس بن

(١) وينطقه البعض وإثبات ياء المنقوص إذا كان بالالف واللام العاص .

(٢) الأبتَر : من لا عقب له .

(٣) وقال العاص بن وائل هذا عندما مات القاسم ابن رسول الله ﷺ من السيدة

خديجة ، وكان عمره أكثر من عام .

(٤) الكوثر نهر في الجنة يقول عنه الرسول ﷺ : « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من

ذهب ومجره على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج » حديث حسن صحيح اللهم اسقنا منه يارب .

(٥) أي مبغضك . وهو العاص بن وائل .

(٦) أي مقطوع ذكره من خيري الدنيا والآخرة .

(٧) نوع من الإبل .

ابن إسحاق —

مالك قال في قول الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال : نهر في الجنة قال ابن أبي لميج : وقالت عائشة : هو نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر (١) .

نا يونس عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن عاصم الجسحدي عن علي : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : وضع اليمين على الشمال في الصلاة .

نا يونس عن فطر بن خليفة قال : سألت عطاء عن الكوثر قال : نهر في الجنة ، ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : أمر أن يصلى الفجر يوم النحر (٢) ثم ينحر .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) أى مثل خريره لا صوته حقيقة .

(٢) أى يوم عيد الأضحى العاشر من ذى الحجة والأصل أن يصلى العيد ويلبى بعد ذبح الإمام .

قصة المستهزئين والآيات

« عقاب الله لمن عاند وأذى رسوله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قام رسول الله ﷺ على أمر الله محتسباً مؤدياً إلى قومة النصحية على ما كان فيهم من النائرة ^(١) ، والأذى والاستهزاء ، وكان عظماء المستهزئين برسول الله ﷺ كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة أو غيره من العلماء قال : كان المستهزئين برسول الله خمسة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب ، والأسود بن المطلب بن أسد ، والوليد بن المغيرة ، والعاصي ابن وائل والحارث بن الطلائلة أحد بنى خزاعة ، فكانوا يهزؤون برسول الله ﷺ ويغمزونه فأتاه جبريل عليه السلام فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به ، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات حبناً ^(٢) ، ومر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعصى ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح في كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير ، فانتقض به فقتله ، ومر به العاصي بن وائل فأشار إلى أخمص رجله ، فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ^(٣) فدخلت في أخمص رجله ^(٤) شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلائلة فأشار إلى رأسه فامتخض قبحاً حتى قتله ، ففيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ ^(٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني الزهيري عن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجالاً من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وقد كانوا أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا : سلمة بن هشام . وعياش بن أبي ربيعة ، فقالوا له - وخشوا شره : إنا

(١) الفتنة . (٢) أي كبرت بطنه من داء فيها .

(٣) ررع به شوك .

(٤) أي باطن قدمه .

(٥) سورة الحجر : الآية ٩٥ .

قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا فإننا نأمن بذلك فى غيرهم فقال : من فعل هذا فعليكم به (وهذا أخى) ^(١) فعاقبوه وإياكم نفسه وقال :
ألا لا تقتلوا أخى غيـشٍ فيبقى بيننا أبداً تلاح

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً ، فقالوا اللهم العنه من يغرر ^(٢) بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً ، فتركوه ونزعوا عنه ، فكان مما دفع الله به عنهم .

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال : كلمت رسول الله ﷺ قريش فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا ضرب به الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى ، وتخبرنا أن ثمود (صالحاً) كانت له ناقة ، فأنتا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك ، فقال رسول الله ﷺ : أى شئ تحبون أن آتيكم به قالوا : تجعل لنا الصفا ^(٣) ذهباً قال : فإن فعلت تصدقونى ؟ قالوا نعم والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعين ، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ، ولكن لم أرسل آية ولم يصدقوا عند ذلك إلا عذبهم ، وإن شئت فتركهم حتى يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ إلى قوله : ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ ^(٤) .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس البكرى قال : قال الناس لرسول الله ﷺ : لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح ^(٥) والنبىون ، فقال رسول الله ﷺ : إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فإن عصيتم هلكتم ، يقول : ينزل العذاب ، قالوا : لا نريدها ^(٦) .

(١) غير موجود بالأصل لكن ريدت ليستقيم المعنى .

(٢) أى يغدر .

(٣) هو جبل الصفا المعروف بمكة .

(٤) سورة الأنعام : الآيات ١٠٩ - ١١١ .

(٥) أى نبى الله صالح عليه السلام .

(٦) وهذا أوضح دليل على أنهم يعلمون فى أنفسهم أن الرسول ﷺ على حق ، وما جاء به هو الحق مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ ولو لم يكونوا يوقنون أنه على حق ما خافوا العذاب وما قالوا له : لا نريدها .

نا يونس عن أبي معشر المديني عن محمد بن كعب القرظي قال : كلمت قریش رسول الله ﷺ فقالت : يا محمد إنا في واد ضيق قليل الماء فسير عنا بقرآنك هذه الجبال ، وأخرج لنا من الأرض ينبوعاً حتى نشرب منه الماء ، وأخرج لنا آباءنا نكلمهم فنسألهم : ماذا لقوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ﴾ ^(١) يقول يا محمد لو أن قرآنا صنعت به هكذا لصنعت به بقرآنك .

* الفرق بين القرآن المكي والمدني :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عروة قال : كل شيء نزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون وما يثبت به الرسول فإنما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة ^(٢) .

نا يونس عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : قدم عبد الله الكوفة فرأى أناساً من الزط ففرع منهم فقال : ما هؤلاء ؟ ف قيل الزط ، فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن الذين أقرأهم رسول الله ﷺ ^(٣) .

نا يونس عن الأعمش قال : بلغني أن الجن الذين خاطبوا رسول الله ﷺ كانوا تسعة .

* * *

(١) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٢) والقرآن المكي هو ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة حتى ولو كان بمكة والله أعلم راجع تاريخ القرآن للزنجاني تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط مؤسسة الحلبي .

(٣) أي قرأ عليهم الرسول ﷺ القرآن وأنزل الله فيهم سورة سماها باسمهم ، سورة الجن ﴿ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ وكان قرأ عليهم سورة الرحمن .

حَدِيثُ رُكَّانَةَ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لركانة بن عبد يزيد : أسلم ، قال : لو أعلم ما تقول حقاً لفعلت فقال له رسول الله ﷺ - وكان ركانة من أشد الناس ^(١) : أرأيت إن صرعتك تعلم أن ذلك حق ؟ قال : نعم ، فقام رسول الله ﷺ فصصره فقال له : عد يا محمد ، فعاد له رسول الله ﷺ ، فأخذه الثانية فصصره ، وانطلق ركانة يقول : هذا ساحر ، لم أر مثل سحر هذا قط ^(٢) ، والله ما ملكت من نفسي شيئاً حتى وضع جنبى إلى الأرض .

* * *

(١) أى قوة .

(٢) وهنا نرى مدى عناد ومكابرة المشركين .

أعلام النبوة

* من معجزات النبي ﷺ :

نا يونس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً ، فرأيت منه شيئاً عجيباً ، نزلنا منزلاً فقال : انطلق إلى هاتين الأشاءتين ^(١) فقل : إن رسول الله يقول لكما أن تجتمعا ، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتهما فالتقتا جميعاً ، ففضى رسول الله ﷺ حاجته ^(٢) من ورائهما ثم قال انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة منهما إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فمرت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها .

وأنته امرأة فقالت : إن ابني هذا به لم ^(٣) منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين فقال رسول الله ﷺ : أدنيه ^(٤) ، فأدنته منه ، ففعل في فيه ^(٥) وقال : اخرج عدو الله ، أنا رسول الله ، ثم قال لها رسول الله ﷺ : إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط ^(٦) وسمن ، فقال ^(٧) لى رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش ، فأخذ منه ما أراد ^(٨) فقالت : والذي أكرمك ما رأينا به شيئاً منذ فارقنا .

ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال :

(١) أى نخلتين صغيرتين .

(٢) أى تبول أو تبرز .

(٣) أى به مس من الجن .

(٤) أى قربه منى .

(٥) أى فى فمه .

(٦) الأقط : لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ به ، انظر المعجم الوجيز

ص ٢١ .

(٧) المتحدث هنا هو مرة أبو يعلى الذى كان مصاحباً للرسول ﷺ فى سفره هذا .

(٨) وفى هذا جواز أخذ الهدية على الرقية الشرعية بشرط أن تقدم إليه بسماحة وصفاء

نية منهم ولا يطلبها هو .

ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر وذهب عمله تواعدنا لنحره غدا ، فقال رسول الله ﷺ فلا تنحروه ، واجعلوه في الإبل يكون فيها .

نا يونس عن الأعمش عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله ﷺ قد تخرس فقالت : يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد ، فقال رسول الله ﷺ : أدنيه ، فأدنته منه ، فقال : من أنا فقال : أنت رسول الله .

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد (١) ، فترلنا منزلاً بفلاة (٢) من الأرض ليس فيها علم ولا شجر ، فقال لي : يا جابر خذ هذه الأداة وانطلق بنا ، فملأت الأداة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله الحق بصاحبك حتى أجلس خلفكما ففعلت ، فرجعت حتى لحقت بصاحبتهما ، فجلس خلفها حتى قضى حاجته ، ثم رجعنا فركبنا رواحلنا (٣) ، وسرنا كأنما علينا الطير تظلنا ، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ معها صبي تحمله فقالت : يا رسول الله إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل ، فقال رسول الله ﷺ : اخس (٤) عدو الله أنا رسول الله ، فأعاد رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما ، والصبي تحمله ، فقالت : يا رسول الله اقبل هديتي ، فوالذي بعثك بالحق أن (٥) عاد إليه بعد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما منها وذرخوا الآخر ، ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا ، فجاء جمل باد (٦) ،

(١) وهذا من أدب النبي ﷺ الذي يعلمنا إياه .

(٢) أي بصحراء .

(٣) دوابنا .

(٤) أي اخسأ ، ابعد .

(٥) أن هنا بمعنى « ما » .

(٦) أي من البادية .

فلما كان بين السماطين خر ساجداً ، فقال رسول الله ﷺ . من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قال : قالوا : سنونا ^(١) عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة فأردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا ، فقال رسول الله ﷺ تبيعونه ؟ فقالوا : يا رسول الله هو لك ، قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله فقالوا : يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ! فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغي لبشر ، أن يسجد لبشر ولو كان ذلك ، كان النساء لأزواجهن .

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب ^(٢) مكة ، وقد دخله من الغم ما شاء الله ، من تكذيب قومه ، فقال : رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم ، فأوحى الله عز وجل إليه : ادع أى أغصان هذه الشجرة شئت ، فدعا غصناً فانتزع من مكانه ، ثم خد ^(٣) فى الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : ارجع إلى مكانك ، فرجع الغصن فخد فى الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد رسول الله ﷺ الله عز وجل وطابت نفسه ، وقد كان قال المشركون : أتضلل آبائك وأجدادك يا محمد ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أفغير الله تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون ﴾ إلى قوله : ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ ^(٤) .

نا يونس عن مالك بن مغول عن طلحة بن أبى صالح قال : بينا رسول الله ﷺ فى مسير له إذ نفدت أزوادهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينحر بعض حمائلهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله لو أمرت ما بقى من أزودة القوم فجمعتهم ، فدعوت الله فيه بالبركة ، فجاء صاحب التمر بتمره وصاحب البربر ^(٥) قال : وقال مجاهد وذو النوى بنواه ، فقلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمضغونه ويشربون عليه الماء - فدعا الله تعالى فيه بالبركة ، فملاً القوم

(١) أى استقيناه عليه كان يحمل لهم الماء .

(٢) طرق مكة بين جبالها .

(٣) أى شق .

(٤) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ .

(٥) البر : حب القمح .

أزودتهم ، ثم قال عند ذلك أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، من آمن بالله غير شاك فيهما لم يحجب عن الجنة .

نا يونس عن القاسم بن الفضل قال : حدثني أبو نضرة العبدى عن أبي سعيد الخدري أنه حدثهم قال : بينما راع يرعى فى الحرة ^(١) إذ عرض ذئب لشاة من غنمه ، فحال بين الذئب وبينها ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال للراعى : أما تتقى الله ، تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلى ، قال الراعى : عجباً من ذئب مقعى على ذنبه يكلمنى كلام الأدميين ! فقال له الذئب : ألا أحدثك بأعجب منى ، رسول الله ﷺ يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعى شياؤه حتى أتى المدينة فزواها ^(٢) إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعى حدثهم ، فأخبرهم بما قال الذئب فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعى ، والذى نفسى بيده ، إنها من أشراط الساعة كلام السباع الإنس ، ولا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، ويكلمه شراكُ نَعْلِه ، ويحدثه سوطه ، ويخبره فخذ ما أحدث أهله بعده ^(٣) .

نا يونس عن عبد الحميد بن بهرام الفزارى قال : حدثني شهر بن حوشب عن أبي سعيد أنه قال : بينا ^(٤) رجل من أسلم فى غنيمة له يهش عليها ببذاء ذى الحليفة ^(٥) إذ عدا عليه الذئب فانتزع شاة من غنمه ، فجهاه (زجره) الرجل ، ورماء حتى استنقذ منه شاته ، ثم أقبل الذئب حتى أقعى مستقراً بذنبه مقابل الرجل فقال : أما اتقيت الله ، حلت بينى وبين شاة رزقنيها الله ، فقال الرجل : تالله ما سمعت كاليوم قط ، فقال الذئب : مم تعجب ؟ قال أعجب من مخاطبتك إياي ! فقال الذئب أعجب من ذلك رسول الله ﷺ بين الحرتين ، فى النخلات يحدث الناس ما خلا ^(٦) ، ويحدثهم بما هو آت ، وأنت ها هنا مع غنمك ، فلما سمع

(١) الحرة : أرض كلها حجارة شديدة الحرارة وهى فى أطراف المدينة .

(٢) جمعها وجعلها فى ناحية .

(٣) وذلك إذا سافر وبعد عن أهله .

(٤) بمعنى بينما .

(٥) بلدة بينها وبين المدينة حوالى سبعة أميال .

(٦) أى ما مضى .

الرجل قول الذئب ساق غنمه يحوزها حتى إذا أدخلها قُباء ^(١) ، قرية الأنصار ، فسأل عن رسول الله ﷺ ، فصادفه في بيت أبي أيوب ، فأخبره بخبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، احضر العشيّة فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا فأخبرهم ذلك ففعل ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر واجتمع الناس أخبرهم الأسلمي خبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق ، صدق ، صدق ، تلك الأعاجيب بين يدي الساعة ، فرددها ثلاثاً ، أما والذي نفس محمد بيده ليوشك الرجل أن يغيب عن أهله الروحة أو الغدوة ثم يخبره سوطه أو عصاه أو نعله بما أحدث أهله من بعده ^(٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال - وحدث عن رجل ركب بقرة فاستحثها يضربها فقالت : يا عبد الله إنني لم أخلق لهذا ، قال القوم : سبحان الله ، فقال رسول الله ﷺ : عجبتم لذلك ؟ قالوا نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : فأنا أومن به ، وأبو بكر ، وعمر وما هما ثم (هناك) .

ثم قال رسول الله ﷺ : إن ذئباً عدا على غنم رجل فأخذ منها شاة ، فطلبها الرجل حتى نزعها منه ، فقال الذئب : هذا أنت منعتها اليوم مني فمن الذي يمنعها يوم السبع إذ ليس فيها راعي غنم ؟! فسبح القوم ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم .

نا يونس عن يحيى بن أبي أنيسة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينما راعي في غنمه ، فعدا الذئب فأخذ شاة من غنمه فطلبها الراعي حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السبع ، يوم ليس راع ؟ فقال القوم سبحان الله ؟! فقال رسول الله ﷺ : إني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر .

(١) قرية قرب المدينة بنى بها أول مسجد في الإسلام . .

(٢) انظر في ذلك كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم ، وكتاب دلائل النبوة للماوردي ،

وكتاب الشمائل المحمدية للترمذي تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وبدوى طه بدوى .

نا يونس عن ابن أبي أنيسة عن أبي عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة لنفسه قد حمل عليها ، فالتفتت إليه البقرة فقالت : إني لم أخلق لهذا ولكن خلقت للحرث ! فقال الناس : سبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر .

نا يونس عن السري بن إسماعيل عن الشعبي قال : كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فنزل فأتى بأداة من ماء ^(١) ، فقبل له : يا رسول الله ما معنا ماء غيرها ، فسكبها في ركوة ^(٢) ، ثم وضع أصبعه في وسط الركوة ، غمسها في الماء فجعل يجيء الناس فيتوضئون ، حتى صدروا ، فأبصر رسول الله ﷺ عقب ^(٣) بعضهم لم يصبه الماء ، فقال : اللهم اغفر لأعقابهم .

نا يونس عن مالك بن مغول عن طلحة عن أبي صالح أن رسول الله ﷺ قال متى ألقى إخواني ^(٤) ؟ فقبل : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : أنتم أصحابي وإخواني قوم من أمتي لم يروني يؤمنون بي ويصدقونني ، فقال رسول الله ﷺ : أي الخلق أعجب إيماناً ؟ قالوا : ملائكة الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم ألا يؤمنوا وهم عند ربهم ! قالوا : فالنبيون ، قال : وما لهم لا يؤمنون وهم موحى إليهم ! قالوا : فأصحاب النبيين ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم لا يؤمنون وأنبياء الله عز وجل فيهم ! لكن قوماً من أمتي لم يدركوني يؤمنون بكتاب من ربهم فيؤمنون به ويصدقونه .

نا يونس عن الأعمش عن عمارة بن عُمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : تذكروا فضل أصحاب النبي ﷺ فقال عبد الله ^(٥) : ما كان أبيه فضله لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن قط أفضل إيماناً من مؤمن بغيث ، ثم تلا عبد الله : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ حتى بلغ ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ ^(٦) .

(١) إناء فيه ماء . (٢) إناء صغير من جلد أو دلو صغيرة .

(٣) أي عظم مؤخر القدم . انظر المعجم الوجيز ٤٢٦ .

(٤) في رواية أخرى « أحبائي » .

(٥) أي ابن عمر بن الخطاب .

(٦) سورة البقرة : الآيات ١ - ٥ .

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه وهم مجتمعون حوله : عجب وليس بالعجيب أن رجلاً منكم بعث إليكم فآمن به من آمن منكم ، وصدقه من صدقه منكم ، فهذا عجب وليس بالعجيب ، وعجب وهو العجب العجيب لقوم يؤمنون بى ولم يرونى .

نا يونس عن إسماعيل قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن يزيد بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجهنى قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل راكباً من أهل اليمن ، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال : كنديان ، مذحجيان ، أتيا رسول الله ﷺ ليبايعاه ، فقال أحدهما حين أخذ بيده لبايعه : يا رسول الله أرأيت من أدركك فآمن بك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : طوبى له (١) فماسحه ثم انصرف ، وأقبل الآخر فقال : يا رسول الله أرأيت من لم يرك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : طوبى له فماسحه ثم انصرف .

نا يونس عن فائد بن عبد الرحمن العبدى قال : نا عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال : إني لمشتاق إلى إخوانى ، فقال عمر : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : لا أنتم أصحابى ؛ إخوانى قوم آمنوا بى ولم يرونى ، فجاء أبو بكر فأخبره عمر بالذى قال له رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ألا تحب قوماً بلغهم أنك تحبني فأحبوك ، فأحبهم أحبهم الله (٢) .

* * *

(١) أى هنيئاً له .

(٢) وهذه بشارة من رسول الله ﷺ لكل من آمن به ولم يره .

إسلام أم شريك الدوسية

نا يونس عن عبد الأعلى بن المساور القرشي عن محمد بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دوس ^(١) يقال لها أم شريك أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ قالت : أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فتعالى أنا أصحبك ، قالت : فانتظرني حتى املأ سقائي ^(٢) ماء ، قال : معي ما تريدين من ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى وقال : يا أم شريك تعالى إلى العشاء ، فقالت اسقني من الماء فإنى عطشى ولا أستطيع أن أكل حتى أشرب ، فقال : لا أسقيك حتى تهودى ^(٣) ، قالت : لا جزاك الله خيراً غررتني ومنعني أحمل ماء ، قال : لا والله لا أسقيك منه قطرة حتى تهودين ، فقالت : لا والله لا أنهود أبداً بعد إذ هداني الله للإسلام ، فأقبلت إلى بغيرها فعقلته ووضعت رأسها على ركبته فنامت ، قالت فما أيقظني إلا برد دلو قد وضع على جبیني ، فرفعت رأسي إلى دلو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فشربت حتى رويت ، ثم نضحت على سقائي حتى ابتل ، ثم ملأته ثم رفع بين يدي وأنا أنظر حتى توارى عني في السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودي فقال : يا أم شريك ، فقلت : قد والله سقاني الله ، قال : من أين أنزل عليك من السماء ؟ قلت : نعم والله قد أنزل الله علي من السماء ، ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السماء ؛ ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقصت عليه القصة ، فخطب إليها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله لست أرضى بنفسى لك ، ولكن بضعى لك فزوجني من شئت ، فزوجها ريداً ، وأمر لها بثلاثين صاعاً ، وقال : كلوا ولا تكيلوا ، وكان معها عكة ^(٤) سمن هدية لرسول الله ﷺ ، فقالت لجارية لها أبلغني هذه العكة رسول الله ﷺ ، وقولي : أم شريك تقرأك السلام وتقول : هذه عكة سمن أهديناها لك ، فانطلقت بها ، فأخذوها يفرغونها ، وقال لها

(٢) أى القربة .

(١) قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أى تركين الإسلام وتدخلين في الديانة اليهودية . (٤) صرة فيها سمن .

رسول الله ﷺ : علقوها ولا توكوها ^(١) ، فعلقوها في مكانها ، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمناً فقالت : يا فلانة أليس أمرتك أن تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ثم أقبلت بها أصوبها ما يقطر منها شيء ، ولكنه قال : علقوها ولا توكوها ، فعلقتها في مكانها ، وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة ، فأكلوا منها حتى فنيت ^(٢) ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) أي لا تربطوا فمها .

(٢) أي نفدت ولم يبق منها شيء .

إسلام أبي هريرة من دوس^(١)

نا يونس عن أبي خلدة خالد بن دينار عن أبي العالية قال : لما أسلم أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ممن أنت ؟ فقال : من دوس ، فوضع رسول الله ﷺ يده على جبينه ثم نفضها ، فقال : ما كنت أرى من دوس أحداً فيه خير .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض أصحابي عن أبي هريرة قال : كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر ، فتسميت في الإسلام عبد الرحمن ، وإنما كناني^(٢) بأبي هريرة أني كنت أرعى غنما له فوجدت أولاد هرة وحشية فجعلتها في كمي فلما أرحت عليه غنمه سمع أصواتهن في صفني^(٣) ، فقال : ما هذا يا عبد شمس ؟ فقلت : أولاد هرة وجدتها ، قال : فأنت أبو هريرة فلزمتني بعد .

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكان وسيطاً في دوس حيث يحب أن يكون منهم .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن هزان بن سعيد قال : أتيت بيت المقدس فلقيت بها علي بن عبد الله بن العباس فسلمت عليه ، فقال لي : من أنت ؟ قلت : رجل من أهل الرها ، قال : مرحباً برجل من قوم أوصني بهم رسول الله ﷺ ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : أوصيكم بالرهاويين والدوسيين والداريين خيراً . فزعم عبد الرحمن أن هذه أسماء من قبائل العرب .

* * *

(١) هو من أكثر الصحابة رواية للحديث ، ويلقب بأمير المؤمنين في الحديث ، وجزم فريق من العلماء بأنه روى كل أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ، وبعض العلماء يرى أنه روى جلّها أي أكثرها .

(٢) أي رسول الله ﷺ .

(٣) ما يضع فيها متاعه .

إِسْلَامُ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ

نا يونس عن عبد الأعلى بن أبي المساور القرشي عن عامر الشعبي عن عدي بن حاتم قال : بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة وما أعلم أحداً من العرب كان أشد بغضاً ولا كراهية له مني حتى لحقت بالروم ، فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة وما قد اجتمع له من الناس ارتحلت حتى أتيت ، فوفقت عليه وعنده صهيب وسلمان وبلال ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فنظر إليّ فقال : يا عدي بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت أخ أخ فأنخت ، ثم جئت حتى ألصقت ركبتي بركبته فضرب على فخذي وقال يا عدي بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : وما الإسلام ؟ قال : تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها ، حلوها ومهرها يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة ^(١) حتى تفتح خزائن قيصر وكسرى يا عدي بن حاتم : لا تقوم الساعة حتى تأتي الظعينة ^(٢) من الحيرة - ولم يكن يومئذ كوفة - فتطوف بهذه الكعبة بغير جوار ، يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به ، ولا يجد أحداً يقربه فيضرب به الأرض فيقول : ليتك لم تكن لي ، ليتك كنت تراباً ^(٣) .

نا يونس عن سعيد بن عبد الرحمن عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة بن اليمان ، ولم أر سنه تزيد عليه ، وكان يوم رأيته ابن أربعين سنة ، عن رجل كان يسمى السمير أنه دخل على عدي بن حاتم فقال : إنه بلغني عنك حديث

(١) أى من علامات الساعة الصغرى ، وقد حدثت هذه العلامات ، وهى من أعلام النبوة التى أخبر بها ﷺ قبل وقوعها .

(٢) الظعينة : المرأة على الدابة التى يُرْتَحَلُ عليها .

(٣) حدث هذا فى خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وحدث أن امتلأ بيت المال وفاض بالأموال والقمح والشعير وغيرها ونادى سيدنا عمر فى الناس من عليه حاجة فقضاء حاجته من بيت المال فجاء الناس وأخذ كل محتاج وبقي المال كما هو ، فنادى ثانية من كان عليه دين فقضاء دينه من بيت مال المسلمين فجاء الناس وقضى الدين وبقي المال كما هو ، فنادى عمر ثالثة أيما شاب يريد الزواج ولا يقدر فزواجه من بيت مال المسلمين فجاء الشباب وأخذ كل حاجته وبقي المال كما هو .

آمنة
إمامعمر
كفرالمرب
كان
فقالأبو
وآتية
والهقال
يذهيقول
لا أ-

رس

إلا أ-

أحببت أن أكون أنا أسمع منك " فقال : بُعث رسول الله ﷺ ، وكنت أشد الناس له كراهية ، أو من أشد الناس ، فلحققت بأقصى أرض العرب من قبل الروم ، وكرهت مكانى أشد من كراهتى الأمر الأول ، فقلت ، لآتين هذا الرجل فلئن كان صادقاً لا يخفى على ، ولئن كان كاذباً لا يخفى على أو لا يضرني شك محمد ، فقدمت المدينة فاستشرفني الناس ، فقالوا : عدى بن حاتم ، فأتيت رسول الله ﷺ فقال : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : إن لى ديناً ، فقال أنا أعلم بدينك منك ، فقلت : ما يجعلك أعلم بدينى منى ؟ قال : ألسنت ترأس قومك ألسنت تأخذ المربع ^(١) ؟ فقلت : بلى ، قال : فإن ذلك لا يحل لك فى دينك ، فكان ذلك وهناً ^(٢) فى نفسى ، فقال : يمنعك أن تسلم خصاصة من ترى ، وإنك ترى الناس ألبوا علينا مأخذاً - أو يداً واحدة ، شك محمد - فقلت : أجل فقال : هل أتيت الحيرة ؟ فقلت : لا ، وقد علت مكانها ، فقال : توشك الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار ^(٣) ، وتوشك أن تفتح كنوز كسرى بن هرمز ^(٤) ، فقلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟! فقال : كنوز كسرى بن هرمز ، مرتين ، ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها ، قال : فقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار وقد كنت فى أول جيش أغار على المدائن ، وايم الله ^(٥) لتكونن الثالثة ، إنه لقول رسول الله ﷺ .

نا يونس عن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيبانى عن محمد بن سيرين عن عدى ابن حاتم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذى بالمدائن ^(٦) ، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق

(١) أى ربع الغنائم ، وذلك لأنه كان سيد قومه وكان يأخذ منهم ربع ما غنموه .

(٢) أى ضعفا .

(٣) وهذا من أعلام النبوة التى أخبر بها النبى ﷺ قبل وقوعها وحدثت فيما بعد فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) حدث ذلك أيضاً فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٥) لفظ من ألفاظ القسم واليمين ، أى أقسم بالله .

(٦) أى ببلاد فارس .

— ابن إسحاق — ٣٦٧ —

آمنة لا تخاف شيئاً ، فقد رأيتهما جميعاً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون على الناس إمام يحثي المال حثياً .

نا يونس عن عَنبَسَةَ بن الأزهر عن سعيد بن مسروق قال : كلم عدى بن حاتم عمر فى شىء ، فقال له عدى : يا أمير المؤمنين ألا تعرفنى ؟ قال عمر بلى آمنت إذ كفروا ، وصدقت إذ كذبوا ، فأعطيت إذ منعوا .

نا يونس عن قُرَّة بن خالد : نا يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير قال : بينا نحن بهذا المربد إذ أتى علينا أعرابى شعث الرأس معه قطعة أديم^(١) ، أو قطعة جراب فقلنا : كأن هذا ليس على أهل البلد ، فقال أجل هذا كتاب كتبه إليَّ رسول الله ﷺ ، فقال القوم : هات ، فأخذته فقرأته فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله ﷺ لبنى زُهَيْر بن أقيش - قال أبو العلاء : وهم حى من عكل - إنكم إن شهدتم ألا إله إلا الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبى ﷺ ، والصفى - وربما قال : وصفيه - فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ﷺ .

فقال القوم : هات أصلحك الله حديثاً ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : صوم شهر الصبر^(٢) وثلاثة أيام من كل شهر يذهب من وحر^(٣) الصدر ، فقال القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يقول ؟ فقال : لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسول الله ﷺ ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم ، ثم أهوى إلى^(٤) الصحيفة فانتزعها ، ثم انصاع مدبراً .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى تيممة الهجيمى قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابى فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من

(١) أى قطعة جلد .

(٢) أى شهر رمضان المعظم ، وفى الحديث « وهو شهر الصبر ، والصبر ليس له ثواب إلا الجنة » .

(٣) أى حقد وغيظ .

(٤) أى انكب على واندفع إلى .

أصابك ضرر فدعوته كشف عنك ضررك ، وإلى من إن كنت بفلاة من الأرض فأضللت راحلتك فدعوته رد عليك ، وإلى من إن أصابتك سنة ^(١) فأجذبت أنبت لك ، فقال الأعرابي : ما أحسن هذا ، أوصني ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك ألا تغتبط الناس ، ولا تزهد في المعروف ، وألق أخاك حين تلقاه ووجهك منبسط إليه وإن لم يكن لك إلا دلو واحد فسألك أن تفرغ له من دلوك فأفرغ منه ، وإياك وإسبال الإزار ^(٢) فإنه من المخيلة ^(٣) ، وإن الله عز وجل لا يحب المخيلة ^(٤) .

نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : جاء رجل من أشراف أهل البوادي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من إن أسنت ^(٥) ثم دعوته أنبت لك ، وإن أضللت ثم دعوته رد عليك ، وإن أصابك كرب أو هم أو غم ثم دعوته كشف عنك ، ثم أسلم ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال : يا رسول الله إني أريد الرجوع إلى أهلي فأوصني ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك بتقوى الله وأن تصدق ^(٦) ، فقال : من أي شيء أتصدق ، فقال : من إبلك ، فقال : وكلنا له إبل ؟ قال : فمن غنمك ، فقال : وكلنا له غنم ؟ قال : فمن مالك ، فقال : وكلنا له مال ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا هذا تكف ^(٧) لسانك عن الناس فإنها صدقة عليك حسنة .

* * *

(١) أي قحط وجذب .

(٢) أي إرخائه وتطويله .

(٣) الكبير .

(٤) وهذه وصايا نبوية عظيمة .

(٥) أي أصابتك سنة وهو قحط وجذب .

(٦) أي تتصدق .

(٧) أي تمنع ، والمعنى تمنع أذاك عن الناس ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « الكلمة

الطيبة صدقة » .

إسلام جرير بن عبد الله (١)

نا يونس عن داود بن زيد عن عامر الشعبي عن جرير بن عبد الله أنه حدثه قال : أتيت رسول الله ﷺ أبياعه (٢) فقال رسول الله ﷺ : أرني يدك يا جرير ، فقلت : على مه ؟ (٣) فقال على أن تسلم لله ، والنصيحة لكل مسلم ، فأدركها جرير ، وكان رجلاً فظناً (٤) ، فقال : يا رسول الله فيما أطق (٥) ، فكانت له وللناس بعد ، قال جرير : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : بُنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن سماك بن حرب وعبد الله بن عمر بن جابر ابن سمره قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لتفتحن أرض كسرى عصابة من المسلمين (٦) .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن جبلة بن سحيم عن موثر بن غفارة العبدي قال : نزلت بابن الخصاصية (٧) في ركب من عبد القيس فقال : بايعني رسول الله ﷺ على الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والزكاة طيبة بها نفسك ، والجهاد في سبيل الله ، فقلت : يا رسول الله كل هذا لا أستطيع ، أما الزكاة فليس لي إلا مال أعيش فيه ، وأهلي يعتمدون عليه وأما الجهاد فإنني أخاف أن تخشع نفسي فأفر فأبوء بغضب من الله ، فكف يده عني فقال : لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة ؟ فقلت يا رسول الله مد يدك فأبايعك عليهن كلهن فبسط يده فبايعه .

(١) من صحابة الرسول ﷺ وروى عنه بعض الأحاديث .

(٢) أي أبياعه على الإسلام .

(٣) أي على ماذا ؟

(٤) ذكياً .

(٥) أي بقدر طاقتي واستطاعتي .

(٦) هذا من أعلام النبوة وقد حدث في خلافة عمر بن الخطاب .

(٧) اسمه بشير بن الخصاصية .

ابن إسحاق —

نا يونس عن يحيى بن أبى حية الكلبي عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال :
 خرجنا مع رسول الله ﷺ على إبل آكلة نواء فلما بلغنا ^(١) إلى الصحراء طلع راكب
 يوضع نحونا ، فقال رسول الله ﷺ إياكم يريد هذا ، فلما دنا ^(٢) قال رسول الله
 ﷺ : من أين أقبلت ؟ قال : من مالى وولدى وعشيرتى ، فقال : أين تريد ؟
 قال : أردت رسول الله ﷺ ، فقال له : قد أصبت ، فقال له : يا رسول الله
 علمنى الإسلام ، فلما رأينا رسول الله ﷺ قد أقبل عليه حففنا بيعيره ، فقال له :
 تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : أقررت ، قال : وتصلى
 الصلوات المكتوبة ، قال : أقررت ، قال : وتؤدى الزكاة المفروضة ، قال :
 أقررت ، قال : وتحج البيت ، قال : أقررت ، قال : وتصوم رمضان ، قال :
 أقررت ، فقال رسول الله ﷺ : هذا الإسلام ، فسار مع رسول الله ﷺ
 فوقعت رجل بيعيره فى شبكة جردان ^(٣) فعثر ، فوقع الرجل على رأسه ، فقال
 رسول الله ﷺ أخاكم ، فوثب إليه حذيفة وعمار فأسنداه فقالا : يا رسول الله قد
 مضى الرجل ^(٤) فأعرض عنه ما شاء الله ، ثم أقبل بوجهه فقال : ألم ترونى حين
 أعرضت فإنى رأيت ملكين يحشوان فى فيه ^(٥) من ثمار الجنة ، فعرفت أن الرجل
 كان جائعاً ، فقال رسول الله ﷺ : عمل قليلاً وأجر كثيراً ، هذا والله من
 ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ^(٦) احملوا
 أخاكم فاحتملناه فلما انتهينا به إلى الماء قال رسول الله ﷺ : اغسلوه وكفنوه
 وحنطوه ، ففعلنا ، ثم صلى عليه ، ثم جلس رسول الله ﷺ على شفير القبر
 فقال : ألدوا له فإن اللحد لنا والشق لغيرنا ^(٧) .

نا يونس عن عبد الرحمن بن أمين الكنانى قال : حدثنى محمد بن على بن

(١) وصلنا .

(٢) اقترب .

(٣) أى شبكة فئران كبيرة .

(٤) أى قد مات .

(٥) أى فمه .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٧) أى لغير المسلمين .

الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ وحدثني الزهري ، قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : إن قومي أسلموا فزادهم الإسلام فقراً ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى رجل كان دفع إليه نفقة فقال : قد أنفقت ما كان معي ، فقال يهودي خلف رسول الله ﷺ : هذا رجل يعطيك ورقاً^(١) ، يسلفك^(٢) في تمر حائط^(٣) كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : لا نسمى لك حائطاً ولكن تسلفنا في تمر مسمى في كيل معلوم إلى أجل معلوم ، فبايعه اليهودي ، ثم حل ورقاً معه فقال رسول الله ﷺ : ادفعها إلى الأعرابي الحق فأغث بها قومك ، فخرج رسول الله ﷺ في جنازة ، فلما وضع الميت في قبره وحثوا عليه^(٤) ، قام اليهودي فقال : يا محمد ألا تقضين تـمـرى ، فوالله ما أعلمكم يا بني عبد المطلب إلا تمطلون^(٥) الناس بحقوقهم ، فقال عمر بن الخطاب رضـي الله عنه : والله لولا مجلسه لوجأت أنفك^(٦) ، وقال الزهري : لوجأت خطمك^(٧) ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج أن تأمره فيحسن طلبى ، وتأمرني فأحسن قضاءه ، انطلق معه إلى حائط كذا وكذا ، وهو الذي كان أراد من رسول الله ﷺ فأبى أن يسميه له ، فأدخله فقل لفلان يكشف له عن الطعام ليريه إياه ، فإن رضى فمره فليوفه ماله ، وكل^(٨) له كذا وكذا صاعاً بـشـتمك إياه ، فانطلق به عمر ، فأراه فرضى فكال له ما أمره به رسول الله ﷺ ، فقال اليهودي لعمر : إنه لم يكن بقى شيء مما وجدنا في كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام إلا قد رأيناه في محمد ﷺ ، إلا الحلم فقد رأيناه الآن منه فأنا أشهدك أني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأشهد أن نصف ما أملك صدقة على من آمن بمحمد ﷺ ، فقال له عمر : إنه قد حقت على نصيحتك ، لا يسعهم كلهم ولكن اجعله لمن مع

(١) الورق : الفضة ، ويقصد هنا الدراهم .

(٢) أى يقرضك .

(٣) الحائط البستان أو الحديقة المسورة .

(٤) أى وضعوا عليه التراب .

(٥) أى تماطلون فى أداء الدين .

(٦) أى لقطعت أنفك .

(٧) خطمك أى مقدمة أنفك .

(٨) من الكيل .

رسول الله ﷺ ، ففعل ، ثم إن هذا اليهودي مات فخرج رسول الله ﷺ فحمل سريره (١) على عاتقه الإيمن وحمل على أيضاً سريره على عاتقه الأيسر .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال كان عبد الله بن مزينه ذو البجادين بينما هو في حجر عمه ، وكان يعطيه ، وكان محسناً إليه ، فبلغ عمه أنه قد تابع دين محمد ﷺ ، فقال له : لئن فعلت وتبعت محمداً لأنزعن (٢) منك كل شيء أعطيتك ، فقال : إني مسلم فتزع منه كل شيء أعطاه حتى جرده من ثوبه ، فأتى أمه فقطعت له بجاداً (٣) لها بائنين ، فائتزر نصفاً وارتدى نصفاً (٤) ، ثم أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ الصبح ، فلما صلى رسول الله ﷺ تصفح الناس ينظر من أتاه ، وكذلك كان يفعل ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد العزى ، فقال : بل أنت عبد الله ذو البجادين . فالزم بابي ، فكان يلزم باب رسول الله ﷺ ، وكان يرفع صوته بالقرآن والنحيب (٥) والتسبيح ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أمراًئى هو ؟ قال : دعه عنك فإنه أحد الأواهين (٦) .

* * *

(١) أى نعشه الذى حمل عليه .

(٢) أى لأحرمك .

(٣) أى كساء سميكا .

(٤) أى لبس واحدة من أسفل والثانية من أعلى .

(٥) أى البكاء تأثراً بكلام الله .

(٦) أى من كثيرى التأوه وهو البكاء من خشية الله وقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه

السلام ﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ .

الإ
معا
رس
من
وما
الأ
فأس
الله

أنه
برو
والا
والن

صلوات
إلى
وناه

الموا

حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس^(١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فدعا رسول الله ﷺ قوماً إلى الإسلام وكلمهم وأبلغ إليهم فيما بلغني ، قال زمعة : لو جعل معك ملك يحدث معك الناس ويرى معك ، قوله تعالى : ﴿ لولا أنزل عليه ملك ﴾ ، قال : ثم إن رسول الله ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشى^(٢) الإسلام بمكة وفشى في القبائل كلها ، وكان مسراه^(٣) ، وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص وأمر من الله عز وجل في قدرته وسلطانه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وبيان ، لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمر الله عز وجل وسلطانه العظيم ، وقدرته التي صنع بها ما يريد ، حتى ذكر من يصدقه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه^(٤) ، ثم وصف لأصحابه إبراهيم وعيسى والأنبياء وما أتى به من الماء والخمر واللبن وشربه من آنية جبريل وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، وقال : أُرِيت الجنة والنار وأُرِيت في السماء كذا وكذا ، وقال : وفُرضت على الصلاة .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري قال : حدثني

(١) كان ذلك بعد وفاة زوجه خديجة وعمه أبي طالب وقبل الهجرة للمدينة وبعد رحلته ﷺ للطائف لدعوة أهلها وما فعلوه به ، وأراد الله تعالى من هذه الرحلة أن يطمئن رسوله إلى أن عناية السماء معه وإذا كان أهل الأرض تـُـخلوا عنه فإن رب الأرض والسماء معه وناصره .

(٢) أى انتشر واشتهر .

(٣) أى إسرائه ﷺ .

(٤) والصواب أنه أسرى به ﷺ بروحه وجسده كما ثبت في الروايات الصحيحة

المتواترة وكما أجمع عليه أكثر العلماء .

أشع
كذادحي
وعباشان
على
وجهأتيت
برج
جمر

صلواته

عبد
وأح
فصلا
فهذا
الآن
إني

ابن شهاب الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : لقيت إبراهيم وموسى وعيسى عند بيت المقدس ، فإذا عيسى رجل أحمر كأنما خرج من ديماس ^(١) ، وإذا موسى رجل شحب ضرب ^(٢) كأنه من رجال شنوءة ^(٣) ، وأنا أشبه ولد إبراهيم به ، فأتيت بقدهين ، قدح لبن وقدح نبيذ ^(٤) ، فاخترت قدح اللبن فقال جبريل عليه السلام : هديت للفقرة ، لو أخذت قدح النبيذ لغوت أمتك ، وحانت الصلاة فأمتهم .

قال ابن شهاب : قال عبد الله بن عمر : ما قال رسول الله ﷺ لعيسى ابن مريم أحمر كأنما خرج من ديماس ولكنه قال : أراني أطاف بالبيت فإذا رجل أحمر حشيم يمشي بين رجلين ينظف رأسه ، أو أهراق من رأسه ماء ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا عيسى ابن مريم ، ثم التفت فإذا رجل أحمر أعور العين اليمين ^(٥) كأنما عينه عنبه طافية ^(٦) ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا الدجال .

نا يونس عن خالد بن دينار البصري عن فضيل الأعور قال : حضرت جنازة فيها أنس بن مالك فجاء أبو العالية وقد صلى على الجنازة فتخطى الناس حتى خلص إلى أنس بن مالك فقال : يا أبا حمزة عليك برنس ^(٧) أو برنسان ، رأيتك البارحة في هذا المكان وعليك برنسان ، فقال : الصدق ما رأيت ، على برنسي الذي ترى على ، وعلى برنس الإسلام فتذاكروا الرؤيا ، فقال أنس : كنت بالمدينة فمرضت مرضاً أشرفت على الموت ، فجاءني إبراهيم وموسى عليهما السلام ، فجلس إبراهيم عند رأسي وموسى عند رجلي ، فاستيقظت فبرئت ، قال أبو العالية : وأنا كنت بخراسان فمرضت مرضاً أشرفت منه على الموت فجاءني إبراهيم ، وموسى فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فاستيقظت فبرئت ، قال أنس بن مالك : انعهما لي إن رؤياك من رؤياي ، قال : أما إبراهيم فرجل أبيض ، أبيض الرأس واللحية ، معروق اللحم ، طويل الأنف ، وأما موسى فرجل

(١) أي من حمام . (٢) خفيف اللحم .

(٣) هم قبيلة من العرب يكادون يتقاربون في الشبه . (٤) نوع من الخمر .

(٥) في رواية أخرى « أعور العين اليسرى » . (٦) أي بارزة .

(٧) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، انظر المعجم الوجيز ص ٤٧ .

— ٣٧٥ — ابن إسحاق

أشعر (١) شديد الأدمة ، عريض المنكبين ، شعره يضرب إلى منكيه ، فقال أنس : كذا رأيت أنا .

نا يونس عن زكريا عن الشعبي قال : شبه رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من أمته قال : دحية الكلبي شبه بجبريل وعروة بن مسعود الثقفي شبه بعيسى ابن مريم ، وعبد العزى شبه بالدجال .

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة قال : لما كان شأن بنى قريظة بعث إليهم رسول الله ﷺ علياً ، وجاء جبريل رسول الله ﷺ على فرس أبلق ، قالت عائشة : فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسخ الغبار عن وجه جبريل فقلت هذا دحية الكلبي يا رسول الله ؟ قال : هذا جبريل .

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن رسول الله ﷺ قال : أتيت على موسى وهو قائم يصلى فى قبره ، رجل آدم (٢) جعد أشبه من رأيت برجال شنوءة ، ومررت على عيسى فسلم على رجل شاب طويل ، مرجل قد تعلوه حمرة .

نا يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس (٣) فى بيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً . نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاث أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، ثم إن الله عز وجل حوله إلى القبلة ، فهذه حال وكادوا أن ينقسوا (٤) عند حضرة الصلاة ، فجاء عبد الله بن زيد الأنصارى فقال : يا رسول الله لو أخبرتك أنى لم أكن نائماً صدقتك إن شاء الله ، إنى بينا أنا بين النائم واليقظان رأيت شخصاً عليه ثياب خضر ، فاستقبل القبلة فقال :

(١) أى كثير الشعر .

(٢) أى أسمر شديد السمرة .

(٣) أى الصلوات الخمس المكتوبات .

(٤) أى يستخدموا الناقوس . وكان ذلك قبل شروع الأذان .

الله أكبر الله أكبر ، مثنى ^(١) ، أشهد ألا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين ، حتى على الصلاة مثنى ، حتى على الفلاح مثنى ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، ثم أمهل ساعة ^(٢) ، ثم قام فقال مثل مقالته ^(٣) غير أنه حين فرغ من قوله حتى على الفلاح قال : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الأذان والإقامة مثنى مثنى ، فقال رسول الله ﷺ : علمها بلالاً ، فأمر بلال فأذن بها ، وجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله لقد رأيت مثل الذى أرى الأنصارى ، ولكنه سبقنى إليك ، فهذه حال أخرى ، وكان الرجل إذا انتهى إلى الناس وهم فى الصلاة سألهم : كم صليتم ؟ فيشثرون إليه بواحدة واثنين بكم كان ، فيبدؤون بما فاتهم ، ثم يدخلون فيما بقى من الصلاة ، فجاء معاذ فوجد رسول الله ﷺ قد صلى بعض صلاته فثبت على ما أدرك فصلى ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قام معاذ فقضى ما فاتته ، فقال رسول الله ﷺ : قد بين ^(٤) لكم معاذ ، فهكذا فافعلوا ، فهذه حال .

وأما الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصام يوم عاشوراء ^(٥) ، وثلاثة أيام من كل شهر ^(٦) ، ثم إن الله عز وجل فرض شهر رمضان فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ إلى قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً ، ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم وكتب الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصوم

(١) أى كل واحدة مرتين .

(٢) ليست ساعة كما يتبادر إلى الذهن ، ولكن المقصود فترة قصيرة .

(٣) وهى إقامة الصلاة .

(٤) أى وضح ، وقال ﷺ « ما أدركتم أى مع الإمام ، فصلُّوا ، وما فاتكم فأتموا -

أى أتموه بعد تسليم الإمام » .

(٥) وذلك أنه ﷺ وجد اليهود يصومونه فسأل عن ذلك فقالوا ذلك يوم نجي الله فيه

موسى ، فقال ﷺ نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ، وهو يوم العاشر من شهر المحرم ، وقال : إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع فلم يعش ﷺ .

(٦) وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وسميت الأيام البيض لأن نور

القمر فى لياليها ظاهر .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ ^(١) إلى آخر الآيات ، وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا تركوا الطعام والشراب وإتيان النساء ، فكان رجل من الأنصار يدعى صرمة يعمل في أرض له ، فلما كان عند فطره ^(٢) نام فاستيقظ - يعنى أصبح - فأصبح صائماً فجهد ^(٣) جهداً شديداً ، فقال له رسول الله ﷺ : ما لى أراك قد جهدت ؟ فأخبره ما كان من حاله ، واختلس رجل نفسه بإتيان النساء فأنزل الله عز وجل : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ ^(٤) إلى آخر الآية .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم قال : أول من أذن بلال .
نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري قال : قدم عثمان بن مظعون على رسول الله ﷺ فوجده يصلى فسلم عليه فرد عليه رسول الله ﷺ وهو يصلى ^(٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني أبو الزناد عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود : دخلت فسلمت على رسول الله ﷺ وهو يصلى ، فأشار ولم يرد على السلام ، فقلت له : لم رددت على عثمان بن مظعون ولم ترد عليّ فقال ﷺ : إن الله عز وجل يقلب الليل والنهار كما يشاء ^(٦) وإن . . . حدث إلى إلا وسلم ^(٧) في الصلاة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت قال : حدثني ^(٨) . . . أو عكرمة ، شك محمد بن أبي محمد عن ابن عباس قال : صرفت ^(٩) القبلة عن الشام نحو الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ^(١٠) من مقدم رسول الله ﷺ المدينة . . . رسول الله ﷺ . . . عمرو وكعب بن الأشرف بن أبي . . . كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع ^(١١) .

* * *

(١) سورة البقرة : الآيات ١٨٣ - ١٨٥ . (٢) أى عند المغرب .

(٣) أى أرهق وتعب . (٤) البقرة ١٨٧ .

(٥) كان ذلك في بداية مشروعية الصلاة ثم أمر النبي بمنع ذلك .

(٦) هنا سقط بالأصل . (٧) قد تكون « ألا أسلم » والله أعلم .

(٨) طمس بالأصل . (٩) أى تحولت .

(١٠) قيل أيضاً ستة عشر شهراً . (١١) هكذا نقص بالأصول التي رأيناها .

jabir.abbas@yahoo.com

القسم السادس

jabir.abbas@yahoo.com

— 1

jabir.abbas@yahoo.com

يشمل بعض غزوات النبي ﷺ

عن أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن نُفَيْل
الحرَّاني رواية أبي شُعَيْب عبد الله بن الحسن الحرَّاني .

مما رواه عنه أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن
الصَّوَّاف رواية الشيخ الفاضل أبي الفتح محمد بن أحمد
ابن أبي الفوارس .

مما حدثنا به الشيخ الجليل الإمام الحافظ أبو بكر
أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي .

سماع طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن
محمد بن علي الخشوعي القرشي .
نفعه الله به .

يتلوه غزوة السويق .
غزوة ذي أمر إلى نجد سنة ثلاث .
وقف

قرأ فيه إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصاري عفا
الله عنه

jabir.abbas@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قطعة من غزوة بدر

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي بدمشق في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال : نا : أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف قال : أنا أبو شعيب الحراني : نا النفيلي : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم ﴾ (١) الآية .

وذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقه بن جعشم (٢) لهم حين ذكر لهم ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم وبينه يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ فلما تراءت الفئتان ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أمد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم : ﴿ نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ﴾ وصدق عدو الله إنه رأى ما لا يرون فقال : ﴿ إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ فأوردتهم ثم أسلمهم ، فذكر لى أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، وكان الذي رآه حين نكص على عقبيه الحارث بن هشام ، وعمير بن وهب الجمحي ، قد ذكر أحدهما فقال : أين يا سراقه ومثل عدو الله فذهب ثم ذكر الله أهل الكفر وما يلقون عند موتهم فوصفهم بصفتهم فأخبر نبيه عنهم حتى انتهى إلى

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٨ .

(٢) هو سراقه بن مالك بن جعشم كان الشيطان يأتي المشركين في صورته ، وسراقه هذا هو الذي لحق برسول الله ﷺ يوم الهجرة ، وكان كافراً وقتها ، طمعاً أن يرجع الرسول ﷺ إلى المشركين في مكة أو يقتله حتى يفوز بجائزة كفار مكة وهي مائة ناقة ، ولكن الله خذله فعثرت فرسه وغررت قدماها في الرمال واستغاث بالرسول ﷺ أن يسامحه ، وعلم ساعته أن محمداً على حق وأنه ظاهر منتصر ، فسامحه الرسول ﷺ وأعطاه كتاباً بينه وبينه وطلب منه ألا يخبر أحداً ففعل سراقه ، وأسلم بعد ذلك .

قوله ﴿ فإما تثقفنهم في الحرب فشردّ بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾ ﴿ أى فنكّل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون ، ﴾ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ ^(٢) أى لا يضيع لكم أجره عند الله في الآخرة ، وعاجل خلفه في الدنيا ثم قال : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ ^(٣) أى إن دعوك إلى السلم ، يعنى الإسلام فصالحهم عليه ، ﴿ وتوكل على الله ﴾ إن الله كافيك إن الله ، ﴿ هو السميع العليم ﴾ ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ﴾ ^(٤) هو من وراء ذلك ، ﴿ هو الذى أيدك بنصره ﴾ بعد الضعف ﴿ وبالمؤمنين ﴾ ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ على الهدى بالذى بعثك إليهم ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ بدينه الذى جمعهم عليه ﴿ إنه عزيز حكيم ﴾ . وقال : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا أيها النبى حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ ^(٥) أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا الثّقلبى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى أبو جعفر محمد بن على قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحل لنبى كان قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى » ، ﴿ ما كان لنبى ﴾ ^(٦) قبلك ﴿ أن يكون له أسرى ﴾ من عدوه

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

(٤) سورة الأنفال : الآيات ٦٢ - ٦٣ .

(٥) سورة الأنفال : الآيات ٦٤ - ٦٥ .

(٦) نزلت هذه الآية يوم بدر عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ وليست عتاباً

للنبى ، وهذا قول أكثر المفسرين .

قال ابن عباس فلما أسروا الأسرى قال ﷺ لأبى بكر وعمر : « ما ترى فى هؤلاء الأسارى » فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب » قال : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو =

﴿ حتى يثخن في الأرض ﴾ أى يثخن عدوه حتى ينفيه من الأرض ﴿ يريدون عرض الدنيا ﴾ أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ ^(١) أى بقتلهم بظهور الدين الذى يريدون إظهاره الذى تدرك به الآخرة ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ﴾ من الأسارى والمغانم ﴿ عذاب عظيم ﴾ أى لولا أن سبق أن لا أعذب إلا بعد النهى ، ولم يكن نهاهم ، لعذبكم فيما صنعتم ، ثم أحلها لهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم فقال : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾ * يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴿ ^(٢) فكان العباس بن عبد المطلب يقول : فى الله نزلت حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى وسألته أن يقاصنى ^(٣) بالعشرين الأوقية التى أخذ منى ، فأبى على ، فعوضنى الله منها عشرين عبداً كلهم تاجراً يضرب بمالى ، مع ما أرجو من رحمته ومغفرته . ثم حض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والأنصار ولاية فى الدين دون من سواهم ، ثم جعل الكفار بعضهم أولياء بعض قال : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾ أى ليتولى المؤمن المؤمنون دون الكافر وإن كان ذا رحم ، ﴿ تكن فتنة ﴾ أى شبهة فى الحق والباطل ، فى ظهور المفاصد فى الأرض ، يتولى المؤمن الكافر من دون المؤمن ، ثم رد الموارث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار ، وردهم إلى الأرحام التى بينهم فقال : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ أى بالميراث : ﴿ إن الله بكل شىء عليم ﴾ ^(٤) .

= ما قال عمر ، فلما كان من الغد جاء عمر فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يكيان ، فقال عمر يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما ، فقال ﷺ أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة « لمزيد من التفصيل انظر تفسير القرطبى ٤ / ٢٩٧٢ ط دار الغد العربى .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٧ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٦٨ - ٦٩ .

(٣) أى يترك له .

(٤) سورة الأنفال : الآيات ٧٣ - ٧٥ .

* عدد من شهد بدرًا :

جميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار الأوس والخزرج ومن ضرب له سهمه وأجره ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين دون الأنصار ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً واستشهد مع رسول الله ﷺ من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، قطع رجله عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فمات بالصفراء (١) .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة ، وذو الشمالين عبد عمرو بن نضلة حليف لهم ، من بنى غبشان . ومن بنى عدى بن كعب : عاقل بن البكير ، حليف لهم ، من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب . ومن بنى الحارث بن فهر : صفوان بن بيضاء . ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر بن زهير .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له فسحم . ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عمير بن الحمام . ومن بنى حبيب أو خبيب بن عبد حارثة بن مالك : رافع بن المَعْلَى . ومن بنى النجار ، ثم من بنى عدى بن النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث . ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ابنا الحارث بن سواد ، وهما ابنا عفراء ، ثمانية نفر .

وكان الفتية الذين قتلوا مع قريش يوم بدر فتزل فيهم القرآن فيما ذكر لنا . الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴿ (٢) ﴾ .

(١) هو واد فى المدينة قريب من بدر .

(٢) سورة النساء : الآية ٩٧ .

— ٣٨٧ — ابن إسحاق

وذلك أنهم كانوا أسلموا (ورسول الله ﷺ بمكة فلما هاجر) (١) رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آباءهم وعشائهم بمكة وفتنهم فافتنوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً فهم فتية مفتنون .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الحارث بن ربيعة وعقيل بن الأسود ابن المطلب بن أسد .

ومن بنى مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

ومن بنى جُمح : على بن أمية بن خلف .

ومن بنى سَهْم : العاص بن مَنبَّة بن الحجاج .

غزوة بنى سليم

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة وكان فراغه من بدر في عقب رمضان أو في أول شوال ، فلم يبق بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكُدْر (٢) ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً (٣) ، فأقام بقية شوال وذا القعدة وفادى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

* * *

(١) زيد ما بين المعكوفتين من رواية ابن هشام . انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٢٠٦ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) قرية من المدينة .

(٣) أى لم يلق من بنى سليم حرباً .

غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة . أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : حدثنا النُفيلي قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش ^(١) من بدر حلف ألا يمس رأسه ماء من جنابة ^(٢) حتى يغزو محمداً ﷺ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه فسللك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جانب جبل يقال له تيت ^(٣) : من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير من تحت الليل فأتى حبي بن أخطب ^(٤) فضرب عليه بابه فخاف فلم يفتح له فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ^(٥) ، فاستأذن عليه ، فأذن له وقراه ^(٦) وسقاه ويطن ^(٧) له من خير الناس ، ثم خرج من عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار ^(٨) من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى انتهى إلى قرقرة الكدر ^(٩) ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد

(١) أي المنهزمين من قريش .

(٢) علّق السهيلي على هذا قائلاً : « إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية

بقية من دين إبراهيم وإسماعيل كما بقى معهم الحج والنكاح » .

(٣) عند ابن هشام : « ثيب » .

(٤) هو والد السيدة صفية زوج رسول الله ﷺ - وأم المؤمنين رضيها ومات يهودياً .

(٥) كانوا يجمعون المال ويدخرونه عنده لنوائبهم .

(٦) أي أكرمه وصنع له طعام الضيف .

(٧) أي أعلمه وأخبره .

(٨) أي النخل الصغار .

(٩) هي موضع بينها وبين المدينة ثمانية بُرد .

طرحوها ، فى الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم ، فقال أبو سفيان وهو يتجهز غازياً من مكة إلى المدينة أبياتاً من الشعر :

كُرُّوا عَلَى يَثْرَبٍ وَجَمْعِهِمْ فَإِنَّ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَقْلُ
إِنْ يَكُ يَوْمُ الْقُلُوبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دُوكُ
وَاللَّاتُ لَا أَقْرَبَ النَّسَاءِ وَلَا يَمَسُّ رَأْسِي وَجَلْدَى الْغَسَلِ
حَتَّى تَبِيرُوا قِبَائِلَ الْأَوْسِ وَالـ خَزْرَجِ إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعِلُ
فأجابه كعب بن مالك (١) :

يَا لَهْفَ أُمِّ الْمُشَجِّعِينَ عُلَى جيش ابن حربٍ فى الحرّة الفُشَلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرَّمَالَ مِنْ نِسَمِ الطَّيْرِ ر تَرْقُوا بِقِيَةِ الْجَبَلِ
جَاؤُوا بِجَمْعٍ لَوْ قِيسَ مَنْزِلُهُ لَمْ يَكْ إِلَّا كَمْ عَرَسَ الدُّوَلِ
الدُّوَلُ دَوِيَّةَ أَصْغَرِ مِنَ الْقَطَا وبه سُمى أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيُّ

وقال أبو سفيان بن حرب حين انصرف من المدينة إلى مكة :

إِنِّى تَخَيَّرْتُ الْمَدِينَةَ وَاحِدًا لِحَلْفِ فَلَمْ أَنْدَمْ وَلَمْ أَتْلُومْ
سَقَانِى فَرَوَانِى كَمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى عَجَلٍ مَنِى سَلَامُ بَنِ مُشْكَمْ
فَلَمَّا تَوَلَّى الْجَيْشَ قَلْتُ وَلَمْ أَكُنْ لَأَتْرَحَهُ أَبْشَرَ بِعِزٍّ وَمَغْنَمْ
تَأْمَلْ فَإِنَّ الْقَوْمَ فِى سَرَواتِهِمْ صَرِيحُ لُؤَى لَا شِمَاطِيطَ جُرْهِمْ
فَمَا كَانَ إِلَّا بَعْضُ لَيْلَةٍ رَاكِب أَتَى سَاعِيًا مِنْ غَيْرِ حَلَةٍ مَعْدَمْ

* * *

(١) وكان من شعراء المسلمين المدافعين عن الإسلام هو وحسان بن ثابت وعبد الله

ابن رواحة رضي الله عنهم .

غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ إِلَى نَجْدٍ

سنة ثلاث

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق (١) أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم ، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بنى غطفان وهى غزوة ذى أمر (٢) ، فأقام بنجد صفراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : حدثنا النُّفَيْلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه قال : حدثنى عمى عن عامر الرامى أخى النضر قال : إنى لبلادنا إذ رفعت إلى ألوية ورايات فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا لواء رسول الله ﷺ ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بسط له تحتها كساء وهو جالس عليه ، وقد اجتمع إليه أصحابه رضى الله عنهم فجلست إليهم ، فذكر رسول الله ﷺ الأسقام فقال : إن المؤمن إذا أصابه السقم ، ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل به ، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله (٣) أهله ثم أرسلوه ولم يدر لم أرسلوه ، فقال رجل ممن حوله : وما الأسقام ، والله ما مرضت قط ؟ قال : قم عنا فليست منا ، قال : فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل عليه كساء معه شيء فى يده قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله لما رأيتك أقبلت فمررت بغیضة من شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فأقبلت أمهن حتى استدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن فوقعت معهن فلففتهن ، فهن الآن معى ، فقال : ضعهن عنك ، قال : فوضعتهن بكسائى وأبيت إلا لزومهن فقال : رسول الله ﷺ :

(١) السويق هو تمحيص القمح والشعير ثم طحنه وقد يمزج باللبن والسمن والعسل أو يمزج بالماء ، وسميت غزوة السويق لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

(٢) موضع معروف قريب من مكة .

(٣) أى الجمه .

ار

أتعج

أرح

وأمر

كله إ

ناحية

وجما

بنى ف

يهود

أنى ن

إنك

فرصة

عن م

عكرم

ستغل

التقنا

سبيل

الأبصا

أتعجبون لرحمة أم الأفراخ فراخها ؟ قالوا : نعم ، قال : فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن قال : فرجع بهن .

غزوة الفرع^(١) من بحران

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشاً وبنى سليم حتى بلغ بحران معدن بالحجاز فى ناحية الفرع ، وذلك المعدن للحجاج بن علاط البهزى فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

غزوة بنى قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك من غزوة رسول الله ﷺ بنى قينقاع وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم فى سوق بنى قينقاع فقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة^(٢) ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم^(٣) ، وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد إنك ترانا كقومك ، يغرك^(٤) إنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ! إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

* ما نزل فى يهود بنى قينقاع :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : نا النفيلى قال : حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾ إلى قوله ﴿ قد كان لكم آية فى فتنتين التقتا ﴾ أى فى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ إلى قوله : ﴿ إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾^(٥) .

(١) الفرع : قرية قريبة من المدينة . (٢) أى الهزيمة واللعنة فى بدر .

(٣) أى التوراة . (٤) عند ابن هشام « لا يغرنك أنك لقيت » .

(٥) سورة آل عمران : الآيات ١٢ - ١٣ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال حدثنا النقيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ عليه وحاربوا فيما بين بدر وأحد (١) فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عنه رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أحسن في موالى ، فأعرض عنه رسول الله ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، قال : فقال رسول الله ، وغضب رسول الله ، ثم قال : أرسلنى (٢) : فقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربع مائة حاسر (٣) وثلاثمائة دارع (٤) منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر (٥) فقال رسول الله ﷺ : هم لك .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : نا النقيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي ابن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بني عوف ابن الخزرج ، ولهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي. (٦) فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، قال : ففيه وفى عبد الله بن أبي نزلت القصة فى المائدة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ إلى قوله : ﴿ فترى الذين فى قلوبهم ﴾

(١) أى بين السنة الثانية والثالثة للهجرة .

(٢) عند ابن هشام : « وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا أى سحابة » .

(٣) لا درع عليه .

(٤) أى لا بس الدرع .

(٥) أى الهزائم .

(٦) عبد الله بن أبي ابن سلول هو زعيم المنافقين فى المدينة كان قد أظهر الإسلام وأخفى

الكفر ؛ ولذلك فإن المنافق أخطر على الإسلام من الكافر ؛ لأن الكافر ظاهر الكفر ، أما المنافق فهو يخفى الكفر ويسره .

قريش

كان

ابن

رجلاً

ابن

وأعج

بدر

فسار

ثابت

سيرة

الإسلام

— ٣٩٣ — ابن إسحاق

مرض يسارعون فيهم ﴿ يعنى عبد الله بن أبى لقوله : أخشى الدوائر ﴾ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴿ إلى قوله : ﴿ وهم راكعون ﴾ وذلك لقول عبادة بن الصامت : أتولى الله ورسوله وأبرأ من بنى قينقاع من حلفهم وولايتهم . ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (١) .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله ﷺ فيها ، حين أصابت عير قريش ، فيها أبو سفيان بن حرب على القردة ، ماء من مياه نجد .

وكان من حديثها أن قريشاً كانت قد أخافت طريقها التى تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلخوا طريق العراق ، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ابن حرب ومعه فضة كثيرة ، وهو عظم تجارتهم ، واستأجروا من بنى بكر بن وائل رجلاً يقال له : فرات بن حيان (٢) يدلهم على الطريق ، وبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة فى ذلك الوجه ، فلقاهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها رسول الله ﷺ .

فقال حسان بن ثابت يذكر قريشاً وأخذها على ذلك الطريق بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج لميعاد أبى سفيان منصرفه من أحد ، فسار حتى نزل بدرًا ، فأقام بها ثمان ليال ، وأخلفه أبو سفيان فقال حسان بن ثابت (٣) .

(١) سورة المائدة : الآيات ٥١ - ٥٦ .

(٢) قال ابن هشام : فرات بن حيان من بنى عجل ، حليف لبنى سهم انظر مختصر

سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٤١٦ .

(٣) هو شاعر الرسول ﷺ وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية وفى

الإسلام ، وكان شعره دفاعاً عن الرسول ورسالته .

ابن
ابن الأ
فقال ر
فقال :
قال :
ما يعلم
والشراء
إنما عب
لكم فأ
سلامة
معاذ
سلطان

الشعر :
أفعل ،
قوس و
وقد جو
ابن سلا
تبيعنا ط
قال :

)
)
)
)
)
)
)

دَعَوْا، فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَارَ دُونَهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
إِذَا سَلَكَتِ لِلغُورِ مِنْ رَمْلٍ عَالِجٍ
أَقَمْنَا عَلَى الرَّسِّ النِّزْوَعِ ثَمَانِيَا
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ
تَرَى العَرَفِجَ العَادِيَّ تَذَرِي أَصُولَهُ
فَإِنْ نَلَقَ فِي تَطَوَّافِنَا وَالتَّمَّاسِنَا
وَلِنْ نَلَقَ قَيْسُ بْنُ أَمْرِئِ القَيْسِ بَعْدَهُ

* مقتل كعب بن الأشرف :

وقتل كعب بن الأشرف ، وكان من حديثه أنه لما أصيب أهل بدر ، وقدم زيد ابن حارثة إلى أهل السافلة ، وقدم عبد الله بن رُوَاحَة إلى أهل العالية مبشرين ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة من المسلمين بفتح الله وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة الطفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أُمامة ابن سهل كل قد حدثني بعض حديثه قالوا ^(١) : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر : ويحكم أحقُّ هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمى هذان الرجلان يعني زيداً وعبد الله - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ! فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضُبيرة السهمي وعنده عاتكة ابنة أبي العاص بن أمية بن عبد شمس فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ويبكى على أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ؛ ثم رجع كعب

(١) زيادة عن الأصل من رواية ابن هشام انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٤٤ ط دار

ابن الأشرف (١) فشيب بأم الفضل ابنة الحارث (٢) ، ثم شيب بنساء المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثني عبد الله بن مغيث : من لى بابن الأشرف ؟ فقال : محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : افعل إن قدرت على ذلك ، فرجع محمد فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه (٣) فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال (٤) : لو تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله إني قلت لك قولاً لا أدرى هل أقر به أم لا ، قال : إنما عليك الجُهد (٥) ، قال : يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك ، فأجمع (٦) في قتله محمد بن مسلمة ، وسلطان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل (٧) ، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل ، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف قبل أن يأتوه سلطان بن سلامة أبو نائلة فجاءه ، فتحدث معه ساعة وتناشدا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال :

ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئت لك حاجة أريد ذكرها لك فاكتمها عني ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، عادتنا (٨) العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، فأصبحنا وقد جهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول لك ، فقال سلطان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك . ونوِّق لك ونحسن في ذلك ، قال : ترهنوني أبناءكم ؟ قال : أردت أن تفضحنا إن لى أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم

(١) أي رجع إلى المدينة .

(٢) أي تغزل بها ووصف محاسنها .

(٣) عند ابن هشام : « إلا ما يعلق به نفسه » .

(٤) عند ابن هشام : « فدعاه فقال له » .

(٥) الجُهد : أي الوسع والطاقة ، والمعنى بقدر طاقتك وبوسعك ، والله أعلم .

(٦) عند ابن هشام : « فاجتمع » .

(٧) عند ابن هشام : « وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة » .

(٨) أي أظهرت لنا العداء .

لتبئهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما لك فيه وفاء ، وأراد سـلـكـان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به ، قال : إن في الحلقة لوفاء ، فرجع سـلـكـان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : نا النفيلي قال : نا محمد بن سـكـمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ثور عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد (١) ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ثم رجع إلى بيته في ليلة مقمرة ، فانتهاوا إلى حصنه (٢) ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته (٣) ، فأخذت امرأته بناحيته وقالت : إنك رجل محارب وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة ، قال (٤) : أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني ، قالت : فوالله إني لأعرف في صوته الشر ، قال : يقول لها (٥) : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب .

قال أبو شعيب : حدثنا التوزي أبو محمد قال : قال الأصمعي ما تكلم بهذه الكلمة : لو وجدني نائماً ما أيقظني أحد في جاهلية ولا إسلام إلا قُتل قال : فتزل فتحدث معه ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز (٦) ، فنتحدث بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده ، ثم قال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثله فأخذ بفودي رأسه ، ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسياهم فلم تغن شيئاً (٧) ، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا (٨) في سيفي حين رأيت

(١) هي مدافن المسلمين بالمدينة .

(٢) أي داره ، ويبدو أنها كانت قصراً .

(٣) أي غطاءه وقام .

(٤) عند ابن هشام « إنه أبو نائلة » .

(٥) عند ابن هشام « يقول لها كعب » .

(٦) مكان خارج المدينة .

(٧) أي لم تؤثر فيه ولم يمت .

(٨) أي حديدة .

أسيافنا لم تغن شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم تبق حولنا حصن إلا أوقدت ^(١) عليه النار فوضعت ^(٢) في ثنته ^(٣) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوق عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ فجرح في رأسه أو في رجله أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعث حتى أسندنا ^(٤) في حرة العريض ^(٥) وقد أبطأ عنا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل ^(٦) على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلي أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود تبعتنا ^(٧) ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

* أمر محيصة وحويصة :

وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على أبى سنية ^(٨) ، رجل من تجار يهود ، وكان يلبسهم ويباعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم فقال لمحيصة ، وكان أسن منه ^(٩) ، لما قتله ، وجعل يبصره ^(١٠) : يا عدو الله أقتله أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ! فقال محيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت

(١) عند ابن هشام : « إلا قد أوقدت » .

(٢) أى وضعت المغول (الحديدية) .

(٣) أى ما بين السرة والعانة .

(٤) أى ارتفعنا .

(٥) فى ضواحي المدينة وهى أرض ذات حجارة سوداء .

(٦) أى بصق بصقا خفيفاً .

(٧) أى طلبنا لهم .

(٨) كذا عند ابن هشام .

(٩) أى أكبر منه .

(١٠) عند ابن هشام : « فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله » .

عنقك قال : فقال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لدين له شأن ، انطلق إلى صاحبك حتى أسمع منه ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ عليه ، فكان أول إسلام حويصة فقال مُحِيصَة :

يَلُومُ ابْنَ أُمِّي لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَقْتُ ذَفْرَاهُ بِأَبْيَضِ قَاضِبِ
حُسَامُ (١) كَلُونُ الْمَلَحَ أَخْلَصَ صِقْلَهُ مَتَى مَا أَصُوبُهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبِ
وَمَا سَرَرْنِي أَنِّي قَتَلْتُكَ طَائِعاً وَأَنْ لَنَا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَمَارِبِ
وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه في قتل ابن الأشرف :

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلُ يَعْرِفُ وَأَيَقُنْتَ حَقًّا فَلِمَ أَصْدِفُ
عَنِ الْكَلَمِ الْمَحْكَمَاتِ الَّتِي مِنْ اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الْأَرْأَفِ
رَسَائِلُ تُدْرَسُ فِي الْمُؤْمِنِ بِهِنِ اصْطَفَى أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزاً عَزِيزُ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
فَيَا أَيُّهَا الْمَوْعِدُوهَ سَفَاهَا وَلَمْ يَأْتِ حُوباً (٢) وَلَمْ يَعْنِفِ
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ وَمَا أَمَّنَ اللَّهُ كَالْأَخُوفِ
وَأَنْ تَصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ كَمَصْرَعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللَّهُ طُغْيَانَهُ فَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ
فَأَنْزَلَ جَبْرِيلُ فِي قَتْلِهِ بُوْحَى إِلَهِي عَبْدَهُ مُلْطَفِ
فَدَسَ الرِّسُولُ رَسُولاً إِلَيْهِ بِأَبْيَضِ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ
فَبَاتَتْ لِسْهُ عُيُونُ مَغُولَا تِ وَمِنْ دَمْعِ كَعْبٍ لَهَا تَذْرِفِ
فَقُلْنَا لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلاً فَإِنَّا مِنَ الْقَوْمِ لَمْ نَشْتَفِ
فَأَجْلَاهُمْ ثُمَّ قَالَ أَطْعِنُوا دُحُورًا عَلَى رَغَمِ الْآنَفِ
فَأَجَلَى النَّضِيرِ إِلَهِي غُرْبَةً وَكَانُوا بِإِدَارِ ذَوِي زُخْرَفِ
إِلَى أَذْرُعَاتِ رَدِّ أَفَاوَهُمْ عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ

وكانت إقامة رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجباً وشعبان ورمضان وغزته قریش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث .

* * *

(١) من أسماء السيف : حسام : أى سيف بتار قاطع . (٢) أى إنما .

غزوة أحد^(١)

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا الثّفيلي عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : وكان من حديث أحد كما حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله الزّهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلُّ قد حدثني بعض الحديث عن يوم أحد ، فاجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد ، قال : لما أصيبت قريش ؛ أو من قاتله منهم ببدر وأصحاب القليب من كفار قريش ؛ فرجع فلهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره^(٣) مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر وكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا : يا معاشر قريش إن محمداً قد وترككم^(٤) وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا ، ففيهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله : ﴿ إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾^(٥) .

فلما فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب تلك العير أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحبيشها^(٦) ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة وأهل تهامة ، كل أولئك قد استغفوا على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عزيز بن عمرو بن عبد الله الجمحي^(٧) قد منّ عليه رسول الله ﷺ وعاهده أن لا يظاهر عليه ، فأجمعت

(١) كانت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة في شهر شوال .

(٢) أي من بقى منهم من المنهزمين .

(٣) زيادة من عند ابن هشام .

(٤) أي قتل أهلکم وأحبابکم .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٦ .

(٦) أي من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٧) عند ابن هشام : « أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي » .

قريش السير إلى أحد ، قال صفوان بن أمية : يا أبا عزيز إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، ولا أريد أن أظاهر عليه أحداً ، قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك إن رجعت أن أغيثك ، فإن أصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزيز يسير في تهامة يدعو بني كنانة يقول :

يا بني عبد مناة الزرّام (١) أنتم بنو الحرب ضرابو الهام
أنتم حمّة وأبوكم حام لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل إسلام (٢)

* جُبَيْر بن مُطْعَم يحرض وحشياً على قتل حمزة :

ثم دعا جُبَيْر بن مُطْعَم بن عدى بن نوفل غلاماً له (٣) يقال له وحشى ، وكان حبشياً يضرب بحربة له قذف الحبشة قلّ ما يخطئ بها (٤) فقال : اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد - يعنى حمزة - بعمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق - وكان طُعيمة ممن قتل الله يوم بدر - فخرجت قريش بحدّها وحديدّها وأجابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن (٥) التماس الحفيظة لئلا يفروا ، فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه بهند ابنة عُتْبَةَ بن ربيعة (٦) ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة ابنة مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان ؛ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبّه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو ، وكانت هند بنت عُتْبَةَ كلما مرت بوحشى أو مرّ بها قالت : أبا دسّمة اشف

(١) عند ابن هشام « الزرّام » وهي جمع رازم وهو الذى يثبت فى الحرب ولا يفر .

(٢) اختلف ترتيب الأبيات عند ابن هشام عما جاء هنا .

(٣) أى عبدك له .

(٤) دليل على قوته وجلده وبسالته .

(٥) أى بالنساء فى الهوداج ، وكان ذلك من عادة العرب أن يخرجوا معهم النساء حتى

لا يهابوا المعركة ولكى يستमितوا فى القتال حتى لا تسبى نساؤهم .

(٦) روجته ، وكانت تحرض المشركين هى والنساء معها على الاستماتة فى قتال

المسلمين .

واشتف (١) ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مما يلى المدينة (٢) . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت نفرًا (٣) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً (٤) ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فتأولتها (٥) المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

* الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخزال المنافقين :

ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم ، ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشعب من أحد ، فالتقوا يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث ، وكان رأى عبد الله بن أبى بن سلول مع رسول الله ﷺ يرى رأيه فى ذلك « ألا يخرج إليهم » ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جنباً عنهم أو ضعفنا ، قال عبد الله بن أبى بن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء الله ، حتى دخل

(١) أبى دسمة هى كنية وحشى ، والمقصود بقول : اشف أى اشف غليلى وغيظى بقتل حمزة واشتف حتى تعتق وتكون حرًا ، وذلك أن مطعم بن جبير وعده أن يعتقه إذا قتل حمزة عم الرسول ﷺ ووعدته هند أن تعطيه قرطها وقلائدها فلذلك قالت له : اشف واشتف مثل قول العامة الآن : نفع واستنفع .

(٢) مكان يسمى عينز مقابل المدينة .

(٣) عند ابن هشام : « رأيت بقرًا » وذكر تفسير الرسول ﷺ لها أن البقر : ناس من الصحابة يقتلون ، والثلثم : رجل من أهل بيت الرسول ﷺ يقتل . وقد حدث الاثنان - استشهد عدد من المسلمين ، وحمزة رضى الله عنهم .

(٤) ثلم السيف : أى صيره غير ماضى القطع ، انظر المعجم الوجيز ص ٨٧ .

(٥) عند ابن هشام : « فأولتها » .

رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمته^(١) ، وذلك ؛ يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني النجار ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا^(٢) رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ، أقعد ، ولم يكن لنا ذلك صلى الله عليك ، فقال : رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما ينبغي إذا النبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه^(٣) حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس ؛ وقال : أطاعهم وعصاني ، والله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، ثم رجع معه من قومه من أهل النفاق وأهل الرِّيب^(٤) ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة^(٥) يقول : يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون ، فقال فلما استصعبوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ، ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه^(٦) فأصاب كلاب سيف فاستله^(٧) فقال رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يعتا^(٨) ، لصاحب السيف : شم^(٩) سيفك فإنني أرى أن السيوف ستسل اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب - أى قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة ، أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة ، وبين أموالهم حتى يسلك به

(١) أى عدة الحرب .

(٢) أى ألحنا عليه حتى خرج وهو كاره الخروج - وليس هذا حقا .

(٣) استخلف الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس بالمدينة .

(٤) أى الشك .

(٥) كان مسلماً ولم يكن منافقاً مثل عبد الله بن أبي ابن سلول .

(٦) أى حركه ليبعد به الذباب .

(٧) كلاب السيف : أى المسمار الذى فى مقبضه .

(٨) عند ابن هشام « ولا يعتاف » أى لا يتطير ولا يتشاءم .

(٩) أى أدخل سيفك فى غمده .

— ابن إسحاق — ٤٠٣ —

فى مال لربعى بن قىظى ^(١) ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما حس برسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو فى وجوههم التراب وهو يقول : إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطى ^(٢) ، وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال لهم ^(٣) : هذا الأعمى ، أعمى القلب والبصر وقد بدر إليه سعد أخو بنى عبد الأشهل قبل نهى رسول الله ﷺ فضربه بالقوس فى رأسه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل بالشعب من أحد من عدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرحت قريش الظهر والكراع ^(٤) فى زروع كانت بالصمغة ^(٥) من قناة ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أترعى زروع بنى قيلة ^(٦) ولما نضارب ؟! وتعباً رسول الله ﷺ للقتال فى سبع مائة رجل ، وتعبأت ^(٧) قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وأمر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو يومئذ معلم بشياب بياض ، وقال : انضح عنا الخيل ^(٨) بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك ^(٩) ، وظاهر رسول الله عليه السلام بين درعين ^(١٠) ، وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه

(١) عند ابن هشام « لمربع بن قىظى » .

(٢) أى بستانى .

(٣) هنا زيادة من عند ابن هشام « لا تقتلوه » .

(٤) أى تركت إبلها وخيلها .

(٥) أرض قريبة من أحد .

(٦) هم الأوس والخزرج ، وقد نسبوا إلى قيلة وهى من أمهات الأنصار .

(٧) تجهزت واستعدت .

(٨) أى ادفعهم عنا وارمهم .

(٩) أى لانهزم من ناحيتك وبسبك .

(١٠) أى لبس درعين أحدهما فوق الآخر .

يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به القوم حتى يثني ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا علَّم بعصاة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقا تل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، فجعل يتبختر بين الصفين .

* أبو دُجَّانة يستعرض قوته أمام الأعداء :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سَلَمَة قال : قال رسول الله ﷺ ، حين رأى أبا دُجَّانة يتبختر : إنها لمشية يبغيها الله إلا في هذا الموطن ^(١) .

* ما فعله أبو عامر الفاسق :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا ابن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قَتادة أن أبا عامر (عبد عمرو ابن) ^(٢) صيفي بن مالك بن النعمان بن أمية أحد بني ضبيعة قد كان خرج حين خرج من مكة مباعداً لرسول الله عليه السلام بخمسين غلاماً من الأوس منهم عثمان بن حُنيف ، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر ، فكان أبو عامر يعد قريش ، أن لو قد لقي قومه لم يتخلف منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معاشر الأوس أنا أبو عامر ، فقالوا : لا نعم الله بك عينا يا فاسق ، وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، وأضْمَحهم ^(٣) بالحجارة ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

(١) لإظهار القوة للكفار لكي يغيظهم ويخافوه .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) عند ابن هشام « راضخهم » أي رماهم .

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ
 إِنْ تُقْبِلُوا ^(١) نَعَانِقُ
 وَنَفْرَشُ النَّمَارِقِ
 وَإِنْ تُدْبِرُوا ^(٢) نُفَارِقُ
 فِرَاقٌ غَيْرُ وَامِقٍ ^(٣)

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة حتى أمعن في العدو ، وحمزة ، وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين ؛ فأنزل الله نصره ، وصدقهم وعده ، فحسبهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا يشك فيها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : أنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة عن العسكر ، حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب ، واخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا ^(٤) ، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل ^(٥) ، فانكفأنا وانكفأوا علينا ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو ^(٦) ، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة ، وكان من المسلمين في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثاً : فثلث قتيل ، وثلث جريح وثلث

(١) أى تنتصروا .

(٢) أى تنهزموا .

(٣) والمعنى إن تنتصروا نقابلكم معانقين لكم ونعد لكم الفراش أحسن الإعداد ، وإن تنهزموا نبتعد عنكم بعد الكاره غير المحب .

(٤) أى من خلفنا .

(٥) وهذا ظن ووهم من ابن قميئة الليثي ؛ لأنه قتل مصعب بن عمير الذى كان يحامى عن الرسول ﷺ ويقاتل دونه فلما قتل ظن ابن قميئة أنه الرسول ﷺ فقال لقد قتلت محمداً .

(٦) أى قتل من المسلمين .

— ٤٠٦ — ابن إسحاق —

منهزم ، قد لقيته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقذف بالحجارة حتى وقع لشقة ^(١) ، وأصيب رباعيته ^(٢) وشج في وجنته ^(٣) ، وكلمت ^(٤) شفاته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

* بلاء ابن السكّن وبسالته :

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من يشتري ^(٥) لنا نفسه كما حدثنى حصّين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمد بن عمرو ^(٦) بن يزيد ابن السكّن ، فقام زياد بن السكّن فى خمسة نفر من الأنصار ، وبعض الناس يقول إنما هو عمارة بن زياد بن السكّن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً فرجل ، فيقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن السكّن أو عمارة بن زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراح ، ثم فاءت فئة ^(٧) من المسلمين فأجهضوهم ^(٨) عنه ، فقال رسول الله ﷺ : ادنوه منى ، فوسّده رسول الله ﷺ على قدمه ، فمات وخذه فوق قدم رسول الله ﷺ ، وترس أبو دجّانة رسول الله بن نفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : ارم من فداك أبى وأمى ، حتى إنه لناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّانى قال : أنا الثّقلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيّتها ^(٩) ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته .

(١) أى وقع ﷺ فى ناحية من الجبل لجنبه .

(٢) أى السن التى بين الثانية والناب ، وقد كسرت رباعيته ﷺ اليمنى السفلى .

(٣) أى جرح فى خديّه الشريفين .

(٤) أى جرحت .

(٥) عند ابن هشام : « من يشرى » .

(٦) عند ابن هشام : « محمود بن عمرو » .

(٧) أى رجعت عليهم جماعة من المسلمين .

(٨) أى غلبوهم .

(٩) أى طرفها .

— ابن إسحاق — ٤٠٧ —

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ (١) ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل ، فكان الذى أصابه ابن قميئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قد قتلت محمداً ، فلما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ على بن أبى طالب اللواء ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وكان أحد النفر الذين يحملون لواء قريش ، ثم مر به سباع بن عبد العزى الفيشاني وكان يكنى بأبى نيار فقال له حمزة : هلم إلى يا ابن مقطعة البظور (٢) فضربه فكان ما أخطأ رأسه ، وكانت أم نيار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، وقال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق (٣) شيئاً مثل الجمل الأورق (٤) إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم إلى يا ابن بنت مقطعة البظور فضربه فكان ما أخطأ رأسه ، وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها ذففتها عليه حتى وقعت في ثنته (٥) حتى خرجت من بين رجله ، وأقبل فقلب ، فأمهلتته حتى إذا ما مات جئت إليه فأخذت حربتي ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لى بشيء حاجة غيره (٦) . وقد قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح أخو بني عمرو ابن عوف مسافع بن طلحة وأخاه جلاساً ، كلاهما يشعره سهماً ، فيأتى أمه سُلَافة فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بني ما أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رمانى يقول : خذها إليك وأنا ابن الأقلح فتقول أقلحى هو ؟ فنذرت إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يمس مشركاً ولا يمسه أبداً .

(١) زيادة من عند ابن هشام .

(٢) وكانت أمه تختن البنات .

(٣) أى لا يبقى أحداً دليلاً على شجاعته .

(٤) أى أغبر لما عليه من تراب المعركة .

(٥) ما بين بطنه وعانته .

(٦) فى هذا دليل على أن مهمته كانت قتل حمزة فقط .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى ابن النجار قال : انتهى أنس بن النضر - وهو عم أنس بن مالك ، وبه سمى أنس أنسًا - إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : فما تضمنون ^(١) بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ما عرفته إلا أخته ، عرفت بنانه ^(٢) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : كان أول من عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ، كما حدثني ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بني سلمة قال : قال كعب : عرفت عينيه تزهرا من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فأشار إليّ أن أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله صلّى الله عليه وآله نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه : أبو بكر بن أبي قحافة . ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة رضى الله عنهم أجمعين ، في رهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله صلّى الله عليه وآله في الشعب ، أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين يا محمد أين محمد لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا ؟ فقال : دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لي . فلما أخذها رسول الله صلّى الله عليه وآله انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر ^(٣) من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مراراً .

(١) عند ابن هشام : « تصنعون » .

(٢) أي طرف إصبه .

(٣) عند ابن هشام : « الشعراء » وهو ذباب يلدغ كالعقرب .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا النّفيلي قال : أنا محمد بن سلّمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أبي بن خلف يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العوز^(١) أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه فيقول : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فرجع إلى قريش وقد خدشه خدشاً في عنقه غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلني والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك أن كان بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لي بمكة : بل أنا أقتلك ، فوالله لو بصق عليّ لقتلني ، فمات عدو الله بسرف^(٢) وهم قافلون^(٣) به إلى مكة . فقال حسان بن ثابت في قتل رسول الله أبيّاً وقوله له بمكة ما قال :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أُبَيُّ حِينَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب رحمة الله عليه بالدرقة حتى ملأها ماء من المهراس^(٤) . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فوجد له ريحاً فعافه^(٥) فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمّي وجه رسول الله^(٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّاني قال : أنا النّفيلي قال : أنا محمد بن سلّمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : ما حرصتُ على قتل أحد ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص^(٧) ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله : اشتد غضب الله على من دمّي وجه رسوله ، فبينما رسول الله ﷺ في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذ علت عالية على الجبل ، فقال رسول الله :

(١) عند ابن هشام : « العوز » اسم فرس

(٢) مكان قريب من مكة .

(٣) راجعون .

(٤) حجر فيه ماء بجوار بئر في أحد .

(٥) أي كرهه .

(٦) يقصد عتبة بن أبي وقاص ومن أصابه .

(٧) وذلك لأنه هو الذي جرح الرسول ﷺ في أحد .

٤١٠ — ابن إسحاق —

إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بدن^(١) وظاهر رسول الله بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (عن الزبير)^(٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أوجب طلحة حين صنع ما صنع برسول الله ، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقي دون الأعوص^(٣) ، وفر عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار ، ثم من بنى زريق حتى بلغوا الجَلْعَب جبلاً بناحية المدينة ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال رسول الله فيما زعموا لقد ذهبتم فيها عريضة .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر أخو بني عمرو بن عوف أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود ، وكان يقال له ابن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله إن كان صاحبكم - يعني حنظلة لتغسله الملائكة^(٤) فسألوا أهله ما شأنه؟؟ فسئلت صاحبتة ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة^(٥) ، فقال رسول الله : لذلك غسلته الملائكة^(٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا النُّفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : قد وقفت هند بنت عتبة كما حدثني صالح بن كيسان

(١) أى سمن جسده .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) موضعان قرب المدينة .

(٤) ويسمى غسيل الملائكة .

(٥) أى منادى الجهاد مع رسول الله ﷺ .

(٦) وكان حديث عهد بعرس ﷺ .

— ابن إسحاق — ٤١١ —

والنسوة الآتون معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدّعن الآذان (١) والآناف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خذماً وقلائد ، وأعطت خدمها (٢) وقلائدها وقرطبيها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد جمزة (٣) ، فلاكتها (٤) فلم تستطع أن تسيغها ، ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها وقالت ، من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ :

نَحْنُ جَزِينَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ

فأجابتها هند بنت أوثاة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فقالت :

خَزَيْتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته :

أَنْعَمْتَ فَعَالَ
يَوْمٌ يَوْمٌ بَدْرٍ أَعْلُ هُبْلٍ

أى ظهر دينك - فقال رسول الله لعمر - رحمة الله عليه قم فأجبه :

اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ لَا سَاءَ وَاءٍ

قتلانا فى الجنة وقَتَلَاكُمْ فى النارِ

فلما أجاب أبا سفيان قال : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله : ائته فانظر ما شأنه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال فأنت والله أصدق عندي من ابن قميئة (٥) وأبر ، لقول ابن قميئة : قتلت محمداً ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلناكم مثلاً (٦) ، والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه :

(١) أى يقطعن آذانهم .

(٢) عند ابن هشام : « خدمها » أى خلخالها .

(٣) أى شقت بطنه وأخرجت كبده ﷺ .

(٤) أى مضعتها .

(٥) ذلك المشرك الذى قتل مصعب بن عمير وظنه الرسول ﷺ .

(٦) أى تمثيل بجثث الشهداء .

قل : نعم هي بيننا وبينك موعداً ، ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال : اخرج في إثر ^(١) القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل (فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل) ^(٢) فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزئهم ، قال على رحمة الله عليه ورضى عنه فخرجت في إثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فلما جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ، أقبلت أصبح ما أستطيع أن أكتم ما أمرنى به رسول الله ﷺ لما بى من الفرح إذا رأيته انصرفوا عن المدينة ^(٣) .

* الرسول ﷺ يتفقد القتلى :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا الثفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد إسحاق قال : وفزع الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ^(٤) صعدة المازني أخو بني النجار : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج في الأحياء أو في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى ، به رمق ، فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات ، قال : فأنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول : جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل : إن سعد بن ربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات رحمة الله عليه ، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره ، فخرج رسول الله ﷺ - فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده بطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به وجدع أنفه وأذناه .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا الثفيلي قال : أنا محمد بن سلمة

(١) أى تتبع خطواتهم . (٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) وفى هذا أقوى دليل على أن المسلمين كانوا لا يحبون سفك الدماء ولا الحرب .

(٤) زيادة من عند ابن هشام .

— ابن إسحاق — ٤١٣ —

عن محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صفية ^(١) أو تكون سنة من بعدى ما غيبته ولتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أنا أظهرني الله على قریش في موطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل بعمه ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .

* ما نزل من القرآن في النهي عن المثلة :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال : أنا النفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للمصابرين ﴾ ^(٢) إلى آخر القصة فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثل ^(٣) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : حدثنا النفيلي قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثني حميد الطويل عن الحسن عن سُمرة بن جندب أنه قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١) هي صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وأخت حمزة أسد الله .

(٢) سورة النمل : الآية ١٢٦ .

(٣) أي عن المثلة (التمثيل بجثث الموتى) وهنا تدرك مدى تمسك النبي ﷺ بأوامر

الله رغم ما فعله الكفار وما أصاب الرسول ﷺ من حزن وليس بعد قول الله تعالى قول .

jabir.abbas@yahoo.com

— ابن إسحاق —

فهرست الموضوعات

jabir.abbas@yahoo.com

ا.
-
.
ا.
-
إه
مق
مف
الت
من
الر
ش
نس
تر-
نس
أسا
تلا
مك
مؤل
رح
تقم
لماذا
انتق
وفات
مراج
ذكر
سيا
الس
أولاً
عمر
حد
—

jabir.abbas@yahoo.com

المجلد الأول

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
إهداء	٣	أولاد عدنان	١٨
مقدمة في علم السيرة	٤	ذكر نسب الأنصار	١٩
مفهوم السيرة	٥	أمر عمرو بن عامر في خروجه إلى	
التأريخ عند العرب والمسلمين	٥	اليمن وقصة سد مأرب	٢١
منهج السيرة	٦	حديث ربيعة بن نصر ورؤياه	٢٢
الرواد الأوائل من كتاب السيرة	٧	استيلاء أبي كرب تبان أسعد على	
شراح السيرة	٧	ملك اليمن وغزوه إلى يثرب	٢٥
نسخ وطبعات السيرة رواية ابن هشام	٨	قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة	٢٦
ترجمة ابن إسحاق	١٠	ذهاب تبع لمكة وطوافه بالكعبة	٢٨
نسبه ونشأته	١٠	أصل اليهودية باليمن	٣٠
أساتذته	١٠	محاكمة تبع إلى النار	٣١
تلامذته	١٠	هدم البيت المسمى رثام	٣١
مكانة ابن إسحاق وثناء العلماء عليه	١١	ملك حسان بن تبان وقتله على يد	
مؤلفاته	١١	أخيه عمرو	٣٢
رحلاته طلباً للعلم	١٢	هلاك عمرو وتفرق حمير	٣٣
تقسيم سيرة ابن إسحاق	١٢	خبر لخنيسة وذى نواس	٣٣
لماذا كتب ابن إسحاق السيرة ؟	١٢	ملك ذى نواس	٣٤
انتقادات لابن إسحاق والرد عليها	١٣	سبب وجود النصرانية بنجران	٣٤
وفاته وكم كان عمره	١٤	فيميون وصالح ونشر النصرانية	٣٤
مراجع المقدمة والترجمة	١٥	خبر عبد الله بن الثامر وقصة أصحاب	
ذكر سرد النسب الزكى	١٦	الأخدود	٣٦
سياقه النسب من ولد إسماعيل عليه		فيميون وعبد الله بن الثامر والاسم	
السلام	١٧	الأعظم	٣٦
أولاد إسماعيل ونسب أمهم	١٧	عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد	٣٧
عمر إسماعيل ووفاته	١٧	ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية	٣٨
حديث الوصاة بأهل مصر وسببها	١٧	نهاية عبد الله بن الثامر	٣٨

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	الله - جل جلاله - يذكر حادثة		فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس
٥١	الفيل ويمتن على قريش	٣٨	واستنجاده بقيصر
٥٢	ما قيل فى قصة الفيل من الشعر	٣٩	النجاشي ينصر دوساً
٥٢	شعر عبد الله بن الزبيرى	٣٩	نهاية ذى نواس
٥٣	شعر طالب بن أبى طالب		شعر ذى جدن الحميرى فى هذه
٥٣	شعر أبى الصلت الثقفى	٣٩	القصة
٥٤	ولدا أبرهة		شعر عمرو بن معدى كرب فى هذه
	خروج سيف ذى يزن وملك وهرز	٤١	القصة
٥٥	على اليمن	٤٢	النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط
٥٥	سيف يشكو لقيصر	٤٢	غضب النجاشي على أبرهة
٥٥	النعمان يتشفع لسيف عند كسرى	٤٢	القليس أو كنيسة أبرهة
٥٥	انتصار سيف	٤٣	النساء
٥٧	شعر سيف فى هذه القصة	٤٣	أول من ابتدع النسئ
٥٨	شعر أبى الصلت	٤٤	الكناني يحدث فى القليس
٥٩	شعر عدى بن زيد	٤٤	خروج أبرهة لهدم الكعبة
٦١	ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن	٤٥	أشراف اليمن يدافعون عن البيت
٦١	مدة مكث الحبشة باليمن	٤٥	خثعم تجاهد أبرهة
٦١	أمراء الفرس باليمن	٤٥	نسب ثقيف
٦١	تنبؤ الرسول ﷺ بموت كسرى	٤٦	ثقيف تهادن أبرهة
٦٢	إسلام باذان	٤٦	اللأت
٦٢	كتاب الحجر الذى فى اليمن	٤٦	أبو رغال ورجم قبره
٦٣	الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح	٤٦	الأسود بن مقصود يهاجم مكة
٦٣	قصة ملك الحضر	٤٧	رسول أبرهة إلى مكة
٦٣	سابور يستولى على الحضر	٤٧	أنيس يشفع لعبد المطلب
٦٤	قول أعشى قيس فى قصة الحضر	٤٨	الوفد المرافق لعبد المطلب
٦٤	قول عدى بن زيد فى هذه القصة	٤٨	قريش تستنصر الله على أبرهة
٦٥	ذكر ولد نزار بن معد	٤٩	عكرمة بن عامر يدعو على الأسود
٦٥	أولا أنمار	٤٩	أبرهة يهاجم الكعبة
٦٦	ولدا مضر	٥٠	عقاب الله لأبرهة وجنده
٦٧	أولاد إلياس		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٨	أولاد مُدْرَكَة وخزيمة		حديث عمرو بن لُحى وذكر أصنام
٧٨	أولاد كنانة وأمهاتهم	٦٨	العرب
٧٨	سبب تسمية قريش	٦٨	عمرو بن لُحى يجز قُصْبَه فى النار
٧٨	أولاد النضر وأمهاتهم	٦٨	سبب عبادة الأصنام
٧٨	أولاد مالك وفهر وأمهاتهم	٦٩	أصنام قوم نوح
٧٩	أولاد غالب وأمهاتهم	٦٩	القبائل العربية وأصنامها
٧٩	أولاد لؤى وأمهاتهم	٧٠	عُبَاد يَغُوث
٨٠	أمر أسامة بن لؤى	٧٠	عباد يعوق
٨٠	هروبه من أخيه وموته	٧٠	عباد نسر
٨١	أمر عوف بن لؤى ونقلته	٧٠	عباد عُميّانس
٨١	سبب انتمائه إلى غطفان	٧١	عباد سعد
٨١	مكانة مرة	٧١	دوس وصنمهم
٨١	نسب مرة	٧٢	عباد هُبَل
٨٣	أشراف مرة	٧٢	إِسَاف ونائلة وحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
٨٤	أمر البسل	٧٢	فعل العرب مع أصنامهم
٨٤	أولاد كعب وأمههم	٧٣	الطواغيت
٨٤	أولاد مرة وأمهاتهم	٧٣	العزى وسدنتها وحجّابها
٨٤	ولدا كلاب وأمهما	٧٣	من هم السدنة؟
٨٥	أولاد قُصَى وأمههم	٧٤	اللات وسدنتها
٨٥	أولاد عبد مناف وأمهاتهم	٧٤	مناة وسدنتها
٨٥	أولاد هاشم وأمهاتهم	٧٤	ذو الخليفة وعبّاده وهدمه
٨٦	أولاد عبد المطلب بن هشام وأمهاتهم	٧٤	فُلَس وعبّاده وهدمه
٨٧	أم رسول الله ﷺ وأمهاتها	٧٤	رثام
٨٨	أمر جرهم ودفن زمزم	٧٥	رضاء وعبّاده وهدمه
٨٨	وَلَاة البيت من ولد إسماعيل	٧٥	عُمر المستوغر
٩١	حفر زمزم	٧٥	ذو الكعبات وعبّاده
٩١	عبد المطلب يحفر زمزم	٧٦	البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
٩٣	قريش تنازع عبد المطلب زمزم	٧٧	عود إلى النسب
٩٤	التحاكم فى بئر زمزم	٧٧	نسب خزاعة
٩٥	فضل زمزم على سائر المياه		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ما وجده عبد المطلب في بئر زمزم	٩٦	ذو رعين يرثي تَبَعاً	١٢٧
نذر عبد المطلب	١٠١	عمرو يرثي أخاه تَبَعاً	١٢٧
عبد المطلب يحتكم إلى القداح	١٠٢	هلاك عمرو وتفرق تَبَع	١٢٨
خروج القداح على عبد الله	١٠٢	ابتداء ملك الحبشة	١٢٩
عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه	١٠٣	النجاشي ينصر دوساً	١٢٩
ما أشارت به عرّافة الحجاز على عبد المطلب	١٠٥	حادثة الفيل	١٣٢
نجاة عبد الله من الذبح	١٠٨	إحداث الكنانى فى الكنيسة وانتقام أبرهة	١٣٢
تزويج عبد الله بن عبد المطلب	١١٠	ما حدث بين نفيل وأبرهة	١٣٢
رفض عبد الله المرأة التى عرضت نفسها عليه	١١٠	رسول أبرهة إلى مكة	١٣٣
زواج عبد الله بآمنة بنت وهب	١١٠	أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له	١٣٣
أمهات آمنة	١١١	ولفيله وجنوده	١٣٤
قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ	١١٣	وفاة السيدة آمنة بنت وهب	١٣٧
رؤيا آمنة وهى حامل برسول الله ﷺ	١١٣	كفالة عبد المطلب محمداً	١٣٧
وفاة عبد الله	١١٤	وفاة عبد المطلب وراثؤه	١٣٨
مولد رسول الله ﷺ	١١٧	ولاية زمزم والسقاية بعد عبد لمطلب	١٤٠
إخوته من الرضاعة	١١٨	عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ	١٤٠
حليمة ترضع الرسول ﷺ	١١٨	قصة بحيرا الراهب	١٤٥
الخير الذى أصاب حليمة بسببه ﷺ	١١٩	محمد يخرج مع عمه إلى الشام	١٤٥
حادثة شق الصدر	١٢٠	بحيرا يحتفى بتجار قريش	١٤٦
حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه	١٢٠	بحيرا يتثبت من محمد ﷺ	١٤٧
الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب	١٢١	بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ	١٤٧
حديث تَبَع الحميرى	١٢٢	بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ	١٤٧
سبب قتاله أهل المدينة	١٢٢	الشر	١٤٧
كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه	١٢٣	محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق	١٥٠
أصل اليهودية باليمن	١٢٥	رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له	١٥١
هدم البيت المسمى رثام	١٢٥	حديث خديجة ابنة خويلد	١٥٣
مقتل تَبَع	١٢٧	خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة	١٥٣
		خديجة ترغب فى الزواج منه	١٥٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
نسب خديجة	١٥٤	الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل	
زواج الرسول ﷺ من خديجة	١٥٤	الرسالة	١٦٩
أولاده ﷺ من خديجة	١٥٤	ما كان يفعله المشركون في الجاهلية	١٦٩
قصة الأخبار	١٥٥	أصل السعى بين الصفا والمروة وأول	
اليهود يخبرون العرب بقرب زمان		من سعى .	١٦٩
الرسول ﷺ	١٥٥	سبب رمي الجمار وأول من رمى	١٧٠
يهودى يتسبب في إسلام ثلاثة	١٥٧	ما كان يفعله أهل الجاهلية عند	
إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه	١٥٩	الذبح	١٧١
سلمان يتشوف إلى النصرانية بعد		جبريل يعلم الخليل إبراهيم عليهما	
المجوسية	١٥٩	السلام مناسك الحج	١٧١
سلمان يهرب إلى الشام	١٦٠	قريش تبتدع الحمس	١٧٢
سلمان مع أسقف النصارى السبيء	١٦٠	حديث بنيان الكعبة	١٧٤
سلمان مع أسقف النصارى الصالح	١٦٠	سبب بنيان قريش الكعبة	١٧٤
سلمان يلحق بأسقف الموصل	١٦١	أبو وهب وما حدث له عند بناء	
سلمان يلحق بأسقف نصيبين	١٦١	الكعبة	١٧٥
سلمان يلحق بصاحب عمورية	١٦١	نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة	١٧٦
سلمان يذهب إلى وادي القرى	١٦٢	الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة	١٧٦
سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع		سبب امتناع قريش عن هدم الأساس	١٧٧
بهجرة النبي ﷺ	١٦٢	الكتاب الذي وجد في الركن	١٧٧
سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ	١٦٢	الكتاب الذي وجد في المقام	١٧٨
سلمان يتحرر من الرق بمساعدة		الاختلاف بين قريش في وضع الحجر	١٧٨
الرسول ﷺ	١٦٣	لعقة الدم	١٧٨
حديث سلمان مع صاحب عمورية	١٦٣	أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع	
أثر الكعبة	١٦٥	الحجر	١٧٩
آدم وبناء الكعبة	١٦٥	الرسول ﷺ يضع الحجر وينهى	
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام		الإشكال	١٧٩
يضعان الحجر	١٦٦	سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة	١٨٠
وصف الحجر الأسود	١٦٧	شعر الزبير بن عبد المطلب في الحية	١٨١
ما كان يقال عند الطواف في الجاهلية	١٦٨	التي كانت تمنع قريشا من بنيان	
		الكعبة	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٢	بين الرسول وورقة بن نوفل	١٨٢	إبطال مبتدعات الحمس في الحج
٢٠٣	تثبت خديجة رضى الله عنها من الوحي وإيمانها بالرسول ﷺ	١٨٢	الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة
٢٠٤	الرسول من أولى العزم من الرسل	١٨٣	الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ
٢٠٥	انقطاع الوحي ونزول سورة الضحى	١٨٤	قذف الجن بالشهب دليل مبعثه
٢٠٥	الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته	١٨٥	ثقيف أول من فرغت برمي الجن
٢٠٦	جبريل يعلم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة	١٨٧	الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم من رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم
٢٠٦	الرسول ﷺ يعلم خديجة الوضوء والصلاة	١٨٧	ورقة بن نوفل يتنصر
٢٠٧	إسلام على بن أبي طالب	١٨٧	زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية
٢٠٧	الرسول ﷺ يعرض الإسلام على رضى الله عنه	١٩٠	ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل
٢٠٧	على ينشأ في كنف الرسول	١٩٠	من حديث الحمس
٢٠٨	سن على عند إسلامه	١٩١	الرسول ﷺ والخلة
٢٠٩	إسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه	١٩١	غار حراء ونزول الوحي
٢٠٩	الرسول ﷺ يعرض الإسلام على أبي بكر	١٩٢	ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء
٢٠٩	استجابته الفورية للإسلام	١٩٣	ورقة ينشد شعراً مدحاً في الرسول ﷺ
٢٠٩	إعلانه الإسلام رضى الله عنه	١٩٤	الرسول يحدث عن نفسه
٢١٠	إيلاف قريش له	١٩٩	أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ
٢١٠	إسلام خمسة على يديه	١٩٩	ابتداء نزول الوحي
٢١١	إسلام أبي ذر رضى الله عنه	٢٠٠	تاريخ غزوة بدر الكبرى
٢١١	ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه	٢٠٠	تحديد ليلة القدر
٢١١	خيرية أمة محمد	٢٠١	الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ
٢١١	صفة الرسول ﷺ في التوراة	٢٠٢	الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه
٢١٢	أسماء رسول الله ﷺ		
٢١٢	صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	أبو طالب يدعو رب البيت على قاطع	٢١٢	منزلة أمة محمد
٢٢٨	المحارم	٢١٣	إسلام المهاجرين رضى الله عنهم
	قريش تحاصر بنى هاشم وبنى المطلب	٢١٥	أمر الله رسوله بتبليغ دعوته
٢٢٨	فى شعبهم	٢١٦	الرسول ﷺ يصف نزول الوحي عليه
	الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ	٢١٧	الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح
٢٢٩	ما فعله الله بالصحيفة		خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة
٢٣١	حديث نقض الصحيفة	٢١٧	فى الشعب
٢٣٥	عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة	٢١٨	عداوة قومه ومساندة أبى طالب له
٢٣٦	إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ		وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعل
٢٣٩	سبب إسلامه	٢١٨	ابن أخيه
٢٣٩	حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه		الرسول ﷺ يستمر فى دعوته وقريش
٢٤٠	الشيطان يوسوس لحمزة ليترك الإسلام	٢١٨	تظهر عداوتها للمسلمين
٢٤٠	حمزة يحمد الله على إسلامه	٢١٩	شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته
٢٤١	ما جاء فى هجرة أصحاب رسول الله	٢٢٠	أبو طالب يسخر من أبى لهب
	ﷺ إلى أرض الحبشة		أبو طالب يعلن لقريش تمسكه بنصر
٢٤٢	الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة	٢٢٠	ابن أخيه
٢٤٢	تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من	٢٢١	الوليد بن المغيرة يكيد للرسول
	مكة	٢٢٢	القرآن يرد على الوليد
٢٤٤	أوائل المهاجرين إلى الحبشة		قريش تعرض عمارة بن الوليد على
٢٤٤	رجوع بعض المهاجرين إلى مكة	٢٢٢	أبى طالب بدل محمد
٢٤٧	عثمان بن مظعون يطلب من الوليد	٢٢٣	شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله
	أن يرد عليه جواره		باب ما نال أصحاب رسول الله من
٢٤٧	عثمان يؤذى فى سبيل الله ويصبر	٢٢٤	البلاء والجهد
٢٤٨	إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٢٤	رجوع الوفد لأبى طالب مرة ثانية
٢٥٠	متى أسلم عمر رضى الله عنه	٢٢٤	ما دار بين الرسول ﷺ وأبى طالب
٢٥٠	عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل	٢٢٥	شعر أبى طالب فى مساندة ابن أخيه
	الرسول ﷺ	٢٢٦	مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب
٢٥٠	دعاء الرسول أن يعز الله الإسلام بعمر	٢٢٦	شعر صفية عمة رسول الله ﷺ لقريش
٢٥١	سبب إسلام عمر	٢٢٧	شعر أبى طالب لقريش

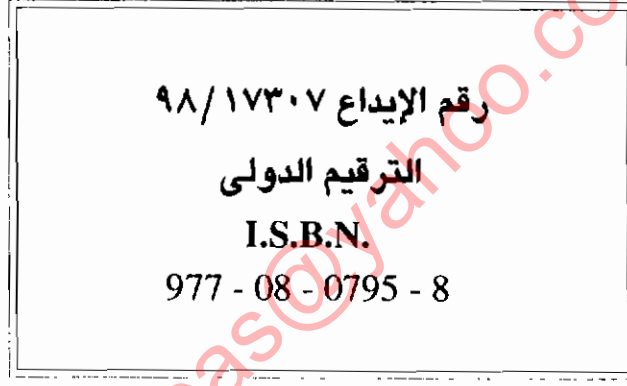
الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ذهاب عمر للرسول ﷺ معلنا إسلامه	٢٥٢	حفظ الله لنبيه ﷺ	٢٧١
عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول والصحابة	٢٥٣	النضر بن الحارث ينصح قريشا	٢٧١
خروج عمر بالمسلمين إلى الكعبة	٢٥٣	أذى النضر الرسول ﷺ	٢٧٢
ثبات عمر في إسلامه	٢٥٤	ما نزل في النضر من قرآن	٢٧٢
عبد الله بن مسعود أول من جهر في مكة بالقرآن	٢٥٥	قريش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ	٢٧٣
من عذّب في الله بمكة من المؤمنين	٢٥٩	قريش تسأل والرسول يعجب	٢٧٣
قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ	٢٥٩	باب أحاديث الأحبار وأهل الكتاب	٢٧٣
الأخنس يستفهم عما سمعه	٢٥٩	بصفة النبي ﷺ	٢٧٥
عدوان المشركين وفتنة المستضعفين	٢٦٠	الرسول يسئل عن الروح وإجابته	٢٧٥
تعذيب بلال	٢٦٠	قلة علم البشر	٢٧٥
عمار يمدح أبا بكر لإعتقائه بلالاً	٢٦٠	الحديث عن ذي القرنين	٢٧٦
من أعتقهم أبو بكر	٢٦١	استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ	٢٧٦
أبو قحافة يلوم أبا بكر	٢٦٢	عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ	٢٧٨
تعذيب آل ياسر	٢٦٢	عتبة يعترف للمشركين بأن محمداً	٢٧٨
مدى فتنة المسلمين	٢٦٣	على حق ويأمرهم بتركه	٢٧٩
خالد بن الوليد يهجو اللات والعزى	٢٦٣	قريش تفتن ضعفة المسلمين	٢٧٩
ثبات بلال رضي الله عنه	٢٦٣	الرسول يأمر قريشا باتباعه	٢٨٠
ما لاقاه مصعب بن عمير من بلاء	٢٦٤	شفقة الرسول ﷺ على المشركين	٢٨٠
شفقة الرسول ﷺ على مصعب	٢٦٤	الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام	٢٨١
نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء	٢٦٥	فرعون أمة محمد ﷺ	٢٨٢
فزع أبي جهل وهيبته من رسول الله ﷺ	٢٦٦	ما نزل في القرآن زجراً لأبي جهل	٢٨٢
حديث النبي ﷺ حيث خاصمه المشركون	٢٦٨	دعاء الرسول ﷺ على صنديد الكفر	٢٨٢
زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ	٢٦٨	هلاك من عاند الرسول ﷺ	٢٨٣
زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيي الله قصي بن كلاب ويسير الجبال عنهم	٢٦٩	حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة	٢٨٥
أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ	٢٧١	قريش ترسل للملك الحبشة كي يرد المسلمين	٢٨٥
		استدعاء النجاشي المهاجرين وما دار بينهم من حوار	٢٨٦

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١١	الرسول يُسأل عن جزاء عمه بعد موته	٢٨٧	المهاجرون يشرحون للنجاشي رأى الإسلام في عيسى عليه السلام
٣١٢	اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له	٢٨٨	فرح المسلمين بانتصار النجاشي
٣١٧	وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	٢٨٩	قصة تملك النجاشي على الحبشة
٣١٧	جزاء الله لخديجة رضي الله عنها	٢٩٠	قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم
٣١٨	غيرة السيدة عائشة من حديث الرسول عن السيدة خديجة	٢٩١	إسلام النجاشي
٣١٩	مكانة السيدة خديجة	٢٩٢	الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته
٣١٩	ذكر أبناء الرسول وبناته	٢٩٣	رفض أبي نيزر ملك الحبشة فضل مهاجري الحبشة
٣٢١	تزويج فاطمة رضي الله عنها	٢٩٤	تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة
٣٢٤	تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم	٢٩٥	عدد مهاجري الحبشة
٣٢٤	تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب	٣٠٠	كتاب النبي ﷺ للنجاشي
٣٢٦	تزويج زينب بنت علي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ	٣٠٠	حديث ما لقي رسول الله ﷺ من أذى قومه
٣٢٨	ما جاء في تزويج عثمان بن عفان رضي الله عنه	٣٠٢	إيذاء أبي جهل الرسول ﷺ
٣٣٠	تزويج النبي ﷺ سودة بنت زمعة	٣٠٣	ابن أم مكتوم وسورة عبس
٣٣١	تزويج النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما	٣٠٣	الرسول يدعو إلى التوحيد
٣٣٢	تزويج النبي ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله عنهما	٣٠٤	قصة النبي لما عرض نفسه على العرب
٣٣٤	تزويج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة رضي الله عنها	٣٠٥	وفاة أبي طالب وما جاء فيه
٣٣٥	تزويج النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها	٣٠٩	المشركون يطلبون من أبي طالب عهداً بينهم وبين أخيه
٣٣٦	تزويج النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها	٣٠٩	الرسول يرد على عمه أبي طالب
٣٣٧	تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها	٣١٠	أبو طالب يأمر بني المطلب باتباع محمد
٣٣٩	رضي الله عنها	٣١٠	ما حدث عند وفاة أبي طالب
		٣١١	الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٨٣	قطعة من غزوة بدر	٣٤٠	تزويج النبي ﷺ جويرية ابنة الحارث رضى الله عنها
٣٨٦	عدد من شهد بدرا	٣٤١	تزويج النبي ﷺ صفية ابنة حيي رضى الله عنها
٣٨٧	غزوة بنى سليم	٣٤٢	تزويج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها
٣٨٨	غزوة السويق	٣٤٣	تزويج النبي ﷺ أسماء بنت كعب الجونية وعمره بنت يزيد
٣٩٠	غزوة ذى أمر إلى نجد سنة ثلاث	٣٤٤	تزويج النبي ﷺ امرأة من غفار
٣٩١	غزوة الفرع من بحران	٣٤٥	عدد النسوة اللاتي وهبن أنفسهن للرسول ﷺ
٣٩١	غزوة بنى قينقاع	٣٤٧	ما اتخذ النبي ﷺ من السرارى
٣٩٣	ما نزل فى يهود بنى قينقاع	٣٤٩	ما عوض النبي ﷺ من أبنائه
٣٩٣	سرية زيد بن حارثة إلى القردة	٣٥١	قصة المستهزئين والآيات
٣٩٤	مقتل كعب بن الأشرف	٣٥٣	الفرق بين القرآن المكى والمدنى
٣٩٧	أمر محيصة وحويصة	٣٥٤	حديث ركانة بن عبد يزيد
٣٩٩	غزوة أحد	٣٥٥	أعلام النبوة
٤٠٠	جبير بن مطعم يحرض وحشيا على قتل حمزة	٣٥٥	من معجزات النبي ﷺ
٤٠٠	الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخيل المنافقين	٣٦٢	إسلام أم شريك الدوسية
٤٠١	أبو دجانة يستعرض قوته أمام الأعداء	٣٦٤	إسلام أبى هريرة
٤٠٤	ما فعله أبو عامر الفاسق	٣٦٥	إسلام عدى بن حاتم
٤٠٤	بلاء ابن السكن وبسالته	٣٦٩	إسلام جرير بن عبد الله
٤٠٦	الرسول ﷺ يتفقد القتلى	٣٧٣	حديث الإسراء برسول الله ﷺ
٤١٢	ما نزل من القرآن فى النهى عن المثلة	٣٨١	إلى بيت المقدس
٤١٣	الفهرس		جزء يشمل بعض غزوات النبي ﷺ
٤١٥			
	* * *		

انتهى المجلد الأول .. وإلى اللقاء
بإذن الله فى المجلد الثانى

jabir.abbas@yahoo.com



NOTE:

THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAA + AHMAD ALI